جامعة الأزهر – غزة
كلية الاقتصاد و العلوم الإدارية
قسم العلوم السياسية
الدراسات العليا

مناهج البحث العلمي

عنوان البحث

الدين والدولة في امريكا

امريكا دوله لها روح كنيسه

اعداد الطالب/ يوسف العاصي الطويل

مقدم للدكتور/ ايمن شاهين

الفصل الدراسي الاول ٢٠٠٧/٢٠٠٨

أمريكا دوله لها روح كنيسة

مقدمه

قد يبدو القول بوجود دور قوى وفعال للدين في العملية السياسة ، وفى الحياة العملية في بلد صناعي متقدم كالولايات المتحدة ، في أواخر القرن العشرين، في أسوأ الحالات، كتقول وادعاء، وفى أقلها سوءاً، كإسقاط لأفكار مسبقة عن تأثير الغيبيات ...

> "غير أن ذلك يسقط من الاعتبار الحقيقة الماثلة في أن قادة المجتمع الأمريكي السياسيين والروحانيين على السواء ، عنوا بأن يتخذوا مواقفهم منذ نشأة جمهوريتهم وحتى الآن ، على قمة متاحة من الأرض الأخلاقية العالية، مستمدين باستمرار السند والمبرر لكل تصرف أمريكي في شؤون أمريكا والعالم من الدين والأخلاقيات العليا ، ومن المصطلحات ذات الرنين الأخلاقي القوى ، كـ "الحقوق الإنسانية"، "والقانون الدولي"، و"الحضارة" وما أشبه، ومسبغين على أنفسهم وعلى بلدهم عباءة الاضطلاع بعبء رسالة حملت العناية الإلهية ذاتها لا أقل، الأمة الأمريكية بها لصالح البشر جميعاً"(مقار، ١٩٩٢، ص ٣٢٣).

وعندما قمت في عام ١٩٩٣م بنشر دراسة بعنوان (الصليبيون الجدد .. الحملة الثامنة) في جريدة القدس في فلسطين، والتي تحولت فيما بعد إلى كتاب يحمل نفس العنوان . نشر في كل من فلسطين ومصر، محاولاً إبراز الأبعاد الدينية للتحيز الأمريكي البريطاني لإسرائيل . استغرب في حينه كثير من الأصدقاء هذه التسمية ، اعتقاداً منهم أن العصر الذي نعيش فيه لم يعد به مجال للحروب الصليبية ، والعداوات الدينية، ولكنهم بعد قراءة الكتاب والأمثلة العديدة التي وردت فيه لتأكيد هذا البعد، هالهم ضخامة الدور الذي يلعبه الدين في رسم سياسة وتوجهات أكبر دولة في العالم ، تجاه المنطقة العربية والعالم الإسلامي.

وبالرغم من إدراكي، أن الحديث حروب صليبية وعن دور للدين في تشكيل فكر وثقافة اكبر قوة في العالم وبالذات في هذا العصر، عصر الفضاء والذره، سيعتبر أمراً مستهجناً لدى البعض، على اعتبار ان الدين التقليدي شأنه في ذلك شأن الطب البدائي والمحراث الذي يجره الحصان سيختفي حتماً مع تقدم الثقافة والتعليم الحديثين، إلا أن ذلك لا يعنى اغفال الدور الذي لعبه الدين في الحياة الأمريكية، والذى برز بقوه في ظل قيادة بوش والمحافظون الجدد. فكما يقول

المؤرخ الإغريقي (بلوكارل) : قد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصور... ومدن بلا مدارس ... ولكن لم توجد أبداً مدن بلا معابد.

خطة البحث

مشكلة البحث :

العلاقة بين الدين والدولة في امريكا منذ نشأتها وحتى الآن واثر ذلك على الحياة الامريكية ونشأة النظام الرأسمالى ومواقف امريكا تجاه كثير من المواقف والقضايا الداخلية والخارجية، حيث سيتم تناول اثر البعد الدينى على السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي الاسرائيلى كدراسة حاله وسيتم تناول ذلك من خلال الاجابه على الاسئلة التالية:

١- من هم المستوطنون الاوائل لامريكا والى اى مدى تأثروا بافكار الاصلاح الديني

٢- ما هي طبيعة الافكار التى نادت بها حركة الاصلاح الدينى وكيفية انتقالها الى امريكا واثرها على المهاجرون الاوائل .

٣- هل كان لافكار الاصلاح الديني اثر في نشأة النظام الرأسمالى، وما هي اهم تجليات هذا الاثر.

٤- كيف يمكن الحديث عن دور للدين في امريكا وهى دوله علمانية تفصل الدين عن الدوله.

٥- ما هي العلاقة القائمه الان بين الدين والدوله في امريكا وعلاقة ذلك بالاصولية المسيحية المتطرفه وانعكاس ذلك على السياسة الامريكية.

الفرضية الاساسية

لعب الدين دورا اساسيا في تشكيل الثقافة الامريكية قديما وحديثا، بحيث لا يمكن فهم كثير من التصرفات الامريكية الخارجية والداخلية الا من خلال البحث في جذورها الدينية.

منهجية البحث

سيتبع البحث المنهج التاريخي والمنهج التحليلي الوصفي والمنهج المقارن، ومنهج دراسة الحالة، لاننا هنا بازاء ظاهره تاريخية ممتدة لاكثر من اربعة قرون تحتاج منا الوصف والتحليل والمقارنه، حالة دراسية للوصول الى اهداف البحث.

اهداف البحث:

١- محاولة القاء الضوء على الدور المهم الذي لعبه الدين في تشكيل الثقافة الامريكية

٢- اظهار اثر الدين على كثير من المواقف الامريكية تجاه العالم

٣- ابراز دور الدين في تشكيل السياسة الامريكية الحالية (كنموذج) تجاه القضايا العربية والاسلامية, وبالذات تجاه الصراع العربي الاسرائيلي.

أهمية البحث

تتمثل أهمية البحث في أنه:

١- يدرس العلاقة بين الدين والدوله في امريكا في إطار السياق العام للتاريخ الامريكي خلال اربعة قرون.

٢- يقدم للقارئ والمثقفين في الوطن العربي صورة حقيقة عن العلاقة وطبيعة التفاعلات بين الدين والمجتمع الامريكي ، الأمر الذي يُضيف ابعادا مهمه لفهم المجتمع الامريكى ومنظومة القيم التى قام على اساسها.

٣- يساعد على فهم كثير من التصرفات الامريكية الداخلية والخارجية وعلاقتها بالايمان الدينى، وبالذات ما يتعلق منها بالصراع العربي الاسرائيلي والهجمة الامريكية الحالية على العالم العربي والاسلامي.

٤- البحث حاول ان يوضح الى اى درجه بلغ ثأتير الكتاب المقدس في فهم الامريكيين لانفسهم وللعالم، وكيف كانت كلماته هاديا وملهماً لهم في كثير من المواقف الآنية

والمستقبلية، وهذا يمكن ان يساعد على التنبؤ بالتوجهات المستقبلية لامريكا تجاه المنطقة العربية والعالم.

٥- البحث يبرز بوضوح الفرق بين الطوائف المسيحية وبالذات الكاثولكية والبروتستانتية، وهذا يمكن ان يكون اساس للتعامل معها بعيدا عن التعميمات الخاطئة.

حدود الدراسة : مكانياً (اوروبا وامريكا) وزمانياً ١٦٢٠الى الآن.

الدراسات السابقة

بالرغم من حداثة تناول موضوع الدين في امريكا من قبل الكتاب والمفكرون العرب، الا ان بروز تيار المحافظون الجدد وحديث بوش عن حرب صليبية ساعد على ظهور عدد من الدراسات في هذا المجال، سواء من كتب ودراسات مترجمه او دراسات وضعها مؤلفون عرب .

١- د. محمد عارف زكاء الله - الدين والسياسة في أميركا: صعود المسيحيين الإنجيليين وأثرهم- ترجمة :أمل عيتاني- الناشر :مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ,بيروت - الطبعة : الأولى/٢٠٠٧

تنبع أهمية هذا الكتاب من كونه يناقش الخلفية التاريخية لتصاعد نفوذ المسيحيين الإنجيليين، ودورهم في صناعة السياسة الأميركية

٢- جورج مارسدن-الدين والثقافة الأمريكية- ترجمة صادق عوده- الطبعة الاولى ٢٠٠١- دار فارس للنشر والتوزيع

يؤرخ هذا الكتاب للتاريخ الديني ، ويتناول المسيحية والأصول الأمريكية، وعصر الإحياءات الديمقراطية، وأمريكة البروتستانتية والتقدمية، والتعددية، والدين التقليدي وثقافة القرن العشرين الأمريكية، والعودة إلى الإيمان، واتساع التيار الرئيسي للانجليلة، وبحث أمريكة المجزأة عن روح، والنهضة الإنجيلية والمستقبل المتوقع.

٣- أ. مكدوجال - أرض الميعاد والدولة الصليبية، أميركا في مواجهة العالم منذ ١٧٧٦- ترجمه رضا هلال - دار الشروق القاهرة طبعة ٢٠٠٠ .

كما هو واضح من عنوان الكتاب يلجأ المؤلف الى الاستعارة الدينية، فتعبير أرض الميعاد مستعار من العهد القديم اليهودي، وتعبير الدولة الصليبية قصد به الإشارة الى العهد الجديد والى الصليب كرمز للتبشير وللتضحية من أجل خلاص البشرية، ومن ثم لعكس تصور الاميركيين عن أنفسهم وسلوك اميركا في الشؤون العالمية خلال القرن العشرين، من منطلق أن اميركا لها رسالة لخلاص البشرية.. رسالة لنشر الحرية والتقدم. ويحطم هذا الكتاب كل الأصنام فى معبد التاريخ للسياسة الأمريكية الخارجية منذ عام ١٧٧٦ وحتى اليوم ، ويكشف الكتاب الأساطير التى تحجب المعانى الحقيقية للمبادئ الأمريكية الأساسية : الاستثنائية الأمريكية – العزلة – المصير المبين – الويلسونية – الإحتواء. ويبين المؤلف المفارقة الهائلة بين السياسة الخارجية الأمريكية فى القرن التاسع عشر ، والتى كانت على أساس العهد القديم وأرض الميعاد ، وتلك السياسة فى القرن العشرين ، والتى قامت على أساس العهد الجديد والدولة الصليبية ، بدءا بالحرب الأسبانية الأمريكية ، وحتى حرب فيتنام . ويرى المؤلف ان الرؤيتان لازالتا تتصارعان حتى اليوم حول كيف ترى الولايات المتحدة دورها فى العالم ؟

٤- **محمد السماك – الدين في القرار الامريكي– بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٣م**

على الرغم من أن دستور الولايات المتحدة الأمريكية ينص على فصل الدين عن الدولة، فإن دور الدين لم يغب عن عملية اتخاذ القرار السياسي الأمريكي، خاصة عندما كان القرار يتعلق بالشرق الأوسط، إلا أن هذا الدور كان يتراجع إلى حد الانحسار، أو يتقدم إلى حد الانفجار، تبعا لمدى ابتعاد أو اقتراب الرئيس الأمريكي نفسه من حركة الأصولية الإنجيلية الأمريكية، التي تطلق على نفسها اسم «الصهيونية المسيحية.

والكتاب يحاول تبيان اثر الدوافع الدينية التي ابتدعها اليهود واتبعها بعض المسيحيين الإنجيليين، في القرارات السياسية التي تتخذها الولايات المتحدة، وإلقاء الضوء على خلفية القرار الأمريكي في الشرق الأوسط، وعلى دور الحركة الصهيونية المسيحية في صناعته، من خلال التركيز على مقومات الربط بين الدين والسياسة في عقيدة هذه الحركة منذ القرن الثامن عشر، وتقديم نماذج عن مدى تأثيرها في صناعة القرار السياسي في عهود رؤساء أمريكيين سابقين، وخاصة رونالد ريغان وجيمي كارتر كمدخل إلى عهد الرئيس جورج بوش الابن .كما يفصح الكتاب عن أسباب الدعم غير المحدود وغير المنطقي، الذي تقدمه الولايات المتحدة للكيان الصهيوني، ضاربة عرض الحائط بمصالحها وصداقاتها، وكيف أن المسيحية الصهيونية هي

المحرك الأساس للسياسة الأمريكية الحالية في المنطقتين: العربية والإسلامية، لا سيما وأن الرئيس بوش الابن ومعظم أعوانه ومستشاريه هم من أتباعها .

٥- غريس هالسل- النبوءة والسياسة- ترجمة محمد السماك - الناشر: دار الشروق

طبعة ١- ١٩٩٨

قامت في بريطانيا اولا، ثم في الولايات المتحدة، حركات دينية مسيحية إنجيلية، أهمها واقواها هي الحركة التدبيرية. وهذه الحركة تؤمن بأن الله هو مدبر كل شيء. وأن في الكتاب المقدس - وخاصة في سفر حزقيال، وسفر الرؤيا وسفر يوحنا- نبوءات واضحة حول الوصايا التي يحدد الله فيها كيفية تدبير شؤون الكون ونهايته: عودة اليهود الى فلسطين. قيام اسرائيل، هجوم أعداء الله على اسرائيل. وقوع محرقة هرمجدون النووية. إنتشار الخراب والدمار ومقتل الملايين. ظهور المسيح المخلص. مبادرة من بقي من اليهود الى الايمان بالمسيح. انتشار السلام في مملكة المسيح لمدة ألف عام. وتضم هذه الحركة أكثر من اربعين مليون اميركي، من بين أعضائها الرئيس الاميركي الاسبق رونالد ريغان، وتسيطر الحركة على قطاع واسع من المنابر الاعلامية الاميركية وبصورة خاصة المتلفزة، ويشارك قادتها كبار المسؤولين الاميركيين في البيت الابيض، والبنتاغون، ووزارة الخارجية، في صناعة قراراتهم السياسية والعسكرية من الصراع العربي - الصهيوني.

٦- مايكل كوربت ، جوليا كوريت- الدين والسياسة في الولايات المتحدة -ترجمته د.عصام فايز ، و د.ناهد وصفي - دار الشروق بمصر.

يقدم هذا الكتاب نظرة شاملة عن اختلاط الدين بالسياسة في أمريكا منذ الهجرة المبكرة إليها ، وإقامة المستعمرات فيها حتى أواخر القرن العشرين . ويشير المؤلفان إلى أنه لا يمكن فهم التاريخ الأمريكي المعاصر من دون فهم جدلية العلاقة بين الدين والسياسة التي تكون المنظور الكامل للتاريخ الأمريكي، ويعتقدان أن جذور الأحداث التي تعرفها أمريكا المعاصرة تعود إلى الثقافة القائمة. وتعرض الكتاب إلى أهمية الدين في الحياة الأمريكية ، مستشهداً باستخدام النصوص الدينية من جانب الساسة الأمريكان. وتناول كذلك تغلغل الدين في حياة الأمريكيين العامة والخاصة مثل شن الحرب وتبرير أسبابها ، وتنظيم الحياة الشخصية انطلاقاً مما يجب فعله أو الامتناع عنه ، أو تبرير العبودية والفصل العنصري أو رفضها.

٧- يوسف الحسن- البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني - الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية -الطبعة الثالثة ٢٠٠٠

٨- يوسف العاصي الطويل - الصليبيون الجدد "الحملة الثامنه" -دراسة في اسباب التحيز البريطانيى والامريكي لاسرائيل - مكتبة مدبولي/ القاهرة- الطبعة الاولى ١٩٩٥

الدراسة الحالية

تأتي هذه الدراسة إسهاماً متواضعاً في محاولة تعميق البحث بشأن علاقة الدين فى الحياه الامريكية واثره على كافة مناحي الحياة، وتصحيح بعض المعتقدات الغير دقيقه عن دور الدين في الحياة المعاصره، مما سيساعد على تفهم اكبر للمجتمع الامريكي والسياسة الامريكية تجاه المنطقة العربية والاسلامية بل والعالم، ومواجهتها ووضع الخطط السليمه للتصدي لها على اسس علمية سليمه وبالذات فيما يتعلق بالصراع العربي الاسرائيلى واتخاذ امريكا للعرب والمسلمين كعدو بديل بدعوى محاربة الارهاب.

وتتميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة بالآتي:

١- الدراسة جزء من مشروع بحثي شامل للباحث يحاول تفسير الظاهرة الدينية في امريكا واثرها على كافة مناحي الحياة الامريكة

٢- سبق للباحث ان اصدر عدة ابحاث في هذا المجال حاولت تفسير موقف امريكا من الصراع العربي الاسرائيلي - الحرب على افغانستان- الحرب على العراق- احداث ١١ سبتمبر

٣- الدراسه تحاول تأصيل دور الدين في الحياة الامريكية كدوره في نشأة الراسمالية - النظام العالمي الجديد - التباين في التروات- التوسع- صدام الحضارات ..الخ باعتبار الدين هو الاساس الذي انطلقت منه كافة هذه الافكار

مصادر الدراسة

اعتمد الباحث في إعداد هذه الدراسة على عدد من كبير من المصادر سيتم ارفاقها في نهاية البحث

الفهرس

مقدمه ٢

خطة البحث ٤-٩

الفصل الاول (١٤-٢٧)

الدين ودوره في نشأة الامه الامريكية

تمهيد

بداية الاستعمار الاوروبي ١٥

حركة الاصلح الديني وهجرة البروتستانت الى امريكا ١٦

العهد القديم بين الكاثوليك والبروتستانت ١٧

بريطانيا والاصلاح الديني ١٩

البيوريتانيون و تشكيل الفكر الامريكي ٢٠

الأصولية المسيحية وعلمانية الغرب ٢٢

الدول الكاثوليكية والعلمانية ٢٣

الدول البروتستانتية والعلمانية ٢٤

رأى فولتير في الدين ٢٥

رأى كانط في الدين ٢٦

الفصل الثاني (٢٨-٤٩)

دور الدين في نشأة الرأسمالية والسير على خطى يهوه

نسق الدين ونشأة النظام الرأسمالي عند ماكس فيبر ٢٨

قضايا النسق

العوامل ذات الصلة بالنظام الرأسمالي : ٢٩

سيادة النزعة التقشفية – ازدهار العلم الحديث – ازدهار التكنولوجيا – تقسيم العمل – تقديس العمل – إضاعة الوقت – التبرير الديني لتخفيض الأجور واستغلال العامل

السير على هدى وصايا يهوه ٣١

التباين في الثروات ٣٢

التبرير الديني للنهب والسلب والإبادة ٣٤

أمريكيا ولاهوت الاستعمار العبراني ٤٠

ثقافة أهل الحدود ٤٤

الفصل الثالث (٤٩-٧٢)

دور الدين في الحياة الأمريكية الحديثة

العالم الجديد اقيم على اساس ديني ٤٩

الديني والعلماني ٥٣

مستويات عالية من التدين في العصر الحديث ٥٣

الديني والعلماني ٥٥

أمريكا تقف في صف الله وتنفذ إرادته ٥٧

الأصولية الأمريكية المتطرفة ٦٠

علاقة الدين بالدولة الأمريكية الحديثة ٦١

الأصولية المسيحية والنظام الدولي الجديد ٦٥

النظام الدولي الجديد .. والنظرية الكونية للتاريخ ٦٦

الحرب الباردة وحلم تأسيس إمبراطورية أمريكية ٦٨

عصر التنوير الجديد ٧٠

ولادة النظام العالمي الجديد ٧١

الفصل الرابع (٧٣-٩٢)

جورج بوش والدولة الصليبية

بوش.. طغيان الحماس الديني على البصيرة السياسية ٧٤

آل بوش ٧٤

رجال بيض اغبياء ٧٥

الإعداد لترشيح بوش للانتخابات ٧٧

تزوير الانتخابات ٧٧

من مقارعة الخمر إلى الأصولية المسيحية ٧٨

جدلية الدين والسياسة في تفكير الرئيس بوش	٨١
مكانة بوش على الخريطة الدينية الأميركية	٨٢
علاقة بوش مع الكنيسة الكاثوليكية	٨٣
بوش واليهود وإسرائيل	٨٤
بوش والمسلمين	٨٦
بوش والحرب الصليبية	٨٨
بوش يركب الزوبعة ويوجهه العاصفة	٩٠
إعلان الحرب من كاتدرائية	٩١
النتائج والتوصيات	**٩٣**
ملخص الدراسه	**٩٥**
المصادر والمراجع	**٩٧**

الفصل الاول

الدين ودوره في نشأة الامه الامريكية

تمهيد

تشير المعطيات التاريخية إلى أن الهنود الحمر كانوا أول من سكن القارة الأمريكية منذ القدم (حوالى ١٠٠٠٠)، حيث كانت لهم ثقافة مزدهرة، عاشت في ظلها القبائل الهندية المختلفة بسلام ووئام، وظلوا بعيدين عن التأثر بالعالم الخارجي بسبب وجودهم على الطرف الآخر من المحيط . ولكن ذلك لا يعنى أنهم كانوا بمعزل كامل عن العالم كما يعتقد البعض، وكما يروج الغرب لذلك لأسباب استعمارية ليعطي نفسه الحق في نهب هذه البلاد لأنها من اكتشافه هو . أي الغرب. وهنا تجدر الإشارة إلى أن العرب المسلمين قد وصلوا إلى أميركا، قبل كولومبوس بخمسمائة سنة، حيث وصل الملاح (خشخاش بن سعيد القرطبي) إلى جزر البحر الكاريبي عام ٨٨٩ م ، ثم وصل بعده (الملاح بن فروخ الأندلسي) إلى جزيرة جامايكا عام ٩٩٩ م. وعندما وصل كولومبوس إلى ميناء بالوس في كوبا عام ١٤٩٢م لم يجرؤ على النزول في تلك المنطقة ، عندما شاهد قبة مسجد بالقرب من الشاطئ فحول اتجاهه إلى جزيرة صغيرة، وقد كان يظن نفسه متجها إلى الهند في طريق التفافي لا يسيطر عليه العرب والمسلمون.

> وكولومبوس نفسه كان عام ١٤٦٧م بحارا مغمورا في سفينة عربية أبحرت على سواحل أفريقية ، ثم وصلت البرازيل دون أن يعرف أنه وصل إلى قارة جديدة، وعندما أبحر بعد ذلك بربع قرن بتمويل وتشجيع من الملكة (إيزابيلا) ملكة أسبانيا ، كان ثلث بحارته من العرب ويعتمد على خرائط وأدوات عربية، أما أول من وصل إلى القارة الأمريكية فهو الملاح الفينيقي (ماتو عشتروت) عام ٥٠٨ ق.م ، ثم الملاح القرطاجي (روتان) عام ٥٠٤ ق.م. وتدل الآثار المتبقية والدراسات على اندماج وتأثر واضح لسكان أميركا بالعرب دون أن تطمسهم الحضارة العربية أو تفنيهم" (هلباتش، ب، ت).

وفي كتابه عن الهنود الحمر، قام الكاتب التشيكي فلاديمير هلباتش بجمع حكايات الهنود الأميركيين وأساطيرهم متيحاً نافذة نادرة لمعرفة ثقافة أمة لم يعد لها وجود إلا في كتب التاريخ ، ومراجع الأنثروبولوجيا. فقد كان للهنود الأمريكيين ثقافة مزدهرة ، مفعمة بالمعاني الإنسانية

الراسخة، وكان وصول الأوروبيين بداية لانحسارهم ، بل وانقراضهم . فمن أبرز ما محاه تاريخ المنتصر إعجاب الغزاة بروعة ما شاهدوه لدى الهنود من أفكار وتقنيات وشرائع وعادات وفنون وفلسفه حياة وأساليب بلاغيه وفصاحة لسان. "ولكن تاريخ المنتصر وحش لا يسمن ويقوى إلا بلحم الفرائس الآدمية، لقد محا الحسنات وأباد أهلها المحسنين، ولم يترك منهم إلا تلك الصورة الهوليوديه المشوهة لكائنات عراة متوحشين ، ينبت في رؤوسهم الريش ، ويعوون في البراري كما تعوي الضباع"(العكش، ٢٠٠٢، ص١٧٤).

بداية الاستعمار الاوروبي لامريكا

عندما وصل الأوروبيون إلى أمريكا، وجدوا فيها شعوبا ذات حضارات عريقة، كونوا فوق أرض القارة ممالك وإمارات منذ آلاف السنين ، ولهم عاداتهم الخاصة بهم وأديانهم وأزيائهم، وكان هؤلاء السكان الذين سماهم الأوروبيون هنودا حمرا يعيشون في رغد من العيش ، ويمارسون الأنشطة الحضارية من زراعة وصناعة وتعدين، يرتادون البلاد شرقا وغربا ، ويكتشفون المناجم ويستغلونها. كما أقام حكام هذه البلاد من الهنود الحمر الهياكل والمعابد والقصور الشاهقة ، ومنها أهرمات تشبه أهرمات الجيزة إلى حد ما ، وان لم تكن في ضخامتها، وكان هؤلاء السكان يعرفون الفنون المتطورة من حفر ونقش وإقامة للنصب والتماثيل، كما كان لهم باع طويل في أساليب الزراعة ،واستغلال الأرض، واستئناس وتربية المواشي، وكان من هذه الشعوب . أيضا بدو رحل وظيفتهم الصيد والترحال (عبد السلام، ٢٠٠٥، ص ٣٩).

وصل كريستوفر كولومبوس (١٤٥١-١٥٠٦) (الرحالة الايطالي المشهور) إلى جزء من امريكا بتمويل من الملكة الاسبانية (ازبيلا) بهدف ايجاد مستعمرات جديدة للامبراطورية الاسبانية وبهذا كان أول من أنشأ ارتباطات دائمة بين أمريكا والقارات الأخرى، حيث أسس الاسبان مدينة فلوريدا عام ١٥١٣، وحاولوا تأسيس مدن جديدة في شمال أمريكا، ولكنهم لم ينجحوا بدرجة كبيره، ولكن جاء الانجليز وكانوا اول من نجح في ذلك، حيث تم تأسيس مدينه على شاطئ ولاية فيرجينيا الحالية عام ١٦٠٧ ، سميت (جيمس تاون)، وقام بعد ذلك بعض المهاجرون من المتديين الانجليز الذين فروا من الاضطهاد الديني في انجلترا بأسسيس ولاية ماساتشوستس عام ١٦٢٠.

وهكذا "أقدم نوعان من الناس على اقتحام العالم الجديد لبناء المستعمرات أوائل القرن السابع عشر الميلادي ، كانا، كلاهما، يبحثان عن مصيريهما. إلى فرجينيا

مـع الكـابتن جـون سـميت ذهـب المغـامرون والحرفيـون سـعياً وراء الثـروة. وإلـى ماساتشوسـتش مـع حـاكم الولايـة (جـون ونثـروب) ذهـب الحجـاج والطهريـون (البيوريتـانيون) بحثـاً عـن الفردوس. هـذان الـدافعان ظـلا يحركـان عمليـة التوسـع الأمريكية منذ ذلك التاريخ"(برستوفتز، ٢٠٠٣، ص٤٣).

حركة الاصلح الديني وهجرة البروتستانت الى امريكا

اظهر القرن الخامس عشر الميلادي تحولات عميقة في النفس المسيحية الغربية على الأقل . مع بزوغ ما عرف بحركة الإصلاح، وما استتبعه ذلك من انشقاق سياسي وعقائدي داخل الديانة المسيحية بشكل عام، والكاثوليكية الغربية بشكل خاص، ولم يكن الانشقاق داخل الكنيسة ـ رغم الطابع الأيديولوجي الذي اصطبغ به . بعيداً عن صراعات السيادة بين الأمم الأوروبية يومها، خصوصاً بين فرنسا وإنجلترا وألمانيا، فقد انحازت الكنيسة الكاثوليكية إلى جانب فرنسا، مما جعل الشعبين الإنجليزي والألماني يميلان إلى اعتناق المذهب البروتستانتي الذي يدعو للتحرر من سلطة الكنيسة.

والمعروف ان التراث الديني في كُلٍّ من بريطانيا وأمريكيا، يستمد أصوله من المذهب البروتستانتي السائد في هاتين الدولتين، والذي نشأ مع حركة الإصلاح الديني التي قادها مارتن لوثر في القرن السادس عشر ضد الكنيسة الكاثوليكية في روما . حيث دعا إليه لوثر من وجوب إقامة الحقيقة الدينية على أساس الفهم الشخصي دون الخضوع لفهم رجال الدين لها. فأصبح كل بروتستانتي حر في دراسة الكتاب المقدس وتفسيره ، واستنتاج معنى النصوص بشكل فردى مع عدم الاعتراف بأن فهم الكتاب المقدس وفقاً على رجال الكنيسة وحدهم . وهذا الوضع أدى إلى فتح الباب على مصراعيه أمام أصحاب البدع والأضاليل، مما أدى إلى تعدد الفرق البروتستانتية نفسها حتى وصل عددها الآن إلى أكثر من ٢٠٠ فرقة في مذهب لم يتعدَ وجوده أكثر من أربعة قرون!(مظهر، ١٩٨٤، ص ٢٣١).

كما أنه في ظل هذا المذهب ازداد الاهتمام بالعهد القديم (التوراة) تحت شعار العودة إلى الكتاب المقدس باعتباره مصدر العقيدة النقية، مع عدم الاعتراف بالإلهامات والتعاليم غير المكتوبة التي يتناقلها الباباوات الواحد عن الآخر، والتي تعتبر مصدراً مهماً من مصادر العقيدة المسيحية.
وهكذا أصبح العهد القديم يشكل جزءاً مهماً من مصادر العقيدة البروتستانتية، فأصبح هو المرجع الأعلى للسلوك والاعتقاد، ومصدراً للتعاليم الخلقية والمعلومات التاريخية أيضاً، حيث أن العهد

القديم يتكون من ٣٩ سفراً يذهب أغلب الباحثين إلى أنه لا يمكن نسبة إلا خمسة أسفار- تجاوزاً . إلى سيدنا موسى، أما الباقية فهي عبارة عن سجل لتاريخ بنى إسرائيل في فلسطين، بالإضافة إلى بعض الأسفار والنبوءات التي كتبها حاخامات اليهود على فترات متفاوتة من الزمن.

ويمكن القول أن جمع الكتابين(العهد القديم والعهد الجديد) في مجلد واحد هو من التحولات البارزة في عالم الأفكار والأديان، حيث إنه مع عصر النهضة وحركة الإصلاح الديني، أخذت التفسيرات الحرفية والشخصية للعهد القديم تنتشر وتسود، وذهب أتباع هذه الحركة إلى الاقتناع بأن ما ورد في العهد القديم هو نبوءة حرفية عن المستقبل . وخرجت من بطن هذه الحركة وتفسيراتها عقائد عبرت عن المدى الذي وصلت إليه عملية تهويد المسيحية، من بينها العقيدة الألفية، وهى عقيدة تعود في جذورها إلى اليهودية، لكن البروتستانتية أحيتها وجعلتها فكرة مركزية في عقيدتها، وتدور حول عودة المسيح المخلص الذي سيحكم العالم لمدة ألف عام، حيث يسود خلالها السلام والعدل في مجتمع الإنسان والحيوان. وعلى الرغم من أن العهد القديم لم يذكر نصاً حول هذه العقيدة التي تتحدث عن نهاية الأزمنة، فإن عناصر يهودية روجت لهذه العقيدة في عدد من المؤلفات والكتب، تعبيراً عن تطلع يهودي لفكرة الملك المقدس في المستقبل، والذي يأتي علي هيئة ماشيح عبراني، في حين رأت المسيحية التقليدية في هذه العقيدة نوعاً من الهرطقة والكفر، واعتبرت الكنيسة الكاثوليكية هي مملكة المسيح (الحسن، ٢٠٠٣، ٩، مارس) .

العهد القديم بين الكاثوليك والبروتستانت

بالرغم من ان المسيحية تشترك مع اليهودية في ما يسمى بالعهد القديم، الا المسيحية أضافت إليه العهد الجديد الذي تحدث عنه السيد المسيح، حيث تختلف المسيحية عن اليهودية في تفسير هذا الجزء المشترك المسمى بالعهد القديم، ولكل من الطرفين تفسير لاهوتي مختلف، وإن بقيت الكثير من طقوس العبادة والحياة المسيحية، لكن الخلاف الجوهري والفاصل في ما بينهما هو على هوية يسوع الناصري (صبرا، ٢٠٠٣، ١٥، فبراير) وتفسير العهد القديم . ولهذا فقد كان العهد القديم (التوراة) مهملاً قبل حركة الإصلاح الديني ، حيث كان الاعتماد الأساسي على العهد الجديد ، ورسائل الرسل ، والإلهامات غير المكتوبة للباباوات، وكانت اللغة العبرية لغة ميتة، حيث كانت الأساطير الكاثوليكية ترى أن دراسة اللغة العبرية تسلية الهراطقة، وأن تعلمها بدعة يهودية.

فالكنيسة الكاثوليكية عملت على تطوير الكنيسة عبر العصور، وخلصتها من الكثير من العناصر الوثنية العالقة بها، وخصوصاً العهد القديم ؛ بل إنه كان هناك اتجاه في بدايات العهد المسيحي لإلغاء العهد القديم، وعدم اعتباره ضمن الكتب القانونية الدينية، لكن اتجاهاً آخر رأى في حذفه خسارة للمسيحية، إذ يعني ذلك حرمان الكنيسة من حقها في وراثة اليهودية . لكن هذا الأمر تطلب من الكنيسة المسيحية محاصرة العناصر الوثنية في العهد القديم، وتقديم تفسيرات مجازية ورمزية لكل ما جاء فيه. فكلمات : القدس ، أو أورشليم أو صهيون أو الأرض الموعودة .. الخ عند الكاثوليكية، تحمل معاني روحية، وتقع في السماء، وليست أسماء لأمكنة حقيقية على الأرض . كما رأت في مسألة عودة اليهود إلى فلسطين أنها عودة تمت قبل ميلاد المسيح حينما عاد بعض اليهود من سبي بابل في القرن الخامس قبل الميلاد، وان أمر اليهود انتهى كشعب يحفظ وديعة ويسلمها للمسيحيين، وأن الشعب المختار هو كل من يؤمن بالله.

وبناء على هذا التفسير الجديد للعهد القديم اعتبرت المسيحية التقليدية أن ما ورد في العهد القديم هو أحداث وقعت في الماضي ، أو نبوءات تم تحقيقها، وان ما جاء في العهد الجديد هو ثورة على العهد القديم، وفقاً لما جاء في إنجيل يوحنا " لو كنتم أبناء إبراهيم لعملتم أعمال إبراهيم" ورأت أن كل القصص التي رواها العهد القديم هي رموز لحالات روحية وأخلاقية . ذلك إن إسرائيل الجديدة مثلاً هي الكنيسة.

كما تؤمن الكاثوليكية التقليدية أن إبراهيم عليه السلام عندما اخذ الوعد من الله بالأرض لم يفهمه على انه تصريح له من الله بسرقة الأرض من مالكها، حتى لو كانت الأرض هبة من الله فهي مشروطة بطاعة الواهب . كما ترى . أيضا . أن العهد مرتبط بتحقيق وصايا الله وطاعته لا رفض حكمه، وان ارض الميعاد الحقيقية عند المسيح هي الأرض كلها، وكل ارض يتحقق فيها وعد الله .

> "فمن المحقق للمسيحي الحق ان (الوعد) الذي أنجز بمجئ يسوع المسيح لا يمكن أن يكون وعداً بأرض. فقد رفض يسوع المسيح في ثلاثة مواقف من الإنجيل رفضاً قاطعاً أن يربط رسالته بموضوع امتلاك أرض أو سلطة. وهكذا فالعهد الجديد الذي يعد البشرية كلها بالخلاص الأبدي يجعل من العهد القديم (عهداً) عفى عليه الزمن لأنه يعد شعباً مخصوصاً بأرض مخصوصه" (جارودي، (١٩٩١) ص١٥١، ١٥٢).

وبالنسبة للقدس . المدينة التي لم تتجاوب مع دعوة السيد المسيح ورسالته والتي حوكم فيها . لا ترى الكنيسة الكاثوليكية فيها علامة من علامات المجيء الثاني للمسيح . ولعل هذه التفسيرات، وهذا الإيمان، ما أبقى كتاب العهد الجديد منفصلاً عن كتاب العهد القديم، ولم يجمعا معاً في كتاب واحد أطلق عليه الكتاب المقدس، إلا مع ولادة حركة الإصلاح الديني (البروتستانتية) على يد الملك هنري الثامن عام ١٥٣٨، عندما تمت ترجمته إلى الإنجليزية وإتاحته للناس للقراءة، وقد تم ذلك عندما رفض البابا طلاق هنري من زوجته آنبولين مما دفعه إلى تبنى حركة الإصلاح الديني (الحسن، ٢٠٠٣، ٩، مارس) .

بريطانيا والاصلاح الديني

وطدت حركة الإصلاح الديني أقدامها في إنجلترا منذ أن أنفصل الملك (هنري الثامن) عن كنيسة روما في القرن السادس عشر، حيث لعب الخلاف بينه وبين كنيسة روما حول طلبه الموافقة على طلاق زوجته دوراً رئيسياً في انتشار البروتستانتية في إنجلترا، مما دفع الملك هنري إلى إصدار أمره الملكي سنة ١٥٣٨م إلى كنائس إنجلترا بإنهاء الوصاية الكهنوتية على الكتاب المقدس وتفسيره، وتمكين كل فرد من المؤمنين من الإطلاع على نصوص الأسفار المقدسة وتفسيرها التفسير الذي يمليه عليه عقله وضميره (بينتون، (ب. ت) .

> كما ساهمت طموحات الطبقة الرأسمالية الناشئة في حدوث هذا الانفصال، حيث كان التجار الأثرياء كارهين أشد الكره لسطوة الكنيسة الكاثوليكية وقيودها على التجارة والمعاملات المالية، وبخاصة فيما يتعلق بمسألة الفوائد على رؤوس الأموال (الربا) . حيث كانوا ضائقين أشد الضيق بما رأوه تدخلاً غير مشروع من جانب بيروقراطية كهنوتية أجنبية في أنشطتهم التجارية ومعاملاتهم المالية ومتضررين مما كانت تفرضه على تلك الأنشطة من ضرائب، فكان دعمهم وترحيبهم بحركة الإصلاح الديني للتخلص من نفوذ الكنيسة الكاثوليكية" (مقار، ١٩٩٢، ص ٦٦) .

ثم وصلت حركة الإصلاح الديني إلى ذروتها في إنجلترا في القرن السابع عشر، في عهد ما يسمى بالثورة البيوريتانية، عندما تولى أولفرت كروميل السلطة وأعلن الجمهورية، حيث شهدت نهاية الحرب الأهلية ظهور محاولة البيوريتانيين أصحاب المذهب الطهراني في الاستفادة من التسوية الثورية لغرض استكمال الإصلاح الديني ، وإقامة مؤسسة دينية جديدة تستند إلى

"البروتستانتية الربانية" ألحقة، تعم كلمتها المملكة وتستبعد الكثلكة مرة وإلى الأبد من الجسم السياسي البريطاني. حيث تم ذلك عند الإطاحة بالملك (جيمس الثاني) الكاثوليكي المذهب ، وهربه من البلاد وما تبع ذلك من وضع "لائحة الحقوق" عام ١٦٨٨م ، ووضع الإطار الديني الذي توج في فترة لاحقة بإقرار التسامح الديني التام بين جميع المذاهب (دون، ب، ت).

وفي عهد البيوريتاريين ازداد الاهتمام بالعهد القديم بشكل كبير، وأصبح كتابهم الوحيد الذي يستمدون منه فلسفتهم وأفكارهم ومعتقداتهم وطريقة سلوكهم. كما ازداد في عهدهم الاهتمام باللغة العبرية بشكل كبير جداً.

> "حتى جعلها بعضهم اللغة الوحيدة للصلاة وتلاوة الكتاب المقدس، وأقترح بعضهم أن يتضمن منهج التعليم العام في المدارس الثانوية دراسة العبرية، وظهرت لديهم نزعة التخلي عن المبادئ الخلقية المسيحية واستعاضوا عنها بالعادات والأخلاق اليهودية، بل إن إحدى مجموعاتهم المتطرفة دعت الحكومة الإنجليزية لإعلان التوراة دستوراً للقانون، وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فأعتنق اليهودية، أما الذين بقوا على مسيحيتهم فقد أخذوا ينظرون بعطف متزايد إلى أولئك الذين أطلقوا عليهم أسم شعب الله القديم "اليهود"(الشريف، ١٩٨٥، ص ٥٣) .

البيوريتانيون و تشكيل الفكر الامريكي

عندما بدأ الاستيطان الأوروبي لأمريكا كان معظم المهاجرين الجدد من البروتستانت، الذين فروا من الاضطهاد الديني الذي ساد أوروبا في ذلك الوقت، حيث هاجر إلي أمريكيا كثير من البيوريتان المتدينين، فراراً من الاضطهاد الديني الذي ساد إنجلترا أثناء حكم آل ستيوارت (النيرب، ١٩٩٧، ص٣٣)، حيث كانوا ينظرون إلى أنفسهم من منطلق خاص بهم .

> "فعلى غرار الخروج الجماعي المذكور في العهد القديم والذي هرب فيه اليهود من مصر ورحلوا إلى ارض جديدة وعدهم الرب بها، نظر البيوريتانيون لأنفسهم على أنهم الشعب المختار الجديد، ونظروا إلى العالم الجديد على انه إسرائيل الجديدة . أما العالم القديم بالنسبة لهم، فكان هو مصر التي فروا منها . لقد عقدوا عهداً مع الرب : انه إذا أمن الرب ذهابهم إلى العالم الجديد، فإنهم سيؤسسون مجتمعاً تحكمه القوانين الإلهية" (كوربت، ٢٠٠٢، ص ٤٤).

وهكذا كان هؤلاء المستوطنون الجدد يحملون معهم تراثهم الديني المستمد من العهد القديم، والذي أخذ يلعب دوراً رئيساً في تشكيل الفكر الأمريكي منذ ذلك الوقت. ومما قوى من أهمية هذا الدور، هو ربط هؤلاء المستوطنين بين تجاربهم التي مروا بها منذ رحيلهم من أوروبا وإنجلترا بالذات، وبين التجارب التي مر بها اليهود القدماء عندما فروا من ظلم فرعون إلى أرض فلسطين (الحسن، ١٩٨٦، ص ١١٩). خيث اعتبروا أمريكا هي (أورشليم الجديدة) أو (كنعان الجديدة) وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء حين فروا من ظلم فرعون (الملك الإنجليزي جيمس الأول) وهربوا من ارض مصر (إنجلترا) بحثا عن ارض الميعاد (الجديدة) (مكدوجال، ٢٠٠١، ص ٥) .

> "فقد رأى البيوريتانيين في تجربتهم الخاصة المتمثلة "بالهروب إلى البراري" من أوروبا المنحوسة مساوية لتجربة اليهود الذين قادهم موسى من مصر، غير أنها كانت أكثر بكثير من تجربة مساوية . لقد آمنوا بأن تجربتهم لم تكن في الحقيقة إلا تجسيداً حياً لتجربة الخروج . وقد فسروا تجربتهم على أنها تكرار للتاريخ الذي شكل شعب الرب القديم" (مركلي، ٢٠٠٣، ص ١٠٥).

فهم مثلهم مثل اليهود فروا من الظلم بحثاً عن الأرض الموعودة التي تدر لبناً وعسلاً، وجابهوا الصعاب في رحلتهم عبر المحيط، كما حدث لليهود في صحراء سيناء عند خروجهم من مصر . كما أنهم جوبهوا بمقاومة السكان الأصليين كما جوبه اليهود بمقاومة أهل فلسطين، وعندما كانوا يعلنون الحرب على أصحاب البلاد الأصليين، كانوا يستحضرون العهد القديم، حيث ثمة تشابه بين تجاربهم في حربهم مع الهنود الحمر، وتجربة اليهود في حربهم ضد الفلسطينيين في الماضي . لقد عانوا من الانقسام ومن تجارب الحرب الأهلية المرة بين الشمال والجنوب، كما حدث مع اليهود القدماء عندما انقسمت مملكتهم إلى مملكتين إحداهما في الشمال والأخرى في الجنوب.

لقد كان هؤلاء المستوطنون يعلمون أن الأرض التي استولوا عليها من سكانها الأصليين ليست أرضهم، كما أنهم يعلمون أن ما يقومون به من عمليات اضطهاد وقتل وتشريد للسكان الأصليين، يتنافى مع أبسط المبادئ الأخلاقية، فكانوا لذلك بحاجة إلى شيء يبرر لهم أفعالهم هذه ويضفي عليها نوعاً من الشرعية والأخلاقية ولو مزيفة، فلم يجدوا هذا التبرير إلا في العهد القديم. فكما أن اليهود القدماء برروا احتلالهم لفلسطين بالإدعاء بأنها الأرض الموعودة التي وهبها الله لشعبه المختار .كما يقولون فإن هؤلاء المستوطنون الجدد فعلوا نفس الشيء بالإدعاء بأن الله أختار العنصر الأنجلوسكسونى البروتستانتي الأبيض لقيادة العالم ، بل إنهم ذهبوا إلى

أبعد من ذلك عندما شبهوا الشعب الأمريكي بالشعب اليهودي الذي يسعى إلى دخول الأرض الموعودة.

ولأن زعم هؤلاء المهاجرين الأوائل بأنهم شعب الله المختار، لا وجود له في أي كتاب مقدس، فإن بعضهم سعى إلى إيجاد رابطة بينهم وبين اليهود الذين يدعون أنهم شعب مختار . لهذا فقد زعم أحد الكتاب ويدعى ريتشارد بروترز في كتابه (المعرفة المنزلة للنبوءات والأزمنة) بأن الإنجليز السكسون هم من أصل يهودي، على أساس أنهم ينحدرون من سلالات الأسباط التي أدعى اليهود أن أفرادها فقدوا بعد اجتياح الآشوريين لمملكة إسرائيل عام ٧٢١ قبل الميلاد (ربيع، (ب. ت) ص٤٦). وربما يفسر هذا الادعاء ما كتبه هيرمان ملفيل في بداية القرن التاسع عشر متحدثاً عن الشعب الأمريكي حيث قال : "نحن الأمريكيون شعب خاص، شعب مختار وإسرائيل العصر الحاضر" (جوليان، (١٩٧٠) ص ١٩) . يقول القس البروتستانتي صموئيل ويكمان في موعظته الشهيرة على ظهر السفينة (أرابلا) التي حملت أول مجموعه من البروتستانت البيورتانيين (التطهيريين) إلى خليج ماساشوستس:

> "أن أورشليم كانت لكن نيوانجلاند (المستعمرة الأولى) هي الموجودة الآن، وأن اليهود كانوا لكنكم انتم (البروتستانت التطهيريون) شعب الله المختار ، وعهد الله معكم فضعوا اسم نيوانجلاند مكان اسم أورشليم). وعندما وصلت المجموعة الثانية من المستوطنين إلى شاطئ نيو انجلاند على ظهر السفينة (ماي فلاور) عام ١٦٢٠ م وقعوا فيما بينهم (عهد ماي فلاور) الذي حددوا فيه طريقة الحياة التي يرغبونها وأسس المجتمع المثالي في أورشليم الجديدة أو إسرائيل الجديدة (أمريكا)... وذلك تمجيداً لاسمه تعالى، وترويجاً للدين المسيحي ..." (رافيتش، (١٩٩٨) ص٢٧) .

مما تقدم يتضح لنا أهمية الدور الذي لعبه التراث الديني المستمد من العهد القديم في تشكيل الفكر الأمريكي منذ بداياته الأولى، وهذا ما دفع والتر ماكدوجال في كتابه "أرض الميعاد والدولة الصليبية" إلى القول :

> "أن نشأة أمريكيا كانت نتيجة اندفاعية دينيه، بل أن مغامرة كولمبوس لم تكن إلا مغامرة دينيه وبكلمات كولمبوس فإن الرب جعله رسولا للجنة الجديدة والأرض الجديدة بعد أن حدثه بها يوحنا المقدس في سفر الرؤيا وأراه النقطة التي يجدها

عندها، أن اكتشاف أمريكا قبل أي شيء آخر كان نهاية حج عظيم ونهاية للبحث الروحي العظيم" (مكدوجال، ٢٠٠١، ص ٦) .

الأصولية المسيحية وعلمانية الغرب

من الأخطاء الشائعة لدى معظم المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين، اعتقادهم بلادينية الحضارة الغربية ، قياساً على الإفرازات الأخلاقية والفكرية لهذه الحضارة ، التي تفصل بين الدين والدولة. وهذا الاعتقاد خاطئ وربما يصدق على بعض الدول الغربية ، ولكنه لا يصدق عليها كلها. فهو يصدق على الدول الكاثوليكية مثل إيطاليا وفرنسا وأسبانيا، ولكنه لا يصدق على الدول البروتستانية مثل بريطانيا وأمريكيا .

الدول الكاثوليكية والعلمانية

الدول الكاثوليكية قبل أن تأخذ بمبدأ فصل الدين عن الدولة، كانت تخضع لسلطة البابا، وكان لزاماً عليها إطاعة أوامره، حيث بلغت سلطة البابا في ذلك الحين شأواً عظيماً. فقد كان البابا يدعى حق السيطرة الدينية والدنيوية على كل شيء ، وكانت الكنيسة تفرض ضريبة الأعشار على إتباعها وتجمع التبرعات وتضمها لمواردها الخاصة، فضلاً عن إعفاء أملاكها من الضرائب. وكان للبابا نواب يمثلونه لدى كافة الملوك والأمراء في أوروبا (الخشاب، ب. ت، ص ٢١٢) . ولكن عندما تأثرت هذه الدول بأفكار عصر التنوير وبحركة الإصلاح الديني ، قامت بفصل السلطة الدينية عن السلطة الزمنية، بحيث لم يعد للبابا أي سلطان عليها. ولكن هذا الدول عندما فعلت ذلك فإنها خالفت قرارات المجامع المسكونية، التي اعتبرت كل المسيحيين بمن فيهم الحكام خاضعين للبابا وملزمين بطاعة أوامره، لأنه رئيس الكنيسة التي تحمل سلطان الله على الأرض (شلبي، ١٩٧٩، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣).

وهذا الوضع الجديد الذى نشأ فى هذه الدول، نتيجة فصل السلطة الزمنية عن السلطة الدينية ، يجعل الحديث عن علمانية هذه الدول له ما يبرره، وربما هذا ما يفسر قوة الأحزاب الشيوعية في البلدان الأرتوذكسية والكاثوليكية ، في حين أنها غير قوية في البلدان الأخرى، وعلى الأخص في البلدان البروتستانتية . فمن بين الأعمال المبكرة لماركس، والتي لم تحظ بالكثير من الشهرة، تعليق كتبه على إنجيل يوحنا. يجزم ماركس فيه بأن "المسيحية، بصيغتها البروتستانتية على وجه الخصوص، هي الشيء الوحيد القادر على إعادة صنع حياة دمرتها الخطيئة (كارفر، ٢٠٠٣)، لأن العامل عندما وجد انه مبعد عن مجتمع تدعمه الأوساط الكاثوليكية، انضم إلى اكليروس

آخر مستكمل التكوين (دلماس، (١٩٨٢)، ص ٨٣) ، وهذا يعنى أن الدين الذي وصفه ماركس بأنه افيون الشعوب، هو الدين المسيحي بشقه الكاثوليكي والارثوذكسي، وليس الدين المسيحيى بشقه البروتستانتي ، الذي مدحه ماركس وغيره من مفكري التنوير كما سنلاحظ، بسبب فصله بين الدين والدولة .

الدول البروتستانتية والعلمانية

أن الدول البروتستانتية مثل بريطانيا وأمريكيا ، بتبنيها للمذهب البروتستانتي، قبلت بمبدأ فصل السلطة الزمنية عن السلطة الدينية ، الذي نادى به (لوثر) خلال محاولته تحجيم سلطة الكنيسة الكاثوليكية، كما وضحنا ذلك سابقاً.

> فإلى جانب الإصلاحات الدينية الكاسحة التي قام بها (مارتن لوثر) و(جون كالفن) ، فإنهما ربما اقترحا إلغاء الصلة التي تربط بين الكنيسة والدولة ، والتي كانت تمثل جزءا أساسيا في الكاثوليكية في ذلك الوقت. ولكن في الحقيقة أيد كل من (مارتن لوثر) و(جون كالفن) إضفاء الطابع الرسمي على الكنائس التي أسهما في تأسيسها" (كوربت، ٢٠٠٢، ص ١٥).

وقد جاءت بعد لوثر فرق بروتستانتية متعددة مثل المعمدانيين لتؤكد هذا المبدأ، حيث كانوا أول من نادى بمبدأ فصل الدين عن الدولة ، لأسباب دينية أصولية أدعوا خلالها بأن الكنيسة في بدايتها الأولى لم يكن لها أي علاقة بالدولة. لهذا فإن الدول البروتستانتية مثل بريطانيا وأمريكيا عندما قامت بفصل الدين عن الدولة ، فإنها فعلت ذلك استجابة لعقيدة دينية، وليس استجابة لأفكار ونظريات فلسفية علمانية كما حدث في الدول الكاثوليكية والأرثوذكسية .

فنتيجة للثورة على الكنيسة الكاثوليكية خلال عصر الإصلاح ، رأي الغرب في العلمانية، كما قال الفيلسوف الإنجليزي البروتستانتي "جون لوك"[١]، الطريقة الجديدة والأفضل ليكون المرء متديناً، معتبرا أن الخلاص الروحي ينبغي أن يقوم على ترك الأفراد ليقرروا بأنفسهم في نهاية

---

(١) جون لوك اسم لامع في تاريخ الفكر السياسي الغربي، ولا يخلو كتاب له علاقة بالعلوم السياسية من اسم هذا المفكر. لوك الفيلسوف والاقتصادي والمجادل العتيد (١٧٠٤.١٦٣٢) عاصر فترة حرجة ومهمة في تاريخ ميلاد النظام السياسي البريطاني الحديث. وقد شهدت فترة حياته الحرب الأهلية وإعدام الملوك وإعلان الثورة وقيام الجمهورية، كما شهدت فترة تهدئة النزاع الديني الذي مزق البلاد منذ بداية الانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية في روما (١٥٣٤.٣٣) وتحول بريطانيا من دولة ملكية مطلقة إلى دولة ملكية دستورية ذات حكومة محددة المهام والصلاحيات.

المطاف، الطريقة التي يرشدهم بها الكتاب المقدس لتحقيق ذلك الخلاص، سواء كان ذلك عن طريق العمل الصالح أم برحمة من الله (دون، ب، ت). وهذه الطريقة الجديدة التي عرفت فيما بعد بالعلمانية، لم تكن تعني الابتعاد عن الدين، بل الاقتراب منه أكثر ولكن بدون وساطة من رجال الكنيسة، لهذا فإن الدين ظل يلعب دوراً رئيساً في حياة هذه الدول، بالرغم من أنها تفصل بين السلطتين الزمنية والدينية، لأن هذا الفصل لم يأتِ نتيجة لنزعة الحادية تنكرت للدين، بل جاء تلبية لمعتقد ديني.

وهذا الوضع الجديد للدين في هذه الدول يتمشى مع رأى (كالفن) في علاقة الكنيسة بالدولة، حيث كان يقول : إن الكنيسة والدولة مقدستان، وقد خلقهما الله لكي يعملا في انسجام كالروح والجسد لمجتمع مسيحي واحد. فعلى الكنيسة أن تضع القواعد التي تنظم التفاصيل الخاصة بالعقيدة والعبادة والأخلاق، وعلى الدولة أن تدعم هذه القواعد باعتبارها ذراع الكنيسة الطبيعي (ديورانت، (١٩٨٨) ص ٢١٥). وهكذا أصبح لفصل الدين عن الدولة معنى جديد في ظل المذهب البروتستانتي... أنه توزيع للمهام أو تقسيم للعمل حسب تقاليد النظام الرأسمالي.

رأى فولتير في الدين

من المفكرين الذين هاجموا نشاط المنظمات والمؤسسات الدينية الكاثوليكية، الفيلسوف الفرنسي (فولتير) الذي تربى في مدارس الآباء اليسوعيين ، فوقف عن كثب على أساليب جماعة الجزويت الدينية، وكان لهذا أثره في مهاجمته الكنيسة الكاثوليكية ، إذا أنه كان يعتقد أن هذه الجماعات وأمثالها من الهيئات الدينية ، تقوم بممارسة نواحٍ تدميرية سرية ، وتشترك في المؤامرات والاغتيالات السياسية، كما أنهم يتسترون وراء المظهر الديني والهدف الثقافي ليسيطروا على عقول النشء، ويستغلونهم لتحقيق أغراضهم ، التي تتنافى مع طبيعة وظيفتهم الاجتماعية كهيئة دينية. ويبدو أن وقوفه على مثل تلك الممارسة الخطيرة ، والأحداث الجسيمة التي ألصقت بالقساوسة، قد كان من أهم العوامل المحفزة له على الشك في رجال الدين ، ونقمته على المذهب الكاثوليكي وكنيسته. ويبدو أنه لم يتخذ موقفاً خاصاً إزاء الدين ذاته، لأنه عالج الموضوع من زاويته الشخصية. ففي الوقت الذي هاجم وانتقد رجال الكنيسة الكاثوليكية، امتدح المذهب المسيحي البروتستانتي ورجال كنيسته، زاعماً أن هذا المذهب لا يخرج عن حدود طبيعته الدينية إلى الأغراض الاجتماعية الملتوية التي تقصد إلى تحقيق أغراض سياسية واقتصادية تجارية ومالية.

"والواقع أن آراء فولتير، تعتبر امتداداً طبيعياً للنزعة التحررية من ربقة السلطة الكنسية والبابوية التي كانت تمارس منظماتها ألواناً من النشاط التدميري، لتحقيق أهدافها النفعية بما يحفظ لها السطوة والسيطرة في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يبدو لنا أن فولتير يندد بفكرة الاضطهاد الديني أكثر من تنديده بالوظيفة الاجتماعية للهيئات الدينية، ومعنى ذلك أن حملاته ضد الكنيسة الكاثوليكية كان مرجعها إلى تعصبها ضد الطوائف الدينية الأخرى كالبروتستانتية. وآية ذلك أنه يشير في فلسفة التاريخ إلى أن الدين مظهر فطرى للمجتمع الإنساني عن طريقه يتحقق السلام والوفاق بين الأفراد والجماعات. فإذا حاد عن وظيفته الاجتماعية الطبيعية أصبح معول هدم، وأساس اضطهاد ، وعامل تفرقة ومشاحنات"(الخشاب، ب. ت، ص ١١٣) .

وانطلاقاً من فهم (فولتير) السابق للدين، لم يكن مستغرباً أن يبدى إعجابه بالمذهب البروتستانتي في رسائله عن الانجليز:

"فقد إثارة دهشته الحرية التي كان يعمل في ظلها الكتاب الانجليز. فقد كتب (بولينج بروك) و(بوب واديسون) و(سويفت) كل ما أرادوا في جو من الحرية التامة. هنا شعب له آراؤه الخاصة به، شعب أصلح دينه وشنق ملكه، واستورد ملكا آخر، وأنشأ مجلسا نيابيا أقوى من أي حاكم في أوروبا. ولا وجود لسجن الباستيل هنا، وهنا ثلاثون مذهباً دينيا بغير قسيس واحد . هنا أشجع المذاهب الدينية جميعا، مذهب الأصحاب (الكويكرز) ، الذين أثاروا دهشة العالم المسيحي بأخلاقهم المسيحية"(راسل، (١٩٨٣) ص٢٥٨) .

رأى كانط في الدين

سار الفيلسوف الالماني (عمانوئيل كانط) على نفس النهج في موقفه من الدين، وانتقد ممارسات رجال الكنيسة الكاثوليكية والكثير من طقوسها ، حيث قال :

"إن قيمة الكنائس والمعتقدات الدينية تكون بمقدار ما تعاون الجنس البشرى على التطور والرقي الأخلاقي، أما إذا تحول الدين إلى مجموعة من المراسيم والعقائد والطقوس الشكلية ، وعلق الناس أهمية بالغة على هذه الطقوس والمراسيم وفضلوها على الناحية الأخلاقية ، التي جاء بها الدين ، وجعلوا المراسيم والطقوس

امتحانا تقاس به الفضيلة، فان هذا يعنى انتهاء أمر الدين وزواله. إن الكنيسة الحقيقية هي جماعة من الناس، مهما بلغ تفرقهم وانقسامهم يجمعهم ويوحدهم ولائهم لقانون أخلاقي مشترك. وقد عاش المسيح ومات لتأسيس مثل هذه الجماعة. لقد أسس المسيح الكنيسة الحقيقية للقضاء على نفاق ورياء رجال الدين ومراسيمهم ، وطقوسهم الشكلية، ولكن ظهر بيننا طبقة كهنوتية من رجال الدين والقساوسة بطقوسهم ومراسيمهم التي طغت على فكرة الديانة المسيحية الأصيلة النبيلة. لقد قرب المسيح ما بين ملكوت الله والأرض، ولكن أخطأنا في فهمه فاستبدلنا مملكة الله بمملكة الرهبان والقسيسين، التي نشأت بيننا" (راسل، (١٩٨٣) ص٣٥٦) .

هذا هو رأي (فولتير) و(كانط) وغيرهم من مفكري عصر التنوير في فرنسا وألمانيا، والذين أصبحوا في نظر كثير من المفكرين العرب والمسلمين مثالاً يحتدي في قضايا الدين والحرية، حيث دعا هؤلاء الى الانقضاض على الدين وتحييده من حياتنا، والاقتداء بالغرب والأخذ بالعلمانية. وليتهم فهموا مقاصد هؤلاء المفكرين جيداً ودوافعها، ولكنه التقليد غير الواعي للغرب فقط لاغير. فكما لاحظنا فإن (فولتير) يمجد الدين في شقه البروتستانتي وينقم على الدين المسيحي في شقه الكاثوليكي . فهي ليست رؤية . أحادية للدين ترفضه رفضاً تاماً كما يريد بعض مفكرينا ومثقفينا، بل هي دعوة إصلاحية للدين تلتقي في النهاية مع . أفكار قادة الإصلاح الديني البروتستانتي التي فصلت الدين عن الدولة ، ولكن بدون إلغاء دور الدين في الحياة العامة والخاصة، بل ألغت سلطة رجال الكنيسة فقط، أو بالأحرى نزعت السلطة من يد البابا والكنيسة الكاثوليكية ومنحتها لكافة أفراد الشعب .

الفصل الثاني

دور الدين في نشأة الرأسمالية والسير على خطى يهوه

هذا الدور الجديد للدين، في الدول البروتستانتية، ربما يفسر لنا كيف أن بعض الباحثين يذهبون إلى أن النظام الرأسمالي بأسره . والسائد في هذه الدول . هو وليد منظومة القيم الدينية ، التي جاءت بها حركة الإصلاح الديني وبالذات القيم الكالفينة ، لأن الإصلاح الذي وضعه كلفن طمس إصلاح(لوثر) وتفوق عليه في مكان تلاقيهما(دلماس، (١٩٨٢)، ص ٥١، ٦٢) . كما أن الدكتور (غيات بوفلجه) يؤكد في كتابه "بين حضارة القوة وقوة الحضارة" أن الحضارة الغربية المعاصرة هي نتيجة لتطور المذهب البروتستانتي في أوروبا، وتطور الفلسفات المادية وازدهار التقنية الحديثة بها، إذ ربط التطور العلمي بمدى قدرة الإنسان على الطبيعة، وعلى أخيه الإنسان (بوفلجة، ب، ت).

نسق الدين ونشأة النظام الرأسمالي عند ماكس فيبر

اعتبر (ماكس فيبر) البروتستانتية وخاصة في أفكارها الكالفنية مصدر الإلهام الحقيقي لنشأة النظام الرأسمالي، إذ يؤكد أنها شكلت نسقاً ثيولوجياً له معناه، حيث أحتوى هذا النسق على عدد من القضايا التي شكلت في مجموعها نسقاً منطقياً له تماسكه واتساقه وهذه القضايا هي :

١. أن هناك إلهاً واحداً ترانسندنتالياً (متعالياً) ومطلقاً ، هو خالق الكون ومالكه، حيث خصائص ومجالات فعله بدون الوحي بعيدة تماماً عن الفهم البشرى .

٢. أن هذا الإله قادر على كل الأرواح الإنسانية لأسباب بعيدة تماماً عن الإدراك البشرى، أما (الخلاص النهائي أو الموت والخطيئة الكاملة) فتمثل اعتقادات ثابتة من الأزل إلى الأبد، وليس للإيمان أو الإرادة البشرية تأثير عليه.

٣. أن الله لأسباب غامضة تتعلق به، خلق العالم، ووضع الإنسان بمفرده بداخله ، وذلك لمضاعفة مجده .

٤. ولهذه الغاية فلقد قرر الله أن على الإنسان، دون اعتبار إلى أنه قد قدر الخلاص عليه أم الإدانة ، أن يعمل لتأسيس مملكة الله على الأرض، وأنه سوف يخضع أثناء ذلك للقانون الإلهي .

٥. ترك مسائل هذا العالم ذات الطبيعة البشرية والجسدية لذاتها ، بحيث تذهب إلى غير رجعة (إلى الموت أو الخطيئة) حيث لا مهرب منها إلا باللجوء إلى تحقيق مجد الله" (ليله،١٩٨١، ص ٥٠٧، ٥٠٨) .

العوامل ذات الصلة بالنظام الرأسمالي

شكلت العناصر السابقة في مجموعها كما يذهب (فيبر) نسقاً قيمياً يحكم ويضبط حركة التفاعل فى النسق الرأسمالي . كما أن النسق الاجتماعي شهد هو الآخر ظهور عوامل ذات صلة بنشأة الرأسمالية تتصل بنشأة البروتستانتية ذاتها مثل :

١. سيادة النزعة التقشفية : يرى (فيبر) أنه نظراً للتعالي الكامل لله ، والانفصال بين المسائل الدنيوية والسماوية، فإن هذا الوضع استبعد تماماً الاتجاه الصوفي للاتحاد بروح السماء والاستغراق في إطارها، بل أصبح على الإنسان أن يوجه طاقاته الدينية نحو الاتجاه الايجابي التقشفي ، بدلاً من الاتجاه الصوفي السلبي. فالله لا يمكن الاقتراب منه كلية، وإنما يمكن خدمته فقط . ووفقاً لذلك فخدمة الله لا يمكن أن تكون في اتجاه الاستغراق الكامل في المسائل الحسية لهذا العالم أو التكيف معها، ولكنها تكمن في السيطرة على كل ما هو حي ، وفى الخضوع للنظام من أجل مجد الله، وهذا ما يعنيه (فيبر) بالنزعة التقشفية. ويرتبط بذلك أن العمل من ناحية (وهو قيمة كالفنية) والتقشف ، وعدم إنفاق المال فيما هو دنيوي من ناحية أخرى يؤدى إلى التراكم العقلاني لرأس المال. (الخشاب، ب. ت، ص ١٠٠) .

٢. ازدهار العلم الحديث : يعتبر ازدهار العلم الحديث من العوامل الهامة لازدهار الرأسمالية، حيث يعتبر (فيبر) ذلك من نتائج الاعتقاد بصيغة الإله المتعالي. فما دام العالم اللامتناهي هو من خلق الله، فأفضل السبل لمعرفة الله هو أن ندرس أعماله .

٣. ازدهار التكنولوجيا : يرى فيبر أن ازدهار التكنولوجيا جاء نتيجة لرفض المنطق التقليدي لانجاز الأعمال، فهي تنطوي على أداء أكثر كفاءة لتحقيق مجد الله ، كما تملى ذلك القيم البروتستانتية فى مذهبها الكالفنى .

٤. تقسيم العمل : تعتبر ظاهرة تقسيم العمل والمهن في المجتمع عند (فيبر) كنتيجة مباشرة للتطور الإلهي للأشياء. فتباين البشر إلى الطبقات والمهن يعتبر بالنسبة (لمارتن لوثر) نتيجة مباشرة لإرادة السماء. فمواظبة الفرد ومثابرته في موقعه في إطار الحدود التي عينها الله له ، تعتبر بالنسبة له واجباً دينياً .

٥. تقديس العمل : يرى (فيبر) أن الكالفنية، دعت إلى تقديس العمل ؛ لأن هناك اعتراض أخلاقي على الركود إلى الدعة ، استناداً إلى ما قد يملكه الشخص. لأن الإنسان على الأرض ينبغي لكي يتأكد من تحقيق مجد الله أن ينجز أعمال الله الذي خلقه في يومها. فلا فراغ ولا متعة، ولكن عليه أن يبدل النشاط فقط ؛ لمضاعفة مجد الله وإظهار إرادته الواضحة. ويفسر "ماكس فيبر" ذلك في "كتاب البروتستانتية والرأسمالية"، حيث يرى أن الكالفني غير المطمئن إلى انتخابه، كان يفتش عن ازدهار أشغاله المثمرة، وحيث أنه لم يكن واثقاً من نجاحه لينصرف إلى الراحة، عمد إلى تشغيل أمواله مرات عديدة، وجنى أرباح عظيمة بطريقة حسابية دقيقة (دلماس، (١٩٨٢)، ص ٦٣) .

٦. إضاعة الوقت : يعتبر إضاعة الوقت ذنباً دينياً، لأن حياة الإنسان قصيرة جداً وقيمة، ومن تم فإضاعة الوقت من خلال الفراغ والترف أو النوم بأكثر مما تحتاجه الصحة ، يجلب الإدانة الأخلاقية. فضياع ساعة وقت تعنى ضياع ساعة عمل في تأكيد مجد الله. وعلى ذلك فالتأمل السلبي لا قيمة له، ويستحق الإدانة إذا كان على حساب العمل اليومي. فليس اسعد لله من الانجاز الايجابي لإرادته .

٧. التبرير الديني لتخفيض الأجور واستغلال العامل : يؤكد (فيبر) أن رفع اجر العامل يعنى أنه سوف يجد لديه أكثر مما يحتاجه لإشباع حاجاته التقليدية وبالتالي سوف يدفعه ذلك إلى التقليل من كم العمل. ولما كان الإنسان الذي لا ينتج مادامت لديه الصحة والقدرة ، هو الإنسان الذي يغفل مسئولياته الأخلاقية، فإن تخفيض اجر العامل تكون له مبرراته الدينية. فيجب علينا كما يقول (فيبر) أن نأخذ بالحكمة الكالفنية التي تقول : أن البشر يعملون فقط ماداموا فقراء (ليله،١٩٨١، ص ٥٠٧).

هكذا شكلت العناصر السابقة المستمدة من المذهب البروتستانتي في مجموعها كما يذهب فيبر نسقاً قيمياً، كان مصدر الإلهام لنشأة النظام الرأسمالي. فالديانة التي استصلحت أصلحت بدورها الخلق الاقتصادي. لقد كانت تخشى تراكم الثروات، ولكنها كانت تحارب سوء استعمال الثروة لا

تجميعها، وحكماء انكلترا المجددون، حاولوا الجمع بين روح الأعمال ومقتضيات العقل، ومن هنا نشأ مبدأ المنافسة والصراع (دلماس، (١٩٨٢)، ص ٦٢) .

السير على هدى وصايا يهوه

قرنت نصوص التوراة والعهد القديم باستمرار وبإلحاح لافت للنظر، بين الثراء والوفرة المادية لدى الفرد ولدى الجماعة، وبين "السير على هدى وصايا يهوه"، باعتبار الثراء والوفرة نعمة ، ينعم بها يهوه على من يطع أوامره ويلتزم بنواهيه، وباعتبار الفقر والجوع والشقاء الدنيوي عقاباً ، يعاقب به يهوه ممن يعصِ أوامره ولا يلتزم بنواهيه (مقار، ١٩٩٢، ص ٧٨) ، وهذا ما يوضحه بجلاء بالغ هذا النص:

"فإذا سمعتم لوصاياي أعطي مطركم في حينه المبكر والمتأخر. فتجمع حنطتك وخمرك وزيتك .. فتأكل وتشبع. فاحترزوا لئلا يحمى غضب يهوه عليكم ويغلق السماء فلا يكون مطر ولا تعطى الأرض غلتها. فتبيدون سريعاً.. انظر.. أنا واضع أمامك اليوم بركه ولعنه. فالبركة إذا سمعتم لوصايا يهوه إلهكم ..واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب يهوه" (التثنية١١:١١.١٥ و ٢٨.٢٦).

ولما كان المتطهرون هم ورثة الصلاح البروتستانتي، لذلك كانوا يعلمون أنها كانت غلطة رومانية كاثوليكية، أن يظن بأن الأعمال الطيبة والصدقات يمكنها أن تمحوا وشم الخطيئة، لان هدف الدين هو تمجيد الرب ذي الجلال والإكرام. وحيث أن أوامره ـ جل جلاله . ليست سهلة التنفيذ لذلك فإن رحمته لا تحل إلا بالمؤمن (بيري، (١٩٩٠) ص ٧١) .

وعندما أخذت البروتستانتية ذلك الكلام من عجزه، فقالت : إن كل من لم يتصف بالمبادأة، ولم يجد لديه القدرة على أن يقوم بأمر نفسه اقتصادياً، مثلما تعين عليه القيام بأمر نفسه دينياً، فابتلى بالفقر والجهل والمرض وداسته الأقدام، لا حق له في أن يلوم أحداً إلا نفسه، لأنه شرير وسيئ وخاطيء ورديء وإلا لما كان جلب على نفسه فراغ خزانته ، والخيبة في كل ما يفعل ، وما تمتد إليه يده، كانت البروتستانتية بذلك مستنده بظهرها الورع بقوة وتمكن إلى أخلاقيات العهد القديم ، الذي زودها بكل ما افتقدته من سند إلهي في التعاليم المتسامحة للسيد المسيح، الذي لم يكتف بأن دعا إلى الرحمة والتراحم وصنع السلام، بل تمادى في نقضه للناموس ، الذي ادعى أنه جاء ليكمله وقال: "ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى

ملكوت الله، لأن دخول جمل من ثقب إبره أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله. (لوقا ١٨ :٢٤) " (مقار، ١٩٩٢، ص ٧٩).

هكذا قدمت البروتستانتية الكثير من الأفكار، التي حملها الأوروبيون إلى العالم الجديد، حتى أن بعض المؤرخين اعتبروها المكون الرئيس في حوافز المستوطنين الجدد في أميركا، حيث كانت حملات الدعاية لمعظم المشروعات الإنجليزية الاستعمارية، عبارة عن فقرات تناشد أوائل المستعمرين بتقديم العون السياسي أو المالي، أو مواعظ كنسية تدعو للمسافرين بالتوفيق من الله، أو قصص تفاؤل عن مغامرات البحار .كانت تؤكد عظمة العناية الإلهية أكثر من أمجاد البشر. كذلك تعكس تلك المقتطفات أن رجال الإنجليز في القرن السابع عشر الميلادي كانوا يحبون تبرير أعمالهم بعبارات فضفاضة من علم الكونيات الديني.

"كما كان واضحاً بأن هناك توجها للعناية الإلهية يسري في سائر كتابات أصحاب ذلك المشروع الاستعماري، فهم يتكلمون عن أنه رغم كون الجميع من الناس مشاركين في خطيئة آدم، إلا أنهم يحتفظون بموهبة العقل ، التي تمكنهم من استغلال الحيوان والنبات وممالك المعادن. وهم بأعمالهم الأنانية كانوا ينفذون خطة مقدسة تفضي إلى الوفاق النهائي، وهكذا فإن الله تعالى . على حسب ما يراه الكتاب الإنجليز .قد أخر استعمار العالم الجديد إلى ما بعد الإصلاح الديني البروتستانتي لكيلا تقع أميركا بغير منازع في حضن الظلام البابوي" (بيري، (١٩٩٠) ص ١٢) .

هذه الخلفية الدينية المستمدة من العهد القديم، والتي تمسك بها المسيحيون البروتستانت، باعتبارهم رسل العناية الإلهية، التي يجب أن يلتزموا بحرفية تعاليمها، لكي يحصلوا على البركة والرخاء، ولكي لا تحل عليهم النقمة، هي التي يمكن أن توضح لنا سبب الجشع والطمع وحب المال الذي يتمتع به الأمريكان، باعتبار أن ذلك هو إطاعة لأوامر الله .

وقد اكتشف (توكفيل) هذه الحقيقة، وكان أول محلل ومراقب ثاقب البصيرة للولايات المتحدة منذ عام ١٨٤٠م في كتابه الأساسي عن هذه الدول ، وكانت . لا تزال . وليدة حين قال: "لم أعرف شعباً مثل هذا الشعب استولى فيه حب المال على قلوب البشر، انه شعب من شراذم المغامرين والمضاربين" واليوم . أيضا

نستطيع أن نتعرف في تاريخ هذا الشعب على أسس انحطاط ثقافته" (جارودي، ٢٠٠٢، ص ٤٨).

التباين في الثروات

لم يكن غريباً أن (مارتن لوثر) مؤسس المذهب البروتستانتي ، اعتبر الملكية معيارا للتفريق بين الإنسان والحيوان، ولهذا اتهم القديس الاسيزي بأنه مختل العقل، طائش أحمق شرير لمجرد أنه كان يطلب من أتباعه إن يتخلوا عما لديهم للفقراء. ومنذ نزولهم في جيمس تاون عام ١٦٠٧م ، لم يستطع القديسون أن يميزوا بين السماء وعجل الذهب (لقد وجدنا أرضا واعدة أكثر من أرض الميعاد فبدلا من اللبن وجدنا اللؤلؤ وبدلا من العسل وجدنا الذهب) (العكش، ٢٠٠٢، ص١١٧).

فمنذ وطأت أقدام المستعمرين الأوربيين أمريكا ، ودخلوا في صراع دموي مرير مع الهنود الحمر سكان . القارة الأصليين . وجد رجال الدين أنفسهم في خدمة الحرب الجديدة . وعندما انطلقت دعوة الدارونية الاجتماعية . وجدت الكنيسة فيها مبرراً لهذه الخدمة العسكرية. وكان من بين رجال الدين الأمريكيين الذين اعتنقوا الدارونية الاجتماعية عدد غير قليل، منهم الكاهن "جوسيان سترونج" ، الذي قال:

> "إنه طبقا لصراع وتفوق النوع الانجلو . سكسوني، يظهر في أمريكا نوع من الناس كبار الأجسام أقوياء فارعو الطول. وقال: أن العنصر الأمريكي سوف يملأ القارة ، ويزحف نحو الأقطار الأخرى في أمريكا الجنوبية وإفريقيا ، وما ورائها وستكون نتيجة هذا الزحف تفوقه والقضاء على الأجناس الأخرى لان البقاء للأصلح" (عماد، ٢٠٠٣، ص 19) .

ولما كانت الحيوانات . في نظرية دارون . غير متساوية وأن أفضلها هو أقواها واقدرها على التكيف مع متطلبات البيئة، فكذلك أفراد الجنس البشري ، هم مختلفو القدرات، وأفضلهم هم أقدرهم على التكيف خلال عملية (الصراع من أجل البقاء) ، ولذلك فإن المساواة فكرة خاطئة تكرس التخلف والمرض في المجتمع أما (حرية الصراع) فإنها تولد الشجاعة والتدريب والذكاء والعمل . وهكذا لعبت القيم الدينية المستمدة من التوراة دوراً رئيساً في تبرير الطبقية والغنى والفقر، والذي انعكس بدوره على القيم التى يقوم عليها النظام الرأسمالي برمته.

"ومن أبرز الناطقين بلسان هذا الاتجاه (وليم جراها صومنر William G Sumner) الذي كانت آراؤه الاقتصادية تطبيقات لنظرية الانتقاء والبقاء للأصلح، وخلاصة آرائه في هذا المجال ما يلي:

١. التنافس المطلق الذي لا تقيده قيود أساس الحياة الاقتصادية، والذين ينجحون في جمع الثروة هم أفضل العناصر في المجتمع، والذين يفشلون هم العناصر السيئة، ولذلك لا تجوز الصدقة على الفقراء لان معناه تكريس الضعف في المجتمع.

٢- إن تنافس بني البشر في ميادين الثروة ، كتنافس الحيوان في جمع الغذاء ، ولذلك لا داعي للفقراء أن يلوموا الأغنياء، وإنما هم مسئولون عن عجزهم عن التكيف والنجاح في ميدان الصراع، لأن الحقيقة الأولى في الحياة هي الصراع من أجل البقاء، وأعظم مظاهر هذا الصراع هو توفير رأس المال والثروة .

٣. إن أصحاب الملايين هم حصيلة الانتقاء الطبيعي ، الذي يعمل في المجموعة البشرية كلها لانتقاء أولئك الذين لديهم قدرات الإنجاز" (عماد، ٢٠٠٣، ص ٧، ٨) .

وبالرغم من ما أحدثه الإيمان بهذه الأفكار، من تفاوت متزايد في الثروات وبالتالي في السلطات، داخل أمريكا ، والذي كان أحد أسباب ظهور الطبقية، وتجمع الثروة في أيدي حفنة قليلة من الأفراد، أفقرت الآخرين ثقافياً ومادياً، الا ان الأمريكيون الأصوليين يعتقدون أن ما تتمتع به أمريكا من رخاء وثراء وتفوق دليلاً لا يدحض على أن الله ذاته يوافق الأمريكيين على إيمانهم بأنهم هم العالم، وأنهم المكلفون بتنفيذ مشيئته والقيام بعمله على الأرض، ويكافئهم على ذلك بالرخاء والثراء والقوة (مقار، ١٩٩٢، ص ٤١٤) .

"كما أن الرئيس المؤمن (رونالد ريجان) أعلن أن ثراء ورخاء الولايات المتحدة يرجع إلى كونها (أمة مباركة من الله)، ولكن أحد رجال الدين الأسبان تجرأ على استهجان ما قاله (ريجان) واصفاً إياه بأنه (تجديف وهرطقة) ؛ لأن ثروة وقوة الولايات المتحدة لا تأتي من مباركة الله، ولكنها ترجع إلى استغلال العالم وبخاصة العالم الثالث، عبر التبادلات غير المتوازنة وغير المتعادلة، وفرض استيراد المنتجات الأمريكية بالقوة وغزو رؤوس الأموال الأمريكية للدول التي

تنخفض بها المرتبات ، وعبر الفوائد الاستغلالية للقروض" (جارودي، ٢٠٠٢، ص ١٠٩) .

وهكذا أوجد الإيمان بهذه الأفكار تبايناً صارخاً في الثروات ، جعلت واحداً في المئة فقط من الشعب الأمريكي يهيمنون علي ثروات تزيد أضعاف المرات علي ما يمتلكه ثمانون في المئة من الشعب مجتمعين . ويمتلك (بيل غيتس) من الثروة ما يعادل ثروة مدينة أمريكية تعداد سكانها نصف مليون نسمة. ومع ذلك، فقد صنّف المكتب الأمريكي العام للإحصاء في مطلع القرن الواحد والعشرين حوالي ٤٠ مليون أمريكي كفقراء كثير منهم مشردون دون مأوي. وفي كل مدينة أمريكية كبيرة توجد أحياء فيها فقر مدقع، وبذلك توجد عوالم ثالثة في أمريكا نفسها. وقد وصف (روبرت إي دافولي) المدير التنفيذي لإحدى الشركات الأمريكية العملاقة، النظام الأمريكي بقوله:

"إن الرأسمالية هي انحراف وتضليل. لدينا أعلي معدلات الجريمة في العالم، ولدينا أناس يعيشون علي قارعة الطريق دون أن يلقي أحد لهم بالاً. فقد أفرز نظام الرأسمالية الاستعمارية المستمد من القيم الدينية البروتستانتية، تفاوتاً وعدم مساواة بين الأمم علي صعيد العالم كله، وهو أمر آخذ في التزايد. وهناك ٣٥٨ ملياردير يتربعون علي ثروة مجمعة تعادل إجمالي ما يملكه أفقر ٢,٥ مليار إنسان علي ظهر الأرض" (زلوم، ٢٠٠٣) .

التبرير الديني للنهب والسلب والإبادة

"في كتابه عن نظريات الاستعمار الإنكليزية يعتقد كلاوس كنور : إن الإنكليز أكثر القوى الاستعمارية الأوروبية ممارسة وتعمدا للإبادة وان هدفهم النهائي في العالم الجديد كما في استراليا ونيوزيلانده وكثير من المناطق التي يحتاجونها هو إفراغ الأرض من أهلها ، وتملكها ، ووضع اليد على ثرواتها. فخلال هذه المسيرة التي بدأت بايرلندا ولن تنته بعد، تحكمت عقدة الاختيار الإلهي والتفوق العرقي بسلوكهم وبنادقهم، واستحوذت على أخلاقهم وعقولهم .. وهذا ما أوهمهم بأنهم يملكون حق تقرير الحياة والموت لكل من عداهم، وأنهم أيضا في حل من أي التزام إنساني قانوني تجاه الشعوب ، التي يستعمرونها لا باعتبار أنها أعراق منحطة وحسب ، بل لأنها في الغالب مخلوقات متوحشة لا تنتمي للنوع الإنساني"(العكش، ٢٠٠٢، ص٥٨) .

ولم ينج من هذا التصنيف البيولوجي أقرب الناس إليهم وجيرانهم في الجزيرة وشركاؤهم في البياض والنضارة ، فلطالما لازمت الايرلنديين صفة التوحش wild Irish وقالوا عنهم إنهم يعبدون الشيطان، وأنهم أجلاف عراة أحلاس الغابات والمستنقعات، يعيشون على نوع من لحم البشر ، أو من لحم أمهاتهم اللواتي كانت لهن أذناب طويلة، وكن متوحشات يأكلن أطفالهن.

> "وعندما نزلت أول دفعة من المستوطنين الإنجليز من سفنهم الثلاث عام ١٦٠٧م إلى اليابسة على شاطئ فرجينا في أمريكا الشمالية ، فإنهم لم يقوموا فقط ببناء مستوطنة تقوى مركز إنجلترا في مواجهة جارتها الأوربيات، بل جلبوا معهم أفكاراً وعادات شكلت الأساس ، الذي قامت عليه ممارساتهم العرقية في المجتمع الأمريكي. وأول ما جلبوه معهم إحساسهم كإنجليز بالتفوق العرقي والثقافي ، واعتقادهم بأن البروتستانتية هي التعبير الحقيقي عن الإيمان المسيحي، وإيمانهم بأن التطهيريين (البيوريتان) هم خير من يمارسها في شكلها الصحيح. واعتبر الإنجليز كل من يختلف عنهم بأنه من مرتبة أدنى منهم. وقد ساد هذا الموقف وترك أثره على كل التفاعلات التي حدثت في المجتمع الأمريكي" (عناية، ٢٠٠٢، ص ٢٤).

لقد أعطى الأميركيون البيض معركتهم من الهنود الطابع الديني وكأنهم يخوضونها بالنيابة عن الله والمسيح، ليبرروا اضطهادهم سكان البلاد الأصليين وسرقة أرضهم. فعندما زحف (أبناء الرب) من جزيرة روانوك في اتجاه الغرب لم تكن حروب الإبادة والتطهير العرقي وحرق المحاصيل، ومصادرة الأراضي، وإطعام الأطفال الهنود للكلاب إلا مظاهر (إرادة الله . يهوه) في العهد القديم (العكش، ٢٠٠٢، ص ١٥٢).

وهذه العقلية المتعالية – التي لم تر في الآخرين (وهم الهنود في هذه الحالة) سوى وثنيين مجردين من إنسانيتهم، ومن حقوقهم ، ولا يستحقون المواطنيه ، لأنهم بكل بساطة تحت (قبضة الشيطان) ، ويتربصون بالولايات المتحدة شرا ، ويريدون لها أن تصير أرضا نظيرة للجحيم – هذه العقلية المتعالية، ليست بعيدة عن فكرة (شعب الله المختار) ، وهي رؤيا كانت كافيه لاستعباد السود والدعوة إلى استحالة دمجهم في الأمة الأميركية ، لذلك تركوا على هامش الحياة وتم التعامل معهم كأدوات خادمه للآلة الاقتصادية الأميركية. ولقد استند التطهيريون الإنكليز لتبرير مطاردتهم للهنود وسرقة أراضيهم إلى سفر يشوع ومنطق الإبادة المقدسة في العهد القديم ، وكتب أحدهم يقول :

"بديهي أن الرب يدعو المستوطنين إلى الحرب ، فالهنود اعتمدوا على عددهم وأسلحتهم كما فعلت قبائل النقب القديمة : العمالقة والفلسطينيون متحالفين مع غيرهم ضد شعب إسرائيل). هكذا وفي ظل هذه الذهنية مورست الإبادة الجماعية ضد الهنود ، وكأن هؤلاء الهنود هم الذين غزوا أراضى المستوطنين ، فيما كان المهاجرون ينهبون أراضيهم ويدمرون حياتهم" (عماد، ٢٠٠٣، ص 74، 75).

يقول (ميشال بوغنون) في كتابه "أميركا التوتاليتارية":

"إن استيطان أميركا كان يجري في الأصل في سياق أيديولوجي ثنائي القطب، أولا: الاغتناء المادي ، وثانيا: تمجيد الإنجاز الإلهي. فالأمة الأميركية ورجال الكنيسة والمثقفون الأوائل هم شعب الله المميز ، الذي جاء على قدر، فوليام مستوغتون (١٦٣١-١٧٠١م) يرى أن الله اختار مواطني أميركا بعناية، فغربلهم كما تغربل الحبوب لفصل البذرة الصالحة عن غيرها. وجون وينثروب حاكم مستوطنة ماساشوستس عام ١٦٢٩ م حتى وفاته في العام نفسه، ذهب إلى وصف نفسه وأصحابه بأنهم في خدمة المسيح وأنهم يرتبطون معه بميثاق، وأنهم أعضاء جسم فريد موحد، وهم شعب الله المختار وإله إسرائيل بينهم" بوغنون، ب، ت).

وكان هؤلاء الغزاة الأوائل يسمون بالحجاج أو القديسين ، وكانوا يعتبرون هذا العالم الجديد بديلا عن (أورشليم) ، والأراضي المقدسة، ولهذا فقد سموه بكل الأسماء التي أطلقها العبرانيون على بلاد كنعان ، وما يزال التاريخ الأميركي إلى الآن يضفي على هؤلاء الحجاج قداسة طوباوية ، ويعتبرهم أول نموذج للاستثناء الأميركي الذي فضله الله على العالمين ، وأورثه ما أورث بني إسرائيل من قبل، وجعل العهد الذي عقدوه مع الله على متن سفينتهم الأسطورية Mayflower من اللحظات النادرة الخالدة في التاريخ الإنساني ، كما يقول الرئيس الأميركي (جون آدامس) .

"فعهدهم مع الله جب عهد الإسرائيليين القدامى ، وتأسيس مستعمرتهم على صخرة بليموث ضاهي تأسيس الكنيسة على صخرة بطرس . قضية هؤلاء (الحجاج) هي الأصل الأسطوري، لكل التاريخ الأميركي ومركزيته العنصرية وما يزال كل بيت أميركي يحتفل سنويا في (عيد الشكر) بتلك النهاية السعيدة ، التي ختمت قصة نجاتهم من ظلم فرعون البريطاني و (خروجهم) من أرضه و (تيههم) في البحر و

(عهدهم) الذي أبرموه على ظهر سفينتهم مع يهوه ووصولهم في النهاية إلى ارض الميعاد". (عبد الحكيم، ٢٠٠٥، ص ٣٧).

ويعتبر هذا العيد الطقسي . الذي يبجله الأميركيون . وطنيا ودينيا أكثر من أي عيد آخر (بما في ذلك عيد الاستقلال)، من أكثر أعياد أميركا قدسية، في هذا العشاء الطقسي الذي يذبحون فيه سنويا بين عشرين وثلاثين مليون (ذبيحة) قربانا لله الذي وقف منذ اللحظات الأولى لاستعمار أميركا إلى جانب شعبه الإنكليزي المختار، يستعيد الأميركيون أسطورة تاريخهم بكل ما يعنيه طقسية الاحتفال بالاسطوره، فهو طقس يتضمن تقديس فتح الاستعمار الاستيطاني ، والتأكيد على التفوق الطبيعي والأخلاقي للمستعمرين ، وهو تأكيد على صدق الأسطورة وحياتها المتجددة، وهو احتفال برعاية الله لكل عناصر أسطورة الولادة المقدسة للتاريخ الأميركي، وهو من خلال هذا الطقس الاحتفالي . يؤكد على التسامي بالأسطورة ومعايشتها كدين (العكش، ٢٠٠٢، ص ٣٩).

فأمريكا تعزو بشكل جزئي هويتها الوطنية إلى انتشار مثل هذه الأساطير القوية التي انبثقت في أوائل تاريخها، حيث يرتبط كثير من هذه الأساطير (بالآباء المؤسسين) ، الذين أسسوا هذه البلاد، بينما يرتبط بعضها الآخر بخبرات بناء الأمة، وقد تكون أقوى هذه الأساطير ، تلك التي تطورت من جراء خبرة الرياديين وانبثاق الأمة وأن بيان المصير . كما يسميه علماء التاريخ . هو الاعتقاد بأن الاستيطان في تلك الأراضي الشاسعة غير المسكونة وترويضها من قبل المستوطنين الأوروبيين ، كان حدثا تم بموجب مقاصد إلهيه، فالله اصطفى الأمة الأمريكية من بين الأمم والشعوب وفضلها عليهم ، وجعلها شعبه المختار وذلك من أجل قيادة العالم وتخليصه من الشرور (العكش، ٢٠٠٢، ص ١٤٩) . وقصة هذا الاصطفاء يمكن روايتها كالآتي: هرب أناس رياديون شجعان من الاضطهاد الديني والسياسي في أوروبا، وواجهوا عقبات كبيرة في تحقيق أحلامهم بوجود سكان أصليين (متوحشين) استخدموا وسائل إرهابيه لإحباط مقاصد الرياديين ، ولكن بمعونة الله استطاع هؤلاء المستوطنين الشجعان أن يهزموا (المتوحشين) ، ويطردوهم خارج تلك الأراضي، على الأقل تلك الأراضي الجيدة، هكذا مهدوا الطريق لهؤلاء الذين كانوا قادرين على استغلال المصادر ، التي أعطاهم إياها الله في تلك الأراضي بشكل أفضل.

ولكن هذه القصة غير المحبوكة فضحتها العلوم والمعارف الحديثة، عندما ركزت على وحشية هذا التطهير العرقي القديم وعواقبه السلبية. غير أن بعض العناصر الأساسية في هذه القصة

والمتعلقة بالأسطورة . أي الرياديين الشجعان الذين هربوا من الاضطهاد وعملوا على إنشاء دولة حره . لا تزال تشكل الهوية الذاتية الأمريكية ، ويبدو هذا واضحاً في الطريقة السهلة التي يستطيع بها السياسيون ومن بينهم الرئيس (جورج بوش) في هذه الأيام أن يبحثوا عن الدعم لمغامرات سياساتهم الخارجية باقتباسهم عناصر رئيسة من هذه الأسطورة (أن أي هجوم على أمريكا هو هجوم على الحرية" (هيوبرز، ٢٠٠٣، ١٥، فبراير).

"ففي التعابير التي كانت تدور على السنة سكان المراحل الأولى من تاريخ فيرجينيا على سبيل المثال ، أعلن أوائل المستوطنين عن أنفسهم بجرأة أنهم على حد قول (جون رولف) John Rolfe بأنهم "شعب له خصوصيته ، أشار إليه واختاره إصبع الله لامتلاك تلك الأرض لأنه معنا دون شك". والواقع أن مستعمرة فرجينيا في أقدم سنواتها كانت أشبه شيء بمدينة أسستها شركة ، وتشبه قاعدة أمامية أو مركزاً متقدماً في أقاصي حدود الاسكا. وقد حافظ المؤسسون بدقة على الشكليات الدينية المعروفة آنذاك بما فيها القوانين التي تتطلب التردد على الكنيسة" (مارسدن، ٢٠٠١، ص ٢٥) .

ولكن هذا الورع الزائد للمؤسسين الأوائل، باعتبارهم شعب له خصوصية، كان يعكس عنصرية بشعة، ونظره دونية للآخرين باعتبارهم أقل درجه منهم، حتى لا يجوز هدايتهم. وهنا يقول القس (كوتون ماذر) (١٦٦٣.١٧٢٨م) وهو أحد أهم الآباء المؤسسين لأمريكا: "من الكفر بالله والمسيح أن يحاول أحد هداية أهل البلاد الأصليين، الهنود الحمر، لأنه وجدهم مخلوقات بشعة لا يجوز أن تدخل في ديانته المقدسة(مقار، ١٩٩٢، ص ٣١٤) .

وقال كوتون ماذر أيضاً :إن أميركا كانت قبل مجيء الحجاج الأوائل أرض الشيطان، وإنه . أي الشيطان . سيستعمل كل حيله للحول دون استيطان المستوطنين. وبهذا تكونت صورة الهندي الشرير والبربري المسكون بالشيطان، في مقابل الرجل الأبيض المختار المسكون بالخير المتصف بالتحضر. وأيضا في مقابل الأسود الجاهل الذي لا يجيد التمتع بالحرية "كما هي في الولايات المتحدة" (بوغنون، ب، ت).

فهؤلاء المهاجرون المتدينون الهاربون من النظام الطبقي البغيض، ومن كل سلطة دنيوية أو دينيه بحثا عن حياة جديدة اغفلوا ضمائرهم ، أو استطاعوا أن يوفقوا بين معتقداتهم وبين إبادة

الهنود الحمر مسترشدين في ذلك ببعض الأساطير التوراتية ، التي أباحت لغزاة فلسطين الأول من اليهود إبادة سكان أرض الميعاد ليحلوا محلهم (عبد السلام، ٢٠٠٥، ص ٥٢).

"لقد كانت قصص اجتياح كنعان في العهد القديم تمدهم بالأسس الأخلاقية اللازمة لتماسك هذه السيكولوجية الاستعلائية، ولتبرير عنصريتها وعنفها المميت، ولم يكونوا واثقين إلا من شيء واحد: إن الله فضلهم واصطفاهم على العالمين، وأعطاهم الأرض وحق تقرير الحياة والموت والرزق لكل من يعيش فوق هذه الأرض، هكذا حمل شعب الله سيف(الجلاد المقدس) ، ولم يساوره الشك في إن الإبادات لم تكن إلا تدبيرا إلهيا مباركا ورسالة في المجاهل عهدها الله إليهم (العكش، ٢٠٠٢، ص ٥٩) .

وهنا يلاحظ الدكتور (عبد الوهاب المسيري) أن ثمة عناصر تسم التشكيل الحضاري الغربي الحديث جعلت الإبادة كامنا فيه وليست مسألة عرضية، وقد قام الإنسان الغربي بكثير من عمليات الإبادة لا على الرغم من حضارته الغربية وإنما بسببها!!. فقد طورت الرؤية الغربية الحديثة للكون رؤية للبشر بحسبانهم مادة بشرية يمكن توظيفها، أما من لا يمكن توظيفه فكان يشار إليه بحسبانه مادة بشرية فائضة وأحيانا غير نافعة، ولا بد من معالجتها، فهي إما تصدر وإما أن تعاد صياغتها وإما أن تباد إن فشلت معها كل الحلول السابقة(المسيري، ٢٠٠٣).

وهكذا فإن أي قراءة في العقل الأميركي ورؤيته المتعالية للأمة الأميركية، تبين بوضوح من خلال استعادة آراء منظري الكيان الأميركي ، الذين يرون أن أحداث التاريخ وإنشاء الولايات المتحدة أمر صادر عن إرادة قوة، وعن قناعة بأن القدرة الربانية كلفت هذا الكيان الوليد والجديد برسالة تسيير شؤون العالم وإدارته وان عليهم أداء هذه الرسالة والقيام بواجباتها. إنه إذا عقل مسكون بيقين تجسيده لأمر الهي، إنها صورة يؤكدها العشرات من المفكرين والمؤرخين الأميركيين، ويرون من خلالها أنهم ملزمون في التبشير بها بل أن مؤرخا أميركيا مثل (دانيال مورستين) وصل في مغالاته إلى القول : "أن شعبا في العالم لم يكن أكثر يقينا في سيره على الصراط المستقيم كالشعب الأمريكي. هذه الرؤية وهذا اليقين والوهم بأداء (رسالة ربانية) هما محرك السياسة الأميركية باتجاه فرض سيطرتها على العالم" (عماد، ٢٠٠٣، ص 72، 73).

وبناء على هذا الموقف العنصري المتعالي، المغلف بالمعاني الدينية المستمدة من التوراة اليهودية، لم يجد المؤسسون الأوائل لأمريكا أية حرج، في إبادة الهنود الحمر واستعباد الزنوج

ماداموا أجناس اقل مرتبه ومتوحشون، وهو نفس الموقف الذي لجأ لاستخدامه اليهود قديماً وحديثاً مع الفلسطينيين والشعوب المجاورة.

> لقد صارت هذه الأخلاق الإبادية بنفاقها وبسماتها الانكليزية المسمومة عقيدة وأيديولوجيا، بل صارت النواة الصلبة للقومية الأميركية التي ما تزال تخصب الأدب والفن والسينما وصناعة الجريمة والموت وتعطي أوضح صوره لمفهوم الأميركي عن نفسه وعن العالم، هذه الأخلاق التي ضربت جذورها في عقدة الاختيار وكراهية الكنعانيين، ورافقت بناء أميركا لحظة لحظه وجبهة بعد جبهة هي التي جعلت (الأميركيين يعتقدون اليوم، كما كان أجدادهم المستعمرين الأوائل يعتقدون قبلهم بأن لهم الحق المطلق في إن يقتحموا أي غرب) في أي مكان من الأرض (العكش، ٢٠٠٢، ص ١٣٨، ١٣٩) .

وإذا كان قساوسة الإمبراطورية الرومانية قد وفروا الفتاوى ذات المسوح والمبررات الأخلاقية اللازمة لحكام نظام العبودية الروماني لشن حروبهم العدوانية واللاأخلاقية، فان أباطرة روما الجدد من ممثلي اللاهوت البروتستانتي الأمريكي المتهود وبعض ممثلي المشيخة الفكرية الأمريكية (من أمثال صموئيل هنتنجتون ومن هم على شاكلته) المندمجة المصالح مع رأس المال ، ومراكز السطوة والنفوذ في المجتمع الأمريكي، قد وفروا فتاوى العصر الراهن لحكام بلادهم لتنهض مبررات ومسوغات أخلاقية وحضارية ودينيه لشن حروبهم التوسعية العدوانية ضد البلدان والشعوب الآمنة المغلوبة على أمرها (الصياد، ٢٠٠٣، ١٥، فبراير). وهكذا فقد كان التبرير الديني للسلب والنهب والقتل، حاضراً على الدوام في التاريخ الأمريكي، حيث استهل الأمريكيون وجودهم كأمه بعملية إبادة جماعية لشعب بأكمله، كان شعب الهنود الحمر، سكان أمريكا الأصليين، باعتبار أن تلك الإبادة كانت من "اجل المسيح" وقياماً بعمل الله على الأرض (مقار، ١٩٩٢، ص ٤٠٩) . وهنا يجب أن نشير إلى أن ما أمرت به القصص الكتابية وفقاً للمعايير العصرية للقانون الدولي وحقوق الإنسان هو (جرائم حرب) ، و (جرائم ضد الإنسانية). وهنا على المرء أن يعترف بأن أجزاء كثيرة من التوراة، ومن سفر التثنية بشكل خاص، تحتوى على عقائد مخيفة وميولاً عنصرية وكراهية للغرباء ودعماً للقوة العسكرية (برير، ٢٠٠٤، ص ٢٢) .

أمريكيا ولاهوت الاستعمار العبراني

ألقى القس (ونثروب)، موعظة في الحجاج على متن السفينة الاسطوريه (اربيلا) ، أكد فيها على العهد الجديد بين الإسرائيليين الجدد وبين يهوه، وعلى الرسالة التي يحملونها إلى مجاهل ارض كنعان الجديدة قائلاً:

"إننا سنجد رب إسرائيل بيننا عندما سيتمكن العشرة منا من منازلة ألف من أعدائنا ، وعندما سيعطينا مجده وأبهته ، وعندما يتوجب علينا أن نجعل من (نيوانغلاند) مدينة على تل (city upon a hill) وهذا التعبير رمز لأورشليم (ولصهيون أيضا) ، وما يزال يستخدم إلى الآن للدلالة على المعنى الإسرائيلي لأميركا، وقد (استخدم) آخر أربعة رؤساء أميركيين هذا الرمز في مناسبات مختلفة : ريغان، بوش الأب، كلينتون، بوش الابن" (العكش، ٢٠٠٢، ص ١٢٧).

ولو عدنا إلى الوراء قليلا وتوغلنا في التاريخ الأمريكي ، لوجدنا كثيرا من وجوه التشابه في إنشاء الوطن الأمريكي ، وإنشاء دولة إسرائيل، وخير ما يوضح هذا التشابه هو كتاب (مورتن) المسمى (كنعان الجديدة الإنجليزية) فإنه يعبر أصدق التعبير عن روح فكرة أمريكا ، التي هي الفهم الإنجليزي التطبيقي لفكرة إسرائيل التاريخية، حتى أن قصة هؤلاء الحجاج الإنجليز ، الذين أسسوا أول مستعمرة فيما سمي بعد ذلك الولايات المتحدة ، إن هي ألا تجسيد لإنجلترا الجديدة الأصل الأسطوري للتاريخ الأمريكي ومركزيته الانجلوسكسونية، وفي كل عام يحتفل كل بيت أمريكي بعيد الشكر، وهو تعبير عن النهاية السعيدة الناجحة (لمن هرب) من ظلم الفرعون البريطاني ونجاتهم وخروجهم من أرضه والتيه في البحر، ولذلك صنعوا (العهد) الذي أبرموه على ظهر السفينة ، التي حملتهم إلى أمريكا الجديدة مع (يهوه) ، حتى وصولهم إلى أمريكا. التي في نظرهم أرض كنعان الجديدة . ونلاحظ أن كل تصورات (العبرانيين القدامى) وأفكارهم عن الحياة والتاريخ والأرض والسماء قد زرعها هؤلاء الإنجليز ، الذين هاجروا إلى أمريكا ، حتى الأسماء التي سموا بها المدن في أمريكا هي أسماء عبرانيه قديمة كالتي أطلقها اليهود على ارض فلسطين أبان السيطرة اليهودية عليها، ومنها : ارض الميعاد . صهيون ـ إسرائيل . واستعاروا كثيراً من سلوك اليهود عند إبادتهم سكان كنعان فشبهوا إبادة الأمريكان للهنود بإبادة اليهود لسكان كنعان . كما أن هناك كثير من التشابه القصصي والتقمص التاريخي لاجتياح العبرانيين أرض كنعان (ارض فلسطين) . لقد كانوا يبيدون الهنود وهم على قناعة بأنهم عبرانيون قد اختارهم الله لهذه المهمة وفضلهم على العالمين . وأكثر من ذلك أعطاهم تفويضا بقتلهم(السقا، ٢٠٠٣، ص ٩).

يقول (منير العكش) في كتابه "حق التضحية بالآخر.. أمريكيا والإبادات الجماعية":

"إن فكرة إنشاء أمريكا قامت على فكرة إسرائيل التاريخية ، وإن ما يعانيه الفلسطينيون هو ما عانى منه الهنود الحمر، فالرواد الأمريكيين الأوائل وصفوا أنفسهم بأنهم الإسرائيليون ، وأطلقوا على السكان الأصليين الكنعانيين. واتهم المستوطنين الأوائل بإبادة ١١٢ مليون هندي أمريكي بالسلاح والتجويع وحتى بالأوبئة".

وتحت عنوان المعنى الإسرائيلي لأمريكا يضيف:

"أن فكرة أمريكا.. فكرة استبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة عبر الاجتياح المسلح وبمبررات غير طبيعية ، هي محور فكرة إسرائيل التاريخية. فعملية الإبادة التي تقتضيها مثل هذه الفكرة مقتبسة بالضرورة بشخصيات أبطالها.. الإسرائيليون.. الشعب المختار.. والعرق المتفوق وضحاياها الكنعانيون.. الملعونون.. المتوحشون.. البرابرة ومسرحها ارض كنعان وإسرائيل ومبرراتها الحق السماوي، أو الحضاري ، وأهدافها الاستيلاء على أرض الغير ، واقتلاعه جسدياً وثقافياً(العكش، ٢٠٠٢، ص١٢٤) .

ولما كان المجتمع الأمريكي ، مثل المجتمع العبراني، مؤسساً على اجتياح أرض الغير (الأمريكيون اجتاحوا أرض الهنود الحمر، والعبرانيون أرض كنعان)، كان لابد من تشريع هذا الاجتياح واقتلاع الشعب من أرضه بزعم الحق الإلهي، عن طريق استبطان أسطورة ارض الميعاد، بالزعم أن ما يبدو اغتصاباً، إنما هو تنفيذ لإرادة إلهية، وقد تشابهت في هذه العقدة النفسية، التي احتاجت إلى نظرية ارض الميعاد، مجتمعات عديدة يجمعها اجتياح أرض الآخرين ، ومحاولة إبادتهم عنها، وهى أمريكا وإسرائيل والنظام العنصري البائد في جنوب إفريقيا (سحاب، ٢٠٠٣، ١٧، فبراير)، كما أن (منير العكش) يرى في كتابه "حق التضحية بالآخر" أن النازية والصهيونية والعبرانية الانجلوسكسونية استعانت في صناعة فرائسها بمنطق واحد ، يتجدر ويستمد كل أخلاقه من لاهوت الاستعمار العبراني.

فكما وضحنا سابقاً فإن فكرة قيام أمريكا وهي (استبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة) عبر السطو المسلح وبمبررات غير طبيعية ، هي نفسها فكرة (إسرائيل التاريخية)، التي أوحت إلى أمريكا بأن هناك قدرا خاصا بأمريكا. ويمكن ملاحظة مثل تلك المبررات من خلال تصريحات (بوش) والمسئولين الأمريكيين إبان غزو العراق، وإلغاء دور الأمم المتحدة وإعطاء الصبغة الشرعية

لأمريكا من وجهة نظر مسئوليها كمبررات (السلام العالمي ـ الأمن الوقائي . الإرهاب الدولي أسلحة الدمار الشامل– رخاء شعب العراق أو شعوب المنطقة وديمقراطيتها).

"فكل هذه المبررات بحسب الظاهر لاحتلال وغزو منطقة بتاريخها، والسيطرة عليها وعلى ثرواتها، حسب الاعتقاد الأمريكي هو قدر خاص بأمريكا ، وبمشيئة الرب ، (ولها) جذور تاريخية واعتقاد راسخ يضرب جذورا عميقة في الذاكرة الأمريكية، وهو واضح أيضا في معظم المناسبات الدينية والوطنية ، وكل خطابات التدشين التي يلقيها الرؤساء الأمريكيون، الذين يصرحون بعبارات منها: أن إرادة الله . القدر . حتمية التاريخ .. الخ، قد اختارت الأمة الأمريكية (ألانجلوسكسونية المتفوقة) وأعطاها التاريخ دور المخلص في حق تقرير الحياة والموت والسعادة والشقاء لسكان العالم، ومن هذه العبارة القدرية أجريت الجراحة التجميلية المزيفة للمعنى الإسرائيلي لأمريكا وفكرة الاختيار والتفضل الإلهي".(السقا، ٢٠٠٣، ص ١٢، ١٣).

وبناء على ما تقدم فإننا لا يجب أن نندهش حين يرحب الأمريكيون بالمجازر التي يرتكبها جيش الاحتلال حالياً على أرض فلسطين، فهذا النعل من ذاك الحذاء، يجب أن لا نندهش وان نعلم أن الأمريكيين يربطون ربطاً لازماً بين مصير الهنود الحمر ومصير الفلسطينيين. يقول وليم فوكسويل في كتابه (التوحيد وتطوره . من العصر الحجرى الى المسيحية) :

"ان فيلسوف التاريخ وهو القاضي النزيه يرى على الاغلب ان من الضروري زوال شعب متخلف ليخلى مكانه لشعب آخر ذي ملكات متفوقة ... فقد يؤدى الاختلاط بين العروق البشرية الى نتائج مدمرة". وهذا ما اتاح لصاحبنا ان يخلص فيما يخص الكنعانيين الى ما يلى : كان من حسن حظ التوحيد ومستقبله ان الاسرائيليين المجتاحين كانوا شعباً متوحشاً يملك تلك القوة البدائية مع ارادة للحياة لا نظير لها، فابادة الكنعانيين قد حالت دون الانصهار التام للشعبين المنحدرين من اصل واحد، ولو قدر لهذا الانصهار ان يقع لعمل دون شك على اضعاف ديانة (يهوه) الى حد بعيد"(جارودي، (١٩٩١) ص ٣٨).

وفي كتابه "فلسطين الجانب الإنساني" أورد "ويكفيلد" عبارة للبروفيسور "راينهولد نيبر" يقول فيها : "إن الزعم بأنه من غير الأخلاقي دولياً أن تؤخذ فلسطين من العرب وتعطى لليهود، زعم عار

من الصحة، اللهم إلا إذا صح الزعم بأن المستوطنين الأوربيين لم يكن من حقهم أخذ الأرض من الهنود الحمر ليستوطنوها، ويجعلوا منها القارة الأمريكية العظيمة"(العكش، ٢٠٠٢، ص ١٧٠). ويقول الحاخام المؤرخ (لي ليفنجر):

"أن مؤسسي أمريكا كانوا أكثر يهودية من اليهود أنفسهم، وهم على حسب ما يزعمون (يهود الروح) الذين عهد الله إليهم كما عهد إلى يهود (اللحم والدم) ، قبل أن يفسدوا ويتخلوا عن أحلام المملكة الموعودة . ويضيف مخاطباً المهاجرون الأوائل قائلاً: أن يهوديتكم أيها المهاجرون إلى العالم الجديد هي التي أرست الثوابت الخمسة التي رافقت التاريخ الأمريكي في كل محطاته:

١- المعنى الإسرائيلي لأمريكا.

٢- عقيدة الاختيار والتفضيل الإلهي والتفوق العرقي والثقافي والفكري .

٣- الدور الخلاصي للعالم.

٤- قدرية التوسع اللامحدود.

٥- حق التضحية بمن سواهم وإبادتهم واعتبارهم ، كما تقول التوراة والتلمود جنسا محتقرا لا لزوم له ما دام ليس يهوديا"(السقا، ٢٠٠٣، ص ١٠).

وهكذا فقد اقتدى الأمريكان في المبادئ الخمسة بعلماء اليهود وبحرفية كل ما جاء من في التوراة . فالتفسير النزيه للتقاليد الكتابية التي تأمر بالأعمال الفظيعة ، وجرائم الحرب ، قد قدمت العزاء والسلوى لأولئك المصممين على استغلال الأراضي الجديدة على حساب الشعوب المحلية. وهناك دليل وافر بأن الكتاب المقدس كان ولا يزال إلى حد ما، المثل الأعلى الذي يسعى إلى استلاب الأرض بالفتوحات (برير، ٢٠٠٤، ص ٢٤). وهنا يتضح أن سياسة أمريكا تجاه شعب أمريكا الأصلي هي نسخة طبق الأصل عن الموديل التلمودي اليهودي لعلاقة اليهود بالغرباء، حيث يطالعنا الموقف عينه من الناس كأنهم دواب ، والوحشية الفظيعة نفسها ، والشعور بأن كل شيء مباح . السمات المميزة لليهود المتعصبين . كما أن أراضى الهنود وأملاكهم لا تخص أحدا مشاعا يعيد إلى الأذهان أحد معايير التلمود الرئيسة، الذي يعتبر ملكية غير اليهود (بحيرة شاغرة) وانطلاقا من هذا المبدأ اتخذت الحكومة الأمريكية في عام ١٨٩٩ م إجراء جديدا لنهب أراضى

الهنود، التي كانت قد سجلت ملكا لهم (إلى الأبد) منذ عهد ليس بالبعيد ، لقد قررت الحكومة الأمريكية ، مصادرة أراضى الهنود من جديد وهكذا بدأ تنفيذ حملة (السباق) لعموم أمريكا. وقد جاء في نداء حكومة الولايات المتحدة الامريكيه:

"أن على كل مواطن أمريكي أبيض يرغب في الحصول على أرض مجانية الحضور في الثاني والعشرين من نيسان ١٨٩٩م إلى خط محدد مسبقا. ففي الثامنة من صباح ذلك اليوم ستعطى إشارة الانطلاق. ولسوف يحصل كل متسابق على تلك القطعة من الأرض التي يستولي عليها قبل غيره، دون أي مقابل وسوف يربح . أكثر من يجري أسرع) . لقد شارك في هذا (السباق) الآلاف من البيض الراغبين في الإثراء على حساب الهنود. كان كل متسابق يحمل قطعة من القماش الأبيض وكانت قطعة من الأرض الهندية نصيب أول من يصل إليها ، ويركز قطعة القماش عليها. وعلى هذا النحو حققت الروح التلموديه النصر على الأرض الأمريكية"(بلاتونوف، ٢٠٠٢، ص ٢٣) .

ثقافة أهل الحدود

في ظل اعتقاد الأمريكيون أن ما يقومون به من احتلال ونهب لأراضي الغير ، ما هو إلا تنفيذاً لإرادة إلهية، وان الله منحهم هذا الحق، فإنه كان طبيعياً أن تنشأ لديهم ثقافة جديدة سماها بعضهم بثقافة أهل الحدود، والتي لا تضع حداً لأطماع الأمريكيين في أراضى الغير. ويصف هذه الحالة (جارودى) بقوله: فبالنسبة للعلاقة مع الطبيعة لم تكن لـ (الحدود) طوال أكثر من قرن نفس المعنى ، الذي كانت تعنيه في أوروبا، كانت الحدود الأمريكية دائما مساحة مفتوحة حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، ولم تغلق تلك الحدود رسمياً إلا بالوصول إلى المحيط الهادي (جارودي، ٢٠٠٢، ص٤٩) . فقدر أميركا الأبدي هو الغزو والتوسع، إنها مثل عصا هارون (موسى) ، التي صارت أفعى وابتلعت كل الحبال، هكذا ستغزو أميركا الأراضي وتضمها إليها أرضا بعد . أرض، ذلك هو قدرها المتجلي، أعطها الوقت ، وستجدها تبتلع في كل بضع سنوات مفازات بوسع معظم ممالك أوروبا ذلك هو معدل توسعها(العكش، ٢٠٠٢، ص ١٠٥).

فمنذ العهد الاستعماري، تعود الأمريكيون على الاستيطان واستمرارية الزحف من الساحل الشرقي إلى الغربي في اتجاه الأرض البكر . غير المستغلة . ممارسين التجارة والزراعة. وباستمرار هذه الظاهرة أصبحوا يفكرون بأن ضم أراض جديدة إنما هو عمل طبيعي عودتهم الأحداث عليه

(النيرب، ١٩٩٧، ص١٩٠) . يقول (اى . ا. بيلينكتون) أستاذ التاريخ في جامعة نورث ويسترن ومؤلف (تاريخ الحدود الأمريكية) و (الحدود الغربية القصوى) :

"إن الأساس الذي قامت عليه حياة أهل الحدود هو الذي يميز، حتى يومنا هذا، اتجاهاتنا وميولنا نحو المجتمع والعالم الذي يحيط بنا. نحن شعب متنقل، نسير إلى الأمام قدماً، ولا تربطنا بالموطن والمجتمع إلا رابطة هينة. وهذا عكس ما هو عليه الإنجليز أو الفرنسيون أو الإيطاليون. إن أسلافنا من أهل الحدود كانوا متنقلين، وأننا دوماً على استعداد للتبدل والتغيير بنحو ما هو أحسن وأفضل لحياتنا"(شينك، ١٩٥٨، ص٢٩٠) .

والاستعداد للسير إلى الأمام والتبدل نحو الأفضل، لا يعنى للأمريكان سوى أن تظل تلك المساحة الشاسعة داخل أمريكا . وبعد ذلك في العالم . مسرحاً للنهب والسلب وتدمير الغابات الكثيفة بحثاً عن مناجم الذهب والفضة، وكانت العلاقة مع الآخرين . أيضا ـ ذات طبيعة خاصة بدأت أولاً بطرد الهنود للاستيلاء على أراضيهم ووضعهم بين خيارين: أما الإبادة ، وإما النفي والانسحاب إلى المعزل، وبعد ذلك كانت العلاقة بين البيض أنفسهم خاضعة لأحكام قانون الغاب، لنهب الثروات المسروقة من الهنود أرضاً كانت أم ذهباً. فقد كان النيوانجلانديون ميالين لاعتبار كل ما هو محيط بهم على أنه برية تنتظر حضارة منظمة تستنقذها (بيري، (١٩٩٠) ص ٥٨). وبالطبع فإن تلك الحضارة، هي الحضارة الأمريكية صاحبة الرسالة الخالدة، التي بشر بها قادة الفكر الأمريكي، وأكدوا بأن أمتهم قادرة بإمكانياتها أن تحقق رسالتها الخالدة وحلمها الأعظم، الذي تعبر عنه أسطورة حكاها (جون فايسك) فيلسوف التاريخ، عضو النادي الميتافيزيقي مهد البراجماتية، إذ رسم (فايسك)، أو رسمت الأسطورة على لسانه، حدود الولايات المتحدة الأمريكية.

تروى الأسطورة، التي استهل بها (فايسك) إحدى محاضراته، قصة حفل غذاء في باريس ضم أربعة من المغتربين الأمريكيين. تحدث كل منهم عن مستقبل الولايات المتحدة وحدودها وأمجادها. إلى أن جاء دور المتحدث الرابع الذي لم يقنع بما رسمه سابقوه من حدود تسع الكرة الأرضية وشعوبها وبلدانها من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، ومن القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي، وانبرى وقال: لماذا نترك أنفسنا أسرى هذه الحدود الضيقة. أن الولايات المتحدة هي تلك التي يحدها

الشفق القطبي شمالاً، والاعتداليين جنوباً، والعماء البدائي شرقاً، ويوم القيامة غرباً" (جلال، (١٩٩٧) ص٢٢٧).

ومن الجدير بالذكر أن (جون فسك) كان من فلاسفة الداروني ، الذين استعملوها لتبرير الاستعمار حيث كتب يقول : (إن العنصر الانجلو. سكسوني هو أصلح الأجناس البشرية ، وانه في المستقبل سوف ينتشر هو ولغته وثقافته في أربعة أخماس الكرة الأرضية، وسوف يحيل إفريقيا إلى بلد متقدم ملئ بالمدن والمزارع ومظاهر التكنولوجيا) وقد كرر هذه الآراء في عدد من المؤلفات، حيث كانت الآراء المقابلة في القارة الأوروبية في أمثال: بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا، تسير في نفس الاتجاه وتبرر حركة الاستعمار والتوسع إلى أن أفرزت حركات عنصريه متطرفة من أمثال: النازية والفاشستية، وأشعلت حربين عالميتين في فترة لا تتجاوز نصف القرن (عماد، ٢٠٠٣، ص ١٣) .

ولم يكن (جون فايسك) هو أول من عبر عن طموح الولايات المتحدة مجسداً في رسالتها الخالدة التوسعية، وإنما عبر عنها آخرون من رجال الدولة والزعماء السياسيين، مما يؤكد أنها جزء من ثقافة اجتماعية سائدة، وإن صيغت الرؤية في عبارات متباينة.

"أن فكرة: "الأمريكيون هم شعب الله المختار"، عبر عنها صراحة (توماس جفرسون) في خطابه الرئاسي الأول عام ١٨٠١م ، وسبقه أيضاً جورج واشنطون أول رئيس للولايات المتحدة، إذ قال في خطاب رئاسته: أنه موكل بمهمة عهدها الله إلى الشعب الأمريكي، وذلك في عام ١٧٨٩م ، ومن بعده قال (جون آدمز) الرئيس الأمريكي الثاني: إن استيطان أمريكيا الشمالية تحقيق لمشيئة إلهية . وقال (تيودور روزفلت) "أمركة العالم هي مصير وقدر أمتنا" (جلال، (١٩٩٧) ص ٢٢٧) .

وقد لاحظ المؤرخ الأمريكي فريدريك جاكسون تورنر أن: أمريكا كانت، منذ أيام إبحار كولمبوس إلى عمق مياه العالم الجديد، اسماً آخر للفرصة، وما لبث شعب الولايات المتحدة ان استمد مزاجه من التوسع المتواصل ، الذي لم يكن مفتوحاً وحسب، بل بقى مفروضاً عليهم عنوة.. وستظل الطاقة الأمريكية دائمة التطلب لميدان أوسع تتجلى ممارستها في إطاره (برستوفتز، ٢٠٠٣، ص٥٢).

فالشعب الأمريكي كما وصفته وكالة الإعلام الأمريكية، دائم النزوح والتنقل من جزء من البلاد إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى ، ومن المزرعة إلى المدينة ، ومن المدينة إلى الضواحي (وكالة الإعلام الأمريكية، ب، ت، ص ١١). يقول الكاتب الأمريكي (والف وايتمان):

"إننا لم نعش أهوال الماضي ، ونعبر المحيط ونأتي هنا لنتوقف). فالزحف نحو الغرب وعدم الالتزام بأي حدود هي السمة المميزة للشخصية الأمريكية، فقد اندفع المهاجرون غربا على ظهور العربات التي تجرها الجياد نحو حدود جديدة حتى وصلوا إلى شواطئ المحيط الآخر، ثم نزلوا جنوبا حتى اصطدموا بأول عائق بشرى قوى في دولة المكسيك، فحاربوها واخذوا مساحة كبيرة من أراضيها . والترجمة الحقيقية للتعبير الأمريكي THERE IS NO FRONTIERS (لا توجد حدود) ، هي البحث عن مناطق جديدة للغزو وضمها وهو نفس منطق إسرائيل، ولما اكتملت الحدود، اندفع الأمريكي نحو ارتياد حدود وآفاق جديدة تشمل السيطرة الجغرافية على مناطق من العالم القديم، وكذلك الريادة العلمية، والسياسية والاقتصادية؟ أن هذه المنطق يذكر الأمريكيين بآبائهم المؤسسين باندفاعهم وديناميكيتهم في مضمار التنافس للاستفادة من كل الفرص المتاحة للكسب المادي" (عبد السلام، ٢٠٠٥، ص ٥٥).

لقد كان شعار "انطلق نحو الغرب أيها الرجل الشاب"! هو الحل المقدم خلال الأزمة الاقتصادية ١٨٤٠م من هوراس غريلي صاحب جريدة نيويورك تريبيون (هرناندیز، ٢٠٠٤، ص ١٤٦). كما ان ميتافيزياء (اقتحام الغرب) التي نسفت نظام البوصلة واعدت العصر الذهبي لنظرية الإنكليزي "مالثوس" جعلت الغرب الأميركي في كل الجهات وفي كل الأرحام، إنه (الغرب) اللانهائي اللامكان وأنه كل مكان، انه فضاء الزنابير، الثقب الأسود الذي يمتص كل شيء، الأرض التالية، وراء الجبهة التالية، وراء الغرب التالي، وراء المجاهيل التالية، وراء الإبادة الجماعية التالية. إن عالمنا كله يعيش اليوم تحت رحمة (مافيا كولومبس) (العكش، ٢٠٠٢، ص ١٣٨، ١٣٩).

"لقد حلم (جيفرسون) ببلد قارة ترث الأطلسي والباسيفيكي، أرض مبذولة "كبيرة جدا كافية لآلاف الأجيال"، وفي سنة ١٨٠٣م قام الرئيس الأمريكي بشراء لويزيانا الشاسعة (تغطي ثلث مساحة الولايات المتحدة حاليا، من خليج المكسيك وحتى الغابات الكندية. من ضفاف الميسيسيبي وحتى صخور المونتانا) من نابليون،

وفي السنة الثانية أرسل المستكشفون لفتح طريق الشمال . غرب. كانت تلك روحية الحدود: ادفعوا الحدود، اذهبوا دائما نحو البعيد، وبذلك تكونون الثروة. هناك المزيد من الغنى، متوافر للجميع. إن الذي يخاطر ويعمل يجد مخرجا على الدوام.. كان يريد من ذلك دفعهم نحو الغرب، وتغذية العقلية الطموحة والفردية إلى حد كبير. لذا فإن ما ينتظر من الحكومة هو الحد الأدنى من القواعد، والحد الأقصى هو الحرية. أما بالنسبة إلى الفقراء فليس من المستغرب اعتبارهم مسئولين عن أسباب شقائهم" (باشاران، ٢٠٠٥، ١٥، ديسمبر) .

ان هذه الرغبة المستمرة في التوسع والسيطرة وجدت لها مبررات ايضاً في نظرية (الجغرافيا الحيوية) التي تزعم بأن، المكان الجغرافي للدولة المتفوقة كائن حي ينمو باستمرار (ولا يموت طبعا) ، ونظرية (القضاء والقدر الجغرافي)، أو الزعم بان يد القضاء هي التي ترسم الحدود الجغرافية للأمم (لا تعترف الولايات المتحدة كإسرائيل إلى الآن بحدود جغرافية ، لها وليس في دستورها إشارة إلى ذلك).

"ومنذ أن أطلق (جون اوسوليفان) هذا الاصطلاح في مقاله له بعنوان (التملك الحق) تحول (القدر المتجلي) إلى عقيدة سياسية مفادها إن هذا العالم كله (مجاهل) ، وأن قدر أميركا (الانكلوسكسونيه) الذي لا ينازعها فيه أحد ، إن تتملك منه ما تشاء من أرض لأن ذلك حقها الطبيعي، ولأن إله الطبيعة والأمم هو الذي أورثها هذه الأرضة ، وجعلها . مثلما جعل ألمانيا النازية بعدها . كائنا حيا لا يتوقف عن النمو"(العكش، ٢٠٠٢، ص ١٣٣).

ولكن النتيجة الطبيعية لهذا النمو الطفيلي لهذا الكائن الحي المتوحش، كانت كارثية، حيث تقلص معنى الحياة، بسبب هذا التوسع الكمي للملكية والأرض وكنوزها، وكان (الوست) أو (أقصى الغرب البعيد) ، يعني ـ باستثناءات قليلة . تقديس هذه الملحمة العنصرية ، وقانون الأقوى في حرب الجميع ضد الجميع، ولم تلعب التطهيرية المسيحية أو الييوريتانيه أي دور سوى دور المبرر لتلك الأفعال والعلاقات الاجتماعية بل والمحرك لها. وأصبح العنف الأكثر دموية والتحريض عليه بنفاق المتدينين ملمحاً دائماً في تاريخ الولايات المتحدة منذ نشأتها.

"لقد قدم المتطهرون من الإنجليز الأوائل إلى الولايات المتحدة حاملين معهم العقيدة الأكثر دموية في تاريخ البشرية، ومسلحين بفكرة (الشعب المختار) مقننين

فكرة الإباده وكأنها حسب روايتهم أوامر إلهيه. كانوا يسرقون أراضى الأهالي الأصليين طبقاً لتعاليم يهوا (إله الحرب) في العهد القديم هذا الإله الذي أمر شعبه المختار، بإبادة وذبح السكان القدامى في أرض كنعان واغتصاب أرضهم"(جارودي، ٢٠٠٢، ص٤٩) .

وبعد أربعة قرون من مواكبة "العناية الإلهية" لحركة التوسع الاستيطاني نحو الغرب، أعلن (فردرسيك تيرنر) أحد أبرز فلاسفة "الثغور" أن الجبهة القارية الداخلية انتهت ووضعت أوزارها، وبانتهائها ختمت أمريكا حقبتها التأسيسية اللازمة للتوسع وراء المحيط ولبناء إمبراطوريتها الكونية. وعندما نشر كتابه "مشكلة الغرب" أكد على أن التوسع ، والحرب كانا أساس النماء الاقتصادي الأمريكي، ولابد لاستمرار هذا النماء من استمرار التوسع ، وعدم إطفاء نار الحرب. ودعا (تيرنر) إلى شق قناة لهذا التوسع عبر المحيط والاستفتاح بضم الجزر والبلدان القريبة.

"إنها حتمية الولادة الأبدية للثغور التي تتقدم باستمرار، وحتمية الولادة الأبدية للحياة الأمريكية على هذه الثغور والجبهات التي ستصل الغرب بالشرق ، لتكمل شمس الحضارة الانكلوسكسونية دورتها حول الأرض. فقد نجا شعب الله الجديد من ظلم فرعون لندن، وخرج إلى كنعان الجديدة فقهر قديسوه مجاهلها. وظل الغرب يفر أمام زحوفهم ويتراجع إلى أن لم يبق أمامهم من غرب، والى أن صار عليهم أن يخترعوا لزحفهم غرباً ولو في أول الشرق"(العكش، ٢٠٠٢، ص ١٣٧) .

الفصل الثالث

دور الدين في الحياة الأمريكية الحديثة

مما تقدم ، اتضح لنا دور الدين والقيم الدينية المستمدة من المذهب البروتستانتي ، في نشأة النظام الرأسمالي السائد ، في كلاً من بريطانيا وأمريكيا، حيث لعب هذا المذهب على صبغ الحياة الأمريكية برمتها بصبغة دينية، وهنا يبرز خطأ شائع ؛ بل وقاتل وقع فيه كثير من الكتاب والمفكرين العرب، من خلال محاولتهم التقليل من دور الدين في الحضارة الحديثة، على اعتبار أن الغرب لم ينجح ، ولم يتقدم إلا بعد أن خلع رداء الدين، واحل محله ما يسمى بالعلمانية، التي تفصل الدين عن الدولة، حيث حاول هؤلاء الوصول إلى نتيجة أن العرب والمسلمين لن يتقدموا إلا إذا فعلوا نفس الشيء، ولست هنا في مجال الخوض في تفاصيل هذا الموضوع، لأن ذلك ليس موضوع البحث، ولكن هذا لا يمنع من إلقاء مزيد من الضوء على دور الدين في أمريكا، بعد أن بينا أثره نشأة النظام الرأسمالى والقيم المنبثقة عنه .

العالم الجديد اقيم على اساس ديني

حتى لا يكون حديثنا في هذا المجال مجرد سرد للتصريحات ، والمواقف للسياسيين والمفكرين، ورجال الدين الأمريكيين . بالرغم من أهميتها .، سنحاول الغوص بعمق في جذور الثقافة والفكر الأمريكي منذ نشأته، لنبين الدور المركزي الذي لعبه الدين . ولازال . في الحياة الأمريكية، وفى تشكيل الثقافة الأمريكية ومنظومة القيم ، التي يؤمن بها الأمريكيون (النيرب، ١٩٩٧، ص ٦٠).

> "أن نظرة شاملة لطرق تفاعل الدين والسياسة في أمريكا، منذ التاريخ المبكر للهجرة إلي أمريكا ، وبناء المستعمرات ، وحتى الآن، ستجعلنا نتبين أنه لا يمكن فهم التاريخ الأمريكي المعاصر دون فهم جدلية العلاقة بين الدين والسياسة ، التي تعد المنظور الكامل للتاريخ الأمريكي، حيث أن جذور الأحداث ، التي تعرفها أمريكا المعاصرة ، تضرب بجذورها في أعماق التاريخ والثقافة الأمريكية، وتعد العلاقة بين الدين والسياسة أحد أهم المؤثرات فيهما والمحركة لهما" (كوربت، ٢٠٠٢، ص ١٨) .

وفي كتابه الجديد " من نحن؟ تحديات الهوية الوطنية الأميركية" ، يحاول (صموئيل هنتنغتون) تحديد الهوية الحقيقية لأمريكا، حيث يرفض فكرة أن الولايات المتحدة ، هي مجتمع من المهاجرين متعددي الأعراق والإثنيات والثقافات، ويرى على النقيض أن الأميركيين الذين أعلنوا استقلال أميركا عن الاستعمار البريطاني في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، كانوا مجموعة متجانسة من المستوطنين البريطانيين البروتستانت ، الذين توافدوا إلى العالم الجديد من أوروبا ، وخاصة بريطانيا، لكي يستقروا فيه ويعمروه للأبد. ويرى أن هؤلاء المستوطنين وضعوا بذور المجتمع الأميركي، انطلاقا من مبادئهم وثقافتهم الأنغلو . بروتستانتينية التي لولاها لما قامت أميركا،التي نراها اليوم، ولذا يرى (هنتنغتون) أن لأميركا هوية محددة هي هوية هؤلاء المستوطنين، التي تقوم على ركائز أربع أساسية، هي العرق الأبيض، والإثنية الإنجليزية، والدين المسيحي البروتستانتي، والثقافة الإنجليزية البروتستانتينية. ويعتقد (هنتنغتون) أن الخصائص الأربع السابقة ، انعكست بوضوح على جميع خصائص المجتمع ، والدولة بالولايات المتحدة، وظلت سائدة حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي تقريبا (هنتنغتون، ٢٠٠٤).

فالقارئ لتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية منذ تأسيسها، يمكنه أن يلحظ إلى أي حد مثل الدين أساسا، أقيم عليه العالم الجديد (أمريكا). فقد جاء المستعمرون البيوريتانيون . الذين أسسوا مستعمرة خليج ماساتشوستس إلى العالم الجديد بدوافع دينية إلى حد ما.

> "لقد جاءوا من إنجلترا إلى هنا لكي يحيوا حياتهم بالشكل الذي يتماشى مع رؤاهم الدينية ، حيث تعذر ذلك في إنجلترا خلال الحكم العدائي لجيمس الأول، وشارلز الأول ، ورأى الكثير منهم أنه من الأفضل لهم الذهاب إلى مكان آخر ، لممارسة معتقداتهم ؛ لذا قام البيوريتانيون بتأسيس مستعمرة خليج ماساتشوستس في عام ١٦٣٠م وخلال العقد التالي هاجر أكثر من عشرين الف بيوريتاني إلى هذه المستعمرة" (كوربت، ٢٠٠٢، ص ٤٣) .

فقد كان عام ١٦٢٠م مرحلة رسو الباخرة ميلفور على الشواطئ الأمريكية ، مقلة جماعة من المنشقين الدينيين، من جماعة البروتستانت ، التي أنشأت انكلترا الحديثة (دلماس، (١٩٨٢)، ص ٧٦) ، بداية هجرة جماعات كبيره من البريتانيون المتعصبين، فراراً من الاضطهاد الديني ، الذي كانوا يعانون منه في بريطانيا وأوروبا، نتيجة الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت، حيث حملوا معهم تراثهم الديني المستمد من العهد القديم، وكانوا يسقطون الأحوال التي يمرون بها وكأنها جاءت مطابقة لما ورد فيه بشأن اليهود عند دخولهم أرض فلسطين ، بعد خروجهم من مصر.

معتقدين بأنهم شعب الرب المختار المكلف برسالة ما، والعالم الجديد هو إسرائيل الجديدة ، والعالم القديم هو مصر الجديدة. ولهذا عقد البيوريتانيون عهداً مع الرب ومع بعضهم البعض ، ببناء مجتمع يقوم على أساس القانون الإلهي. فكان لابد لهم أن يكونوا بمثابة مدينة تقف أعلى التل (أي مدينة فاضلة) تكون محط أنظار العالم أجمع .

- إن أي إنسان يدان قانونيا بعبادة إله غيرالهنا سوف يعدم .

- إن كل من يعمل بالسحر رجلا كان أو امرأة (أي تكون له صله أو يلجأ للاستعانة بالأرواح) سوف يعدم.

- إذا ما قام أي إنسان بسب الرب (الأب أو الابن أو الروح القدس) ، سواء بالتغيير الصريح أو بالتجريح، أو عن طريق العمد، أو يلعن الرب بأسلوب مماثل سوف يعدم.

تلك مختارات من قوانين الإعدام ، التي تشكل جزءا من هيئة الحريات بماساتشوستس لعام ١٦٤١م، حيث حدد البيوريتانيون (التطهريون) اثنتي عشرة جريمة يعاقب فيها المرء بعقوبة الإعدام . والجرائم الثلاث الأولى (المذكورة أعلاه) تتعلق بالأمور الدينية. لقد جنح النظام البيوريتاني في أوجه إلى النمط الثيوقراطي. ففي هذه المستعمرة، سيطرت الكنائس البيوريتانية على الحكومة ، وحرص البيوريتانيون بشكل جاد على استخدام كل من المنظمات السياسية والدينية في صياغة رؤيتهم للمجتمع ، على أساس معتقداتهم الدينية" (كوربت، ٢٠٠٢، ص ٩٣) .

هكذا لعب الدين دوراً مركزياً في حياة الأمريكيين منذ السنين الأولى، "فأمريكا هي الأمة الوحيدة في العالم التي شيدت على أساس الإيمان (برستوفتز، ٢٠٠٣، ص٥) ويصبح المرء أمريكياً عبر اعتناق جملة الطروحات الواردة فيما أطلق عليه (امرسون) اسم "تجربة دينية".

"ففي التعابير التي كانت تدور على ألسنة سكان المراحل الأولى من تاريخ فيرجينيا . على سبيل المثال . أعلن أوائل المستوطنين عن أنفسهم بجرأة أنهم على حد قول (جون رولف) بأنهم "شعب له خصوصيته أشار إليه ، واختاره إصبع الله لامتلاك تلك الأرض لأنه معنا دون شك". واليوم يعتقد الكثيرون في الولايات

المتحدة، بأن الدولة مكلفة بمهمة خاصة، ويعين عليها أن تكون مثالاً يحتذى به في العالم اجمع. ويشعر كثير من الأمريكيين بأن الولايات المتحدة هي الأرض المختارة التي أسبغ الرب عليها نعمته" (كوربت، ٢٠٠٢، ص ٥٠) .

ويمكننا الحصول على صورة لا بأس بها، عن أثر الدين في الحياة الأمريكية، إذا لاحظنا أنه كانت توجد مقاعد في الكنائس عام ١٨٦٠م تتسع لستة وعشرين مليوناً من السكان ، الذين بلغ إجمالي عددهم ٣١ مليوناً. وتدل هذه الأرقام على أن المرء لو زار الولايات المتحدة يوم أحد في تلك الفترة لوجد على الأرجح أن أكثر من نصف الناس كانوا في الكنيسة. وقد لاحظ (توكفيل) في تلاثينات القرن التاسع عشر أن الأمريكيين كانوا الشعب الأكثر تدينا(النجار، ١٩٨٦، ص٤٣) ، وقد بقى ذلك صحيحاً إلى اليوم. ففي أي عطلة أسبوعية، سيبادر ما يزيد على نصف مجموع الأمريكيين إلى الذهاب إلى إحدى دور العبادة، مقارنة بنسبة تتراوح بين ١٠، و٢٠، بالمئة في أكثر البلدان الأوربية وكندا (برستوفتز، ٢٠٠٣، ص٥٢). كما لاحظ (جيمس برايس) وهو زائر بريطاني للولايات المتحدة في عقد ثمانينات القرن التاسع عشر الميلادي أن رجال الدين كانوا أبرز مواطني أمريكا وأنهم كانوا يحصلون على " قدر من النفوذ كثيراً ما يفوق في اتساعه وقوته نفوذ أي رجل عادى علماني" (مارسدن، ٢٠٠١، ص ١١٢) . كما كانت القوة الدافعة لتحريم الخمر في أمريكيا هي الحملة البروتستانتية التي انخرط فيها الليبراليون والمحافظون البروتستانت. وقد وصف أحد الكتاب " جمعية مناهضة الحانات" التي تأسست في ١٨٩٥م على أنها في الحقيقة فرع الكنائس الميثودية المعمدانية، حيث أيد بشدة جميع البروتستانت الأمريكيين تحريم الخمر ، ولم يكن هناك إلا بعض الاستثناءات (كوربت، ٢٠٠٢، ص ١١٥) .

مستويات عالية من التدين في العصر الحديث

أما في العصر الحاضر ، فإن "هناك دلائل على أن أغلبية الأمريكيين في أواخر القرن العشرين، يغمرهم شعور ديني لافت للنظر، إذ عاد إلى الظهور . في أواخر عقد الثمانينات من هذا القرن نوع من المسيحية التقليدية إلى حد ما كقوة يعتد بها في الحياة الأمريكية السياسية والثقافية، حيث تبدو أهمية الدين من خلال كثرة وتكرار استخدام النصوص الدينية من جانب الساسة، مثل استخدام (كلينتون) في خطابه الافتتاحي عام ١٩٩٧م لعبارة من التوراة ، تقول : "استرشادا بالرؤية القديمة لأرض الميعاد ، فلنوجه أبصارنا اليوم إلي أرض ميعاد جديدة". ويشير (مايكل كوربت) في كتابه "الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية" إلي تغلغل الدين في حياة

الأمريكيين في قضايا عامة، وخاصة مثل شن الحرب وتفهمها ، أو تبرير أسبابها ، وتنظيم الحياة الشخصية ، وحول ما يجب فعله أو الامتناع عنه، أو تبرير العبودية ، والفصل العنصري أو رفضها. كما يعتبر المؤلف أن الصلاة الجماعية في الكنائس بأمريكا ، هي نوع من دعم الدولة للدين، وفي نفس الوقت مساعدة الأفراد علي الإحساس بكل ما هو مقدس، ويرجع المؤلف ظهور التعليم العام، ونشأة العمل التطوعي إلي الدين (كوربت، ٢٠٠٢، ص ٥٠) .

"وفي هذه الأيام يجد منظمو استطلاعات الرأي باستمرار ، مستويات من الإيمان الديني المعلن يمكن أن تدفع المرء إلى التشكيك في الاعتقاد الشائع القائل : إن الأمريكيين الآن أقل تديناً مما كانوا عليه منذ قرن مضى. إذ لا يقول خمسة وتسعون في المائة من الأمريكيين ، الذي يجري استطلاع آرائهم كل مرة أنهم يؤمنون بالله وحسب، بل يقول أكثر من سبعين في المائة أيضاً أنهم لن يصوتوا لصالح مرشح رئاسي لا يؤمن بالله ، "حتى وإن كانوا يحبونه حقيقة ... ويشاركونه آراءه السياسية". كما يقول سبعة من كل عشرة أن عيسى هو ابن الله المقدس . ويؤمن نفس العدد بحياة بعد الموت . كذلك يقول الثلث أنهم "ولدوا من جديد" كما يقول حوالي النصف أن "الكتاب المقدس كلمة الله ، وكل ما جاء فيه صحيح" . ويقول ستة من كل سبعة ، أن الوصايا العشر من الأمور، التي يجب العمل بها هذه الأيام ، بينما يذكر سبعة ، وخمسون في المائة أن الدين "أمر هام جدا في حياتهم" (مارسدن، ٢٠٠١، ص ٩).

وهذه المستويات العالية من الإيمان الديني ، التي كشفت عنها الاستطلاعات، تؤكد النتيجة التي سبق وأن توصل إليها (الكسيس دي توكفيل) في كتابه (الديمقراطية في أمريكا) عندما قال : في الولايات المتحدة السلطة المهيمنة سلطة دينية وبالتالي، لا يوجد بلد في العالم يتمتع فيه الدين المسيحي بالنفوذ الذي يتمتع به في نفوس الناس في أمريكا . كما أن الكتاب المقدس . المصدر الرئيس للعقيدة المسيحية . يتمتع بمكانة خاصة حاسمة في نفوس الناس في أمريكيا، لأنه كان في وسع المصلح دائماً الاحتكام إلى المبدأ البروتستانتي القائل : إن الكتاب المقدس كان السلطة الوحيدة العليا التي تسمو على جميع التقاليد، وكان بإمكان الشخص العادي الذي يقف إلى جانب المعنى الواضح المبني على سلامة الفطرة للكتاب المقدس ، وان يتجاهل سلطة رجال الدين المثقفين أو الكنائس ذات الهيبة والمقام.

وهكذا فقد اتفق جميع البروتستانت الأمريكيين تقريباً، من حيث المبدأ على أن الكنيسة الحقة والمدنية الصحيحة لابد وأن تقوما على الكتاب المقدس . ولا يكاد يمكن للمرء أن يغالي في تقديره للدرجة العظيمة التي نظر بها البروتستانت الأمريكيون إلى الولايات المتحدة ، على أنها نتاج لحضارة ذلك الكتاب . فقد حظي الكتاب ذاته باحترام واسع بوصفه المرجع النهائي لجميع المواضيع بما فيها التاريخ والعلوم ، إلى جانب اللاهوت والأخلاق. وطيلة القرن التاسع عشر الميلادي قرأ أطفال المدارس الأمريكيين دروساً في سلسلة كتب (ماك غفي) للقراءة عناوين مثل : "الكتاب المقدس خير المؤلفات المعتمدة" و "أمي التوراة" (مارسدن، ٢٠٠١، ص ٧١).

ونتيجة هذا الأثر الكبير للكتاب المقدس، وبالذات العهد القديم، على الأمريكيين، لم يكن غريباً أن يصف الأمريكيون أنفسهم بعبارات وصور مجازية توراتية، واقتفوا اثر سوابق بيوريتان نيوانجلند في هذا المجال واستمروا يتحدثون عن أنفسهم على أنهم إسرائيل جديدة، وأنهم شعب يرتبط بميثاق مع الله . وكان المفهوم الميثاقي . القائل : إن نجاح الأمة (الأمريكية) وازدهارها نتيجة لبركات من لدن الله، ومن ثم الاعتماد على النظام الأخلاقي القومي . يمثل معتقداً علمياً وله تأثيره الكبير في كل حركة سياسية رامية إلى الإصلاح الأخلاقي. إضافة إلى ذلك فقد أحدثت إيقاعات الكتاب المقدس أثرها في الاستعمالات اللغوية البلاغية ، وفي خطب (أبراهام لنكولن) مثال بارز على ذلك. وقدم الكتاب المقدس الكثير من أدبياتهم كما اقتصرت معرفتهم بالتاريخ إلى حد بعيد على التاريخ الموجود في الكتاب المذكور باعتباره المصدر الوحيد للحقيقة . ولكن ادعاء الكتاب المقدس الحقيقة هو ادعاء مستبد، فهو يستبعد الادعاءات الاخرى كافة .. حيث لا تحاول القصص التوراتية كسب ودنا ... كما انها لا تتملقنا بحيث يمكن ان تسعدنا او تفرحنا، انها تسعى لاخضاعنا، واذا رفضنا الخضوع فنحن مارقون (يانج، ٢٠٠٣، ص ٢٣٢). وربما هذا ما يفسر النظرة الاحادية والتعصب التى طبع بها المؤمنون بحرفيته من الاصوليون المسيحيون ، امثال بوش وغيرهم الذين قسموا العالم الى محورين شر وخير، ودول مارقه وخيره، وطالبوا الجميع بان يكونوا معنا او ضدنا!!؟.

الديني والعلماني

بالرغم من المزج الذي يسترعي الانتباه بين العنصر الديني الواضح ، والعنصر العلماني الواضح، في الحياة الأمريكية، والذي دفع المثقف الفرنسي (اليكس توكفيل) في كتابه عن الديمقراطية في أمريكا، إلى القول : إن الوعاظ والقساوسة الأمريكيين يتكلمون كساسة، والساسة يتكلمون كوعاظ (مقار، ١٩٩٢، ص ٣٢٢).

"بالرغم من هذا المزج الذي قد يوفر دليلاً هاماً في فهم الثقافة الأمريكية، فقد ركز معظم المؤرخين الأمريكيين بصورة شبه حصرية على ما هو علماني فقط . ويعكس هذا الموقف وضع الأسرة الأكاديمية الحديثة. إذ أكدت التفسيرات السائدة للسلوك البشري خلال القرن الماضي على العوامل غير الدينية، علاوة على ذلك فقد تنبأت العديد من النظريات ولاسيما التي ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين ، بأن الدين التقليدي شأنه في ذلك شأن الطب البدائي والمحراث الذي يجره الحصان سيختفي حتماً مع تقدم الثقافة والتعليم الحديثين. ومن ثم فإن معايير كثير من دراسات الإنسانية تمحورت حول الافتراض القائل بعدم ضرورة حمل الدين على محمل الجد ، من أجل فهم العالم الحديث" (مارسدن، ٢٠٠١، ص ٢٢) .

وفي الولايات المتحدة وبلدان أخرى في أواخر القرن العشرين ، أثبت هذا الافتراض بطلانه غير أن الأكاديميين كثيراً ما يتباطئون في التخلي عن تقاليدهم ، التي درجوا عليها في تفسير الأمور والأحداث. كما أن اغلب الباحثين تغافلوا أو لم يدركوا طبيعة الدين في أمريكا ، والكيفية التي نشأ بها، معتقدين انه لا يمكن إعطاء الدين دوراً في الحياة الأمريكية، طالما أن السلطة ليست في يد القساوسة ورجال الدين ، كما كان الحال في أوروبا أيام سيطرة البابا على السلطتين الزمنية والدينية، حيث تناسى هؤلاء أن الدين الأمريكي ما هو إلا امتداد للمذهب البروتستانتي ، الذي تمرد على سلطة البابا، ورفض رفضاً قاطعاً تمتعه بالسلطتين الزمنية والدينية، لما جلبه ذلك من مفاسد حسب اعتقادهم، ولهذا كان الفصل بين الدين والدولة مطلباً دينياً في المذهب البروتستانتي، ارتضاه المؤسسون الأوائل لأمريكا انطلاقاً من قناعتهم الدينية ، التي تدعوهم إلى العودة إلى الأصول، وعدم الاعتراف بأي سلطه غير سلطة الكتاب المقدس، باعتباره مصدر العقيدة النقي (سلطان، (ب، ت)، ص ١٥).

فالحكومة المدنية . أي المتحضرة . كما يرى البروفسور (مايكل كوربت) ، هي التي تؤيد الدين، بينما الحكومات الشمولية والديكتاتورية ، هي التي تقف ضد الدين، حيث أن الإصلاح الكنسي البروتستانتي ربط بين الكنيسة والدولة، وجعل كلاً من الحاكم والمحكوم تحته تابعين لكنيسته، ولكنه في نفس الوقت لم يجمع السلطتين الزمنية والدينية معاً، لكن حركات إصلاحية راديكالية مسيحية رفضت ربط الكنيسة بالدولة، ورأت أن هذا الارتباط يدمر الكنيسة تماماً.

وهذا الاختلاف في النظر للعلاقة بين الدين والدولة في أمريكا هو الذي جعل البعض ينظر إلى العلاقة بين الدين والسياسة في أمريكا باعتبارها معضلة لم تتحدد بعد؛ متناسين انه يوجد في أمريكا ما يسمى الدين المدني ، وهو دين مواز للكنائس الرسمية، يتغلغل في الحياة الأمريكية. وهو مجموعة من المعتقدات والطقوس والشعائر والرموز ، التي تنتشر في الحياة الأمريكية منذ القدم، مثل اعتبار عيد الشكر عيدا قوميا للصلاة . كما أعلن (جورج بوش الأب) عام ١٩٩١م إبان حرب الخليج . وابتهال كلينتون في خطبه إلي الرب ليبارك أمريكا، واستهلال الجلسات الحكومية بالصلاة، ودعم الحكومة لقساوسة الجيش، كما ويظهر الدين المدني في الأغاني مثل (أمريكا الجميلة) و(فليبارك الرب أمريكا) وغيرها. كما أنه بينما يذهب بعض الساسة ورجال الدين إلي الفصل بين السياسة والكنيسة يذهب آخرون إلي عمق العلاقة بينهما، فالرئيس (جيفرسون) وهو من المؤمنين بالدين المدني، يري ضرورة الفصل؛ بينما (جيري فالويل) يقول "أذا لم يتعلم المرء كلام الرب ، ولم يعرف ما جاء بالأنجيل ، فأنني أشك في قدرته علي أن يصبح قائدا فاعلا، وقيادته لكل شيء ؛ سواء أسرته أم كنيسته أو أمته لن تكون ناجحة دون هذه الأولوية" (كوربت، ٢٠٠٢، ص ١٩) ، وينحى نفس المنحى كثير من الساسة والمفكرين، ولكنه في كل الأحوال ، لا يمكن لأحد أن ينكر الدور الذي يلعبه الدين في الثقافة الأمريكية.

فالدين . كان ولا زال . يلعب دورا مهماً في التاريخ الأمريكي، حيث اعتبر المهاجرون الذين استقروا في أمريكا طيلة العهد الاستعماري ، أنهم ببساطة يمثلون المسيحية أو العالم المسيحي، حيث لعبت الجماعات البروتستانتية الحاكمة، دوراً مركزياً في تشكيل الثقافة الأمريكية. يقول (جورج مارسدن) :

> "إن قصة الإنجيلية الأمريكية هي قصة أمريكا ذاتها في السنوات ١٨٠٠ . ١٩٠٠م لأن الدين الإنجيلي هو الذي جعل الأمريكيين أكثر الأقوام المتدنية في العالم ..." ورغم وجوب الاعتراف بوجود قوى أخرى أيضاً، إلا أن المسيحية الإنجيلية كانت بارزة بصورة غير عادية في إعطاء شكل للقيم والثقافة الأمريكية في القرن التاسع عشر الميلادي . ولهذا يقول المؤرخ (وينثروب هدسن) : في عام ١٩٠٠م لم يكد يوجد من يشك في الطرح القائل : أن الولايات المتحدة كانت أمه بروتستانتية"(مارسدن، ٢٠٠١، ص ١١٢) .

وهذا يعنى انه لا أحد يستطيع أن يفهم أمريكا وحرياتها إلا إذا وعى وتفهم التأثير الذي باشره ومازال يباشره ، الدين في صوغ هذا البلد . فمن الخصائص الفريدة المميزة لنظام الحكم

الجمهوري في أمريكا انه يستمد الحيوية المحركة له من قيم من يعيشون في ظله، والذين أكدوا أن تلك القيم تستمد بالقدر الأعظم من الدين. وهذا ما جعل الشاعر الإنجليزي (جيليبرت كيث) يصف أمريكا بأنها أمة لها روح كنيسة (مقار، ١٩٩١، ص ٣١٧) .

أمريكا تقف في صف الله وتنفذ إرادته

لم يقف أثر الأفكار الدينية عند هذا الحد، بل ساعدت التقاليد البيوريتانية في تشكيل فهم الأمريكيين لأنفسهم فهماً جماعياً، إذ لدى الأمريكيين استعداد . على سبيل المثال . للاعتقاد بأن الازدهار الوطني الدائم الذي ينعمون به يعود إلى ما يتحلون به من فضيلة. ويشكل يوم عيد الشكر الوطني بقية من هذا التقليد الميثاقي. أما النظير المقابل لذلك ، وهو أيام الصيام والتوبة التي تمارس على الصعيد الوطني، فكان أقل شعبية لديهم رغم أن الرؤساء احتفوا بهذه الأيام بين الحين والآخر حتى في القرن العشرين. وعندما تبدو الأمور وكأنها تسير نحو الأسوأ درج القوم على تقليد وطني قديم يزعم أن الأمة تواجه المصائب لان الناس فقدوا الفضائل المفترضة التي تحلى بها أجدادهم. وقد أطلق على هذا النوع من التفجع الوطني اسم (الارميادة) نسبة إلى النبي أرميا ، الذي ورد في العهد القديم من الكتاب المقدس، وما يحمل السفر المسمى باسمه من نذر وتشاؤم بسبب ابتعاد إسرائيل عن الله ، وعن قواعد الأخلاق القويمة. وظهرت الارميادة في المواعظ البيوريتانية لأول مرة قبل نهاية عقد السبعينات من القرن السابع عشر الميلادي وذلك حال ظهور الجيل الثالث من المستعمرين (مارسدن، ٢٠٠١، ص ٢٧).

ففي منتصف القرن السابع عشر الميلادي ساد اعتقاد بان الله عاتب على شعبه الجديد ، وان هناك بوادر خصومه عبر عنها "ميخائيل ويغل وورث" أحد أكبر شعراء عصره في قصيدة ملحمية بعنوان (خصومة الله مع نيو انغلند) ندب فيها فشل المستعمرين في أداء واجبهم الرسالي، وتبدأ الملحمة بمقدمة طويلة تصف شيطانية الهنود وظلاميتهم ووحشيتهم ، وكيف أن هؤلاء العماليق والكنعانيين الملعونين تنطحوا لمحاربة رب إسرائيل ثم انهزموا مذعورين أمام جنوده ؟! وهناك عشرات المحاولات لتقليد هذه القصيدة الملحمية من قبل شعراء ثانويين ، كلهم ردوا غضب الله إلى خيانة العهد معه ، ودعوا إلى تجديده كما فعل العبرانيون القدامى (العكش، ٢٠٠٢، ص ١٢٧).

وهكذا منذ ظهرت أمريكا، كان التبرير الديني حاضراً ؛ ليبرر كل ما تقوم به، من خلال الاعتقاد بأنها، في كل ما تفعل . حتى وان كان ما تفعله جريمة إبادة جماعية لشعب بأكلمه . تقف في

صف الله وتنفذ رغباته. فالهنود الحمر، مثلاً، كانوا أشباه بشر، وأبالسة من أعماق الجحيم، وأعداء للمسيح، ولذا، فإن أبادتهم كانت عملاً خيراً من اجل المسيح وضد الشيطان إبليس عليه لعنة الله . ودائماً بشكل لحوح مستمر ومتواصل كان كل من استهدفته أمريكا شيطاناً (إبليس) أو من زبانية الشيطان (إبليس) . وبالتالي كان قتال أمريكا له عملاً مقدساً من أعمال الله على الأرض.

> فالإمبراطورية الأسبانية، مثلاً، عندما اندفعت أمريكا إلى ما وراء حدودها الوطنية لتأخذ من تلك الإمبراطورية مستعمراتها في أمريكا الجنوبية ، والبحر الكاريبي ، والمحيط الهادي، كانت (إبليس) ، وكانت أمريكا بمحاربتها أسبانيا لأخذ مستعمراتها منها قائمة بعمل الله على الأرض، وقائمة بدور الملاك جبرائيل في قتاله مع إبليس... وعندما اعتبرت الولايات المتحدة الاتحاد السوفيتي، بعد الحرب العالمية الثانية، منافساً خطراً لها .. بات الاتحاد السوفيتي هو إبليس وقامت أمريكا بدور جبرائيل، دفاعاً عن المسيح (مقار، ١٩٩٢، ص ٤١٥).

وبالضبط فانه كما سمي الأسبان حربهم لإبادة الهنود في جنوب القارة الأمريكية تبشيرية ، استند المتطهرون الإنجليز على أوامر يهوا بالإبادة المقدسة للهنود ؛ لتبرير طردهم وسرقة أرضهم أحياءً للعهد القديم، ولهذا كتب أحدهم يقول: "واضح أن الله يدفع المستوطنين للحرب، بينما يعتمد الهنود بعدتهم وعددهم على ارتكاب الخطأ مثل القبائل القديمة، يتحينون الفرصة لفعل الشر تماماً مثل قبائل (الاماليسيت) القديمة والفلسطينيين الذين كانوا يتحدون مع آخرين لقتال إسرائيل"(جارودي، ٢٠٠٢، ص ٥٠) .

ولما كان تاريخ الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر هو في الأساس تاريخ القضاء على الهنود، واستغلال العبيد الزنوج، فقد ظهر خلال هذه الفترة أبشع أنواع النفاق فيما يخص الهنود، كما ظهر لأول مرة ما أصبح المبدأ المحرك لكل الاعتداءات المستقبلية التي ستقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية عبر العالم اجمع، ويتمثل هذا المبدأ في اعتبار كل عدوان أو إباده تقوم بها الولايات المتحدة نوعاً من (الدفاع الشرعي)، وحق مقدس للرجل الأبيض، لتنفيذ الرسالة الإلهية الملقاة على عاتقه . فالرسالة التي ألقيت على عاتق الأمة الأمريكية التقية، هي رسالة إلهية .... فهذه الأمة التي وصفها ايزنهاور بأنها " تحب الله كثيراً ويبادلها الله حباً بحب" مكلفه تبعاً لذلك بتنفيذ مخطط الله للخليقة، ذلك المخطط الوارد بحرفيته في التوراة ، وسائر أسفار العهد القديم (مقار، ١٩٩٢، ص ٤٠٩).

فتعابير مثل شعب أخص و"شعوب مختارة" ، هي تعابير مهمة وحاسمة، لا توجد فقط في الأدبيّات السياسية لليمين الأمريكي، ولكنها توجد . أيضاً . في الثقافة الأمريكية عموما، وهو الإيمان بأمريكا "مختارة" بشكل خاصّ، وهو ما يصبح عند السيدة "مادلين أولبرايت" ، هو الإيمان ب"أمّة ضرورية"،سواء كانت منتخَبَة من الربّ أم من "القَدَر" أم من "التاريخ"، أو بكل بساطة أمريكا مدعوَّة إلى العظمة وإلى القوة ؛ لأنه مفروضٌ أنها تمتلك أكبر وأقدم ديمقراطية وأكثرها تطوّراً. هكذا سيقول "ويلسون" إن أمريكا لَهَا الامتياز اللامتناهي لأداء قدَرِهَا وإنقاذ العالَم. والأمثلة كثيرة على هذه المكانة التي يمنحها الأمريكيون لبلدهم، وهي مكانة تتجاوز المنطق، وتذهب بعيدا في مسار نبوئي وتبشيري. وهناك مقطعا ل "هرمان ميلفيل" : نحن الأمريكيين شعب مختار مميز . إسرائيل هذا الزمان ، إننا حاملون لتابوت عهد حريات العالم (برستوفتز، ٢٠٠٣، ص ٢٨) . لقد صوَّرَ الربّ أشياء كثيرة لِعِرْقِنَا، والبشرية تنتظر هذه الأشياء. إننا في قلوبنا نحسّ بهذه الأشياء. أمّا باقي الأمم فسَتَسير، قريبا، خلفنا. إننا روَّاد العالَم، الطليعة التي تم إرسالهَا من خلال غابة الأشياء التي لم تتحقق، لِشّقّ طريق في هذا العالَم الجديد الذي هو عالَمنَا" "(ليبفين، ٢٠٠٥، ٢٣، يوليو).

الأصولية الأمريكية المتطرفة

في العصر الحاضر تنامى الدور الذي يلعبه الدين في الحياة الأمريكية بصوره مخيفة ، بسبب تنامي قوة وتأثير الحركات الأصولية المتطرفة، التي تمكنت من الوصول إلى سدة الحكم أخيراً ، ممثله بالرئيس المؤمن (جورج دبيليو بوش) ، الذي يعكس بصورة دقيقه تماما طبيعة بلده الذي يحكمه. فنسبة المؤمنين بالله في الولايات المتحدة تصل إلى ٩٥% من السكان ، وهي أكبر نسب التدين في العالم، بينما في أوروبا قد لاتصل النسبة إلى ٦٥ %. كما أن الولايات المتحدة تحتوي على اكبر عدد من الكنائس في العالم، حيث أن هناك كنيسة لكل ٨٦٥ مواطنا ، وهو ما وصفه معهد (جالوب) للاستطلاعات تعليقا على استطلاع كان قد أجراه في مايو ٢٠٠٢ م، بأن ذلك حقيقي لأنه توجد رغبة عميقة إلى الاتجاه للشؤون الروحية. فهي حالة من الظمأ إلى الله فبينما يصل عدد الأمريكيين الذين يذهبون إلى الكنيسة مرة واحدة في الأسبوع إلى ٧٠% على الأقل تصل النسبة إلى ٢٠% فقط في أوروبا الغربية، و ١٤% في أوروبا الشرقية، وبذلك فإن أمريكا على عكس أوروبا تريد أن تثبت بوضوح أن الحداثة لا تعنى التحلل من الدين.

كما أن أمريكا تعتبر نفسها (وطن الله) ، وهذا وعى قديم متزايد ومترسخ الجذور منذ هروب (الكالفنيين) اتباع المصلح (كلفن) ، على الباخرة (ماي فلارو) عام ١٦٢٠م ، الذين اعتبروا

أنفسهم حجاجا إلى وطن الخلاص، أو إلى مملكة الرب. وهذا الوعي التاريخي هو الذي عمل على منع الفصل بين الدين والدولة في أمريكا، ورفض اعتبار الدين إيمانا ذاتيا وعلاقة شخصية بين العبد وربه. ومنذ ذلك الحين وفيما بعد عام ١٦٢٠م تم تأسيس أمريكا على أساس أنها دولة دينيه ، وسيطر الدين على الدولة منذ ذلك الوقت وحتى الآن. فحاليا توجد العديد من الطوائف البروتستانتية اليمنية المتطرفة التي تقود الجميع. واستطلاعات الرأي الأخيرة تشير إلى تزايد هذه المجموعات بصورة مخيفة(السقا، ٢٠٠٣، ص ٤٨).

ونظرا للمكانة التي يحتلها اليمين المسيحي الجديد في الحياة السياسية بالولايات المتحدة، فإنه من المفيد المقارنة بينه وبين منهاج التطهريين ، الذين اتسمت آراؤهم بالأهمية في الفترة الاستعمارية والأيام الأولى لتأسيس الدولة ، وهناك تشابهات عدة . فهناك تشابه في الأهداف، فكلاهما يرنو إلى الولايات المتحدة كدولة تمتثل لقوانين ومشيئة الرب كما يفهمونها. ويجب أن تتوافق الأخلاقيات الخاصة والعامة مع تعاليم الكتاب المقدس ، الذي يفسر بشكل محافظ. كما يرغب كلاهما في استخدام العملية التشريعية لضمان توافق القانون المدني مع القانون الديني وتطبيقه على المؤمنين وغير المؤمنين. وأخيرا فإن كلاهما يرى أن المدارس العامة تأتي بعد البيت والكنيسة ، كعنصر أساسي في تدريب الأبناء وفق معتقداتهم. وتضرب هذه الأهداف بجذورها في فهمهم للاهوت بشكل متشابه إلى حد بعيد، فهناك حقيقة واحدة مطلقة أوحى بها الرب للبشر . الرب والمتصف بالقوة والملك فالبشر مخطئون وضائعون بدون الرب، والولايات المتحدة أمة الرب المختارة ، لتكون مثالا للحياة الورعة في الدنيا (كوربت، ٢٠٠٢، ص ١٥٩).

ويرصد (صموئيل هنتنغتون) مظاهر الصحوة الدينية في الولايات المتحدة خاصة خلال عقد التسعينيات، وهي صحوة سادت مختلف الطوائف الدينية الأميركية ، وعلى رأسها الجماعات الإنجليكية التي زادت بنسبة ١٨% خلال التسعينيات ، ونجحت في بناء عدد كبير ومؤثر من المؤسسات السياسية. ويؤكد (هنتنغتون) حقيقة أن المجتمع الأميركي هو أكثر المجتمعات الأوروبية تدينا ، ما يجعله أرضا خصبة لعودة الدين، خاصة بعد أن ضاق الأميركيون بشكل متزايد منذ الثمانينيات بالمشاكل الأخلاقية ، التي انتشرت في مجتمعهم. ويقول : إن هناك عودة عامة للدين في أميركا انعكست على الروايات الأميركية ، وظهرت في الشركات والمؤسسات الاقتصادية، كما أثرت على الحياة السياسية من خلال الحضور الكبير ، للقضايا الدينية والمتدينين في إدارة الرئيس الأميركي الحالي (جورج دبليو بوش) . ويبشر بأن العودة للمسيحية . التي تعد أحد الركائز الأساسية للهوية الأميركية – تمثل عاملا هاما في دعم الهوية الأميركية ونشرها خلال الفترة الراهنة. كما أن الصحوة الدينية –وفقا لتحليل هنتنغتون تصب مباشرة في

الدور المساعد ، الذي يمكن أن يلعبه الدين على الساحة الدولية وخاصة في تعريف عدو أميركا الجديد وهو الإسلام (هنتنغتون، ٢٠٠٤).

علاقة الدين بالدولة الأمريكية الحديثة

خلال هذا الكتاب عرضنا لمواقف كثير من الرؤساء والساسة الأمريكيين، حيث لاحظنا أثر الدين في تشكيل مواقفهم تجاه قضية اليهود وإقامة إسرائيل ، وسنلاحظ بعد ذلك أيضاً كيف أن الدين لعب دوراً رئيساً في تشكيل مواقف الدولة الأمريكية من كثير من القضايا، مثل قضية الهنود الحمر ، والزنوج، والعلاقة مع العالم الخارجي، وهذا يوضح الدور الذي لعبه الدين في الدولة الأمريكية منذ تأسيسها وحتى الآن .

فقد اعتمد الرؤساء الأمريكيون بدءاً من (جورج واشنطن) فصاعداً على الحس الديني ، ليس للتأثير على عقول أبناء الشعب فحسب، بل على أفئدتهم أيضاً ، لتأييد الأهداف الرئاسية. فالدين والسياسة شكلا نسيجاً متداخلاً عبر تاريخ الولايات المتحدة منذ الفترة الاستعمارية ، وحتى وقتنا الحاضر (حسن، (٢٠٠٢)، ص٢٩٥) ، حيث وجدت الطبقة السياسية الأمريكية الحاكمه ضالتها في الغواية الدينية في إغواء الجمهور دينياً لتغييب وعيه من خلال استدراج واستحضار الدين وجعله مكوناً أصيلاً في الممارسة والثقافة السياسية الأمريكية، وذلك في ظاهرة فريدة من نوعها في بلدان الديمقراطيات الغربية ، التي فصلت منذ أمد بعيد بين الدين والدولة وبين الدين والمدرسة.

وهنا يرى البعض أن نقطة الامتزاج الروحي بين إيديولوجيا اليمين المتطرف الذي يمثل مصالح كبريات شركات السلاح والنفط في أمريكا ، وبين المرجعيات الدينية المسيحية البروتستانيه المتهودة ، قد وصلت إلى ذروتها في سبعينيات القرن العشرين المنصرم، إذ يأخذ في اعتباره الحقبة (الريجانيه) ، التي بدأت مطلع الثمانينات من ذلك القرن، حيث أفسح هذا الحلف المقدس المجال إلى تنامي الشعور بالفوقية ، وتبلور فكرة ونزعة السيطرة على العالم ، باعتبار أن الأمة الأمريكية هي الأمة الأنقى والأميز والأرقى قيماً وحضارة ، والأجدر بقيادة العالم على الطريقة الأمريكية الرائدة ، في إشاعة الخير ومحاربة الشر(الصياد، ٢٠٠٣، ١٥، فبراير).

بهذا التبسيط الشنيع لثنائية الخير والشر، اختزلت الطبقة الأمريكية الحاكمة فكرة العالم إذ شطرته إلى شطرين وفرزته إلى قسمين : قسم أخيار، وقسم أشرار. فوضعت في القسم الأول كل من يخضع لمشيئتها ويناصرها ويقلدها، ووضعت في القسم الثاني كل من تتغاير رؤاه معها ،

وكل من يبدي حرصاً وعقلانية على صيانة مصالحه. ورغم أن بعض رؤساء أمريكا السابقين حاولوا إدخال معتقداتهم الشخصية في طريقة ممارسة الحق الإمبريالي الأمريكي، وهذا ما كان (جيمي كارتر) قد فعله، وكذلك (رونالد ريغان) ، الذي أطلق المصطلح الديني القديم المعروف ، حول قوى الخير مقابل قوى الشر لوصف الاتحاد السوفيتي ، بأنه (إمبراطورية الشر) ، إلا أن (جورج بوش الابن) يحاول الآن المزج بين تمسكه بالمسيحية المتشددة ، ورغبته في وضع نظام عالمي جديد يقوم على المصالح الأمريكية، منطلقاً من فكرة : أن قدر الولايات المتحدة هو أن تشن الحرب للوصول إلى السلام ، وهو ما تسميه الولايات المتحدة مفهوم (الحرب الوقائية). ولكن هل هذه النزعة العدوانية هي حقاً وليدة تلك الحقبة السبعينية من القرن العشرين ، أم أن لها جذورها الممتدة عميقاً في بنية العقل والثقافة الأمريكية (بما في ذلك المكون الديني) وهنا يقول الدكتور (حامد سلطان) :

"يبدو ظاهراً أن المبدأ الذي ساد نظام الإمبراطورية الرومانية ، هو مبدأ خضوع الشعوب لروما، لا مبدأ (التنظيم العالمي) كما يدعي البعض ، وهو يقوم على السيطرة المادية الخالصة. أما استناده إلى السيطرة الدينية والروحية فقد اجتاز مراحل نشير إليها في إيجاز. فمن المفهوم أن المسيحية عندما بدأت زحفها الروحي على روما ، صادفت عقبات كثيرة ومقاومة شديدة من الحاكمين، والمسيحية دين يقوم في الأصل على فكرة السلام الخالصة ، ومن تعاليمها الثابتة النهي عن القتل والتحذير من القيام به. والأناجيل الأربعة مجمعه على أن من يقتل بالسيف، بالسيف يُقْتَل. لذلك كان طبيعياً أن يرفض الرومانيون الذين دخلوا في المسيحية في المراحل الأولى أن يقوموا بأداء الخدمة العسكرية في روما ، أو أن ينخرطوا في الجيش الروماني، أو أن يشتركوا في الحروب، التي كانت تشنها الإمبراطورية الرومانية. وعلى اثر ذلك قام صراع عنيف بين دعاة المسيحية المسالمة ورجال الحكم في روما، وكان هذا الصراع في الحق صراعاً بين الروحية والمادية ، وقد دام هذا الصراع قرابة أربعة قرون(سلطان، ١٩٦٨، ص ١٠٢) .

ولكن ابتداء من القرن الرابع للمسيح . عليه السلام . بدأ رجال الدين المسيحي يتقهقرون ويحاولون التوفيق بين روح المسالمة المسيحية من جهة، وروح السيطرة العسكرية من جهة أخرى. وأخرج القديس (ايزيدور) والقديس (امبرواز) بعض النظريات في هذا الشأن، على أن الداعية الذي كان له الأثر الحاسم في إيجاد هذا التوفيق هو القديس (أوغسطين) الذي أخرج في هذا الشأن مؤلفين أولهما هو(العقيدة المخالفة) ، والثاني هو "مدينة الرب" (سلطان، ١٩٦٨، ص ١٠٢) .

ويبدو واضحاً لمن يتفحص هذين المؤلفين، أن صاحبهما دعا المسيحيين إلى التخلي نهائياً عن فكرة المسالمة ، التي قام على دعامتها الدين المسيحي في الأصل. وليس هنا مقام التفصيل في شأن نظرية أوغسطين ، ويكفينا أن نذكر أن هذا القديس قام في مؤلفه الأول ، بتسويغ فكرة الحرب وفق الحجج التاليه:

١) أن الحرب هي عمل من أعمال القضاء العادل المنتقم. فهي تقوم لإنزال العقاب بالعدل، ومن ثم فليس هناك ظلم يقع من جانب من يقوم بالحرب العادله.

٢) أن الحرب هي لمصلحة المنهزمين ، لأنها ترجع بهم إلى حال السعادة في السلام.

٣) أن الحروب تقوم من أجل ضمان السلام (أبو خليل، ٢٠٠٣، ص٣٤).

وعندما ظهرت حركة الاصلاح الدينى على يد مارتن لوثر واخذت بالتفسير الحرفي للكتاب المقدس، واصبحت التوراة جزء اساسي منه بما تحتوية من معتقدات ومواقف تبرر الحرب والقتل، انعكس ذلك مباشرة على اتباعها . فكانت البروتستانتية في التاريخ الأوروبي ، وما تفرع عنه في العالم الجديد ، حركة انقلاب سياسية /لاهوتية/ فكرية/ اجتماعية ، مازال العالم يشهد مسار ما تمخضت عنه صوب جائحة عالمية ، لا يستطيع أحد أن يتنبأ بما قد تتسبب فيه من دمار ومعاناة ومذابح (مقار، ١٩٩٢، ص ٧١)، بسبب تبنيها المعتقدات اليهودية العنصرية الحاقدة، التى لعبت دوراً رئيساً في نشوء الارهاب والاجرام البريطاني الأمريكي تجاه العالم؟.

وهكذا فإن الجذور الدينية للمواقف الأمريكية تجاه الحرب والسلام توجد في الكتب المقدسة المسيحية واليهوديه. وقد أدت هذه الكتب إلى ظهور ثلاث رؤى للحرب: الحرب المقدسة ، والحرب العادلة والسلامية، حيث أن المسيحية كان لها السيادة في تشكيل المواقف على النحو التالي: إلى أن جاء حكم (قسطنطين) ، ظلت السلامية هي الموقف السائد للمسيحية، وإلى جانب هذا الموقف يمكن ملاحظة موقفين آخرين معاديين للسلام ، ينص مذهب الحرب العادلة على جواز مشاركة المسيحيين في الحرب ، وجواز إجبارهم على ذلك ما دامت الحرب تعلنها السلطة الصحيحة ، ويتم فيها الالتزام بقواعد أخلاقية. وظهرت فكرة الحرب المقدسة ، أو الحرب الصليبية خلال القرون الوسطى، حيث كان منهج الحرب المقدسة أو الحرب الصليبية، هو أحد المظاهر المهمة للمواقف في الولايات المتحدة تجاه الحروب ، ومصطلح الحرب المقدسة كما هو مستخدم هنا، يعني حرب مقدسة يشنها الصالحون نيابة عن الرب ضد الكفار والمهرطقين سياسيا أو دينيا (كوربت، ٢٠٠٢، ص ١٢٢).

وفي ظل هذا التبرير الديني الجاهز للحرب، تحت مسميات مختلفة لم يكن مستغرباً أن نجد أمريكا تبرر حروبها المختلفة بنفس المبررات، حتى أن (ريشارد لاند) رئيس مفوضيه الحرية الأخلاقية والدينية لكنائس "بابست" في الولايات الجنوبية، برر الحرب على العراق في أحد مقالاته على خلفية أسباب دينيه بقوله:

> "قيادة حرب عادلة هي عمل مسيحي يقوم على الإيثار، فالأشرار يجب أن يعاقبوا، والأخيار يجب أن يكافئوا ، لقد جاء وقت العنف . كما أن التيارات الأصولية المتطرفة بدأت تنادي بصورة متزايدة بوجوب شن حرب صليبيه ضد الإسلام، رغم أن عدداً من الأساقفة الكاثوليك وجماعات السود احتجوا على ذلك، إلا أنهم لن يؤثروا طالما أصر اليمين المسيحي المتطرف ، على التأكيد أن الحرب ضد العراق ، هي جزء من (الحرب ضد الشر) ليس ذلك فقط ، بل أنهم بدءوا يقولون: إن أوروبا هي أداة للشيطان ، لأنها لم تدعم أمريكا في حروبها الجديدة (السقا، ٢٠٠٣، ص ٤٣).

الأصولية المسيحية والنظام الدولي الجديد

ربما يستغرب البعض هذا الربط بين الأصولية المسيحية ، والنظام الدولي الجديد، على اعتبار أن مصطلح النظام الدولي الجديد ، هو مصطلح سياسي جاء ليعبر عن موازين القوى في العالم ، بعد انهيار المعسكر الشرقي بزعامة الإتحاد السوفيتي، والذي أفسح المجال أمام التفرد الأمريكي على الساحة الدولية ، وتحول العالم إلى نظام أحادي القطبية بزعامة أمريكا، مما أتاح لها المجال لفرض سياساتها وهيمنتها على العالم. وقد غاب عن هؤلاء أن هذا المصطلح له جذور عميقة في الفكر الأصولي المسيحي في أمريكا . فعندما تأسست الأمة الجديدة ، رأى الأمريكيون في أنفسهم منار هدى للعالم حيث رفع الشعور بكونهم أمة مختارة، أو إسرائيل جديدة، إحساسهم بالرسالة أو (المصير الواضح) ، بأنهم سيصبحون قوة يعبر نفوذها القارات، بفضل تفوقهم الأخلاقي المفترض. وفي القرن العشرين عندما أصبح الأمريكيون قوة عالمية ، كان الاعتماد على مثل الأمة المختارة الأعلى، أساساً منطقياً ومبرراً هاماً في السياسة الأمريكية الخارجية، من أجل التسريع بالنظام الدولي الجديد أو بالتعبير التوراتي "العصر الألفي السعيد" ، الذي كان التطلع إليه عميق الجذور في الفكر الأمريكي، وليس كما يعتقد البعض ، بأنه برز بعد الحرب الباردة وانهيار المعسكر الشرقي، أو أنه من بنات أفكار السياسيين والاستراتيجيين المعاصرين.

فخلال الحرب الأهلية ، كانت المقالة الشائعة بين البروتستانت في الشمال ، تعادل بصورة مفروغ منها ، بين نجاح الاتحاد ، وبزوغ فجر عصر جديد ، أو ألفية حكم المسيح. وكانت أنشودة معركة الجمهورية[٢] تتمتع بشعبية ؛ لأنها طبقت الرموز التوراتية الشائعة على قضية الاتحاد الشمالي. أما بالنسبة لأولئك الذين حملوا هذا التشبيه على محمل الجد، فكانت هذه الألفية فترة تتوج مسيرة تقدم الإنسانية، حيث سيحكم المسيح العالم ويغير مسار الحضارة، ويحدث تقدما روحياً يحقق جميع أحلام الإنسانية، حيث سيشهد العصر المقبل نهاية للحروب ، والرق ، والعنف ، والرذائل كالزنا ، ومعاقرة الخمر ، وسيحمل معه قفزات عظيمة إلى الأمام في العلم والتكنولوجيا والمعرفة الإنسانية ، وتحقيق الديمقراطية ، بما تحمله من وعود بالحرية والعدالة للجميع.

> وإذا أريد للولايات المتحدة تحقيق مصيرها كقائدة في هذه المهمة ، فإن عليها استئصال كبائر مثل : الرق للبرهنة على قدرة الأمة المكرسة نفسها للحرية والعدالة على الاحتمال والصمود . ولذلك عندما تشكلت الأمة الجديدة تقبل الأمريكيون بسرعة حديث الميثاق المتعلق بالحصول على مباركة الله أو التعرض لخطر أحكامه. وقد أحب الأمريكيون النظر إلى أنفسهم على أنهم حملة رسالة خاصة. وتحدثوا فوراً، بصورة تكاد تماثل ما كان البيوريتان قد تحدثوا به، عن الولايات المتحدة بوصفها إسرائيل الجديدة ، اختارها الله لتقوم بدور قيادي في حقبة جديدة من افتداء العالم (مارسدن، ٢٠٠١، ص ٢٥).

النظام الدولي الجديد .. والنظرية الكونية للتاريخ

نشر بعض وعاظ الضوء الجديد . أثناء اليقظة الكبرى . الفكرة القائلة : إن الكرة الأرضية كانت تقترب من فجر عصر جديد، حيث تحدث الكتاب المقدس ، الذي كان يعتبر على نطاق واسع المرجع النهائي حول جميع المسائل عن عصر ألفي وألف سنة من حكم المسيح . ومع أواسط القرن الثامن عشر كان أكثر التفسيرات شيوعاً يقدمه الإحيائيون الأمريكيون لهذه النبوءة، وهو أنها تنبأت بصورة رمزية بالعصر النهائي في التاريخ الذي سيأتي فيه روح المسيح أو الروح القدس لتحكم في العالم . وقد نظر إلى اليقظة نفسها على أنها بداية هذا العصر، الذي سيشهد إتباع الناس بأعداد كبيرة للإنجيل.

---

(٢) تقول أنشودة الجمهورية : وسط روعة الزنبق ولد المسيح على البحر، يحمل في صدره بهاء يغير من شكلك وشكلي نحو الأكثر روعة : وكما مات هو لإضفاء القداسة على البشر، فلنمت نحن لتحريرهم، بينما يسير الله قدماً. "جوليا وارد هاو (أنشودة الجمهورية – ١٨٦١) الدين والثقافة الأمريكية – جورج مارسدن – ترجمة صادق عودة ص ١٥

وكان من المحتم أن تتخذ هذه النبوءات دلالات سياسية. وحسب ما ورد في النص المقدس، فإنه لابد من يهزم المسيح الدجال كشرط لمجيء الألفية. وحسب ما درجت عليه العقيدة البروتستانتية ، فإن الدجال يعني البابا. ولذلك فان أية هزيمة سياسية للبلدان الكاثوليكية ، كانت خطوة نحو بزوغ فجر الألفية وفق نطاق المنشقين الأمريكيين. وتتوافق الحروب الفرنسية والهندية للأعوام ١٧٥٦.١٧٦٣م مع هذا التصور بدقة . فعلى سبيل المثال ، وصف (صموئيل ديفيس) الإنجيلي المشيخي الشهير، الجهود البريطانية ضد فرنسا على أنها بداية هذا الصراع الحاسم العظيم بين الحمل والوحش، وجاهر قائلاً :

> "إن من شأن نصر بريطاني أن يساعد في إحضار سماء جديدة ، وأرض جديدة. وعندما لم يجلب انتصار سنة ١٧٦٣م في ذيوله عصراً جديداً مهيباً، بل إعادة تنظيم الإمبراطورية البريطانية، استلزم ذلك بعض التمرينات البلاغية من جانب الوعاظ المنشقين لوضع إنجلترا البروتستانتية في الصف الذي يقف فيه البابا (مارسدن، ٢٠٠١، ص ٥٠) . كما كتب (توماس بين) في عام ١٧٧٥م يقول : إن لدينا من القوة ما يمكننا من أن نعيد بناء العالم مرة أخرى . فلم يحدث منذ عهد نوح حتى الآن، موقف مشابه لما هو عليه الحال في الحاضر، أن ميلاد عالم جديد أصبح الآن بأيدينا (كليفلاند، ٢٠٠٠، ص١٩) .

ومن المفارقات الغريبة أن أول إعلان عن نظام عالمي جديد، خلال القرن الحالي، صدر قبل ٥٠ عاماً من إعلان (بوش الأول) في الكونغرس عن نظامه العالمي الجديد. فقد استخدم (أدولف هتلر) اللغة ذاتها حيث قال: أنا علي يقين تام من أن عام ١٩٤١م سيكون عاماً حاسماً في فتح الطريق أمام نظام جديد عظيم في أوروبا. سوف تكون أبواب العالم مشرعة للجميع ... ستساعد هذه السنة في توفير الأساس اللازم لتفاهم حقيقي بين شعوب الأرض، بما يضمن المصالحة بين كافة الشعوب والأمم (زلوم، ٢٠٠٣). فباسم نفس المسيحانية المنقذة، أعلن هتلر ألف عام من النازية كسيطرة، وكإعادة تجديد للعالم بواسطة نقاء الشعب المختار الجديد : الآريون (جارودي، (٢٠٠٣) ص ٦٨). وبالطبع لم تجلب تطلعات هتلر لنظام عالمي جديد سوى الدمار والدماء لأوروبا والعالم ، وانهارت أحلامه في بناء إمبراطورية عالمية يحكمها الجنس الآري، ولكن ذلك لم يمنع وجود نفس الأفكار والتطلعات على الطرف الآخر من المحيط، ممثلاً براعي البقر الأمريكي، حتى لو كان هذا النظام العالمي الجديد سيتحقق على أشلاء ملايين البشر، وأنقاض حضارات عريقة.

فنتيجة للحرب العالمية الأولى والثانية ، تم رسم الحدود الاقتصادية للنظام العالمي الجديد ، الذي يجب أن يكون خاضعا لحاجات ومتطلبات الاقتصاد الأميركي، وقابلا للتحكم والضبط السياسي الأميركي قدر المستطاع، ولذا كان يجب تفكيك سيطرة الإمبرياليات . خاصة الإمبريالية البريطانية منها. في الوقت الذي تعكف فيه واشنطن على توسيع الترتيبات الإقليمية الخاصة بها، في كل من أميركا اللاتينية ، والمحيط الهادي ، وفق مبدأ "ما يلائمنا يلائم العالم". لإن الأميركيين يؤمنون بأن الولايات المتحدة ترمز إلى شيء ما في العالم، شيء يحتاجه العالم، شيء سيحبه العالم، شيء سيتقبله العالم في آخر المطاف سواء أحبه أم لا.

فالتخطيط الأميركي للعالم ، أقام إعادة بناء العالم الصناعي على نهج كفيل بتلبية احتياجات ومصالح قطاع المال والأعمال ، الذي يمسك بخيوط السياسات، فالأولوية لاستيعاب فائض الصناعات الأميركية، وسد الفجوة الدولارية، وخلق فرص الاستثمار، فخطة (مارشال) وضعت الأسس للشركات المتعددة الجنسية ، والاستثمارات ، والصناعات الأميركية ؛ لتمتد إلى ما وراء البحار ، محمية بمظلة القوة الأميركية. وأسندت إلى أجزاء أخرى من العالم وظائف حددها مخططو وزارة الخارجية: على جنوب شرقي آسيا أن يزود الإمبرياليين بالموارد والمواد الأولية، ولكن ينبغي منح اليابان نوعا من الإمبراطورية باتجاه الجنوب، وأفريقيا تسلم للأوروبيين كي يستغلوها لأغراض إعمار بلادهم، وكان نصيب الشرق الأوسط من نصيب الولايات المتحدة وليس أوروبا. ووصف قادة الولايات المتحدة المملكة العربية السعودية ، بأنها ينبوع قوة إستراتيجية مذهل، وإحدى أعظم الجوائز المادية في تاريخ العالم، ووصفت شرق آسيا بأنها بؤرة التجارة العالمية والتجديد التكنولوجي (تشومسكي، ٢٠٠٤) .

الحرب الباردة وحلم تأسيس إمبراطورية أمريكية

بعد الحرب العالمية الثانية، أتاح السلام الأمريكي الأول بناء نظام عالمي جديد ، قائم على المجابهة مع الشرق ، ولكن متمتع بآليات قوية في النظام المالي (اتفاقيات بريتن وودز، صندوق النقد الدولي، البنك العالمي ..) وفي الأمن الجماعي (منظمة الأمم المتحدة، حلف شمال الأطلسي) . وكان يراد من ذلك أن يؤمن للولايات المتحدة موقعاً مهيمناً، إلى جانب إفساح المجال أمام أوروبا واليابان لكي تعيدا بناء نفسيهما بفضل مشروع مارشال (مامير، ٢٠٠٤، ٤٤) .

وفي تلك الفترة وبمساعدة إشعيا بومان . الذي قاد مجموعة دراسات الحرب والسلام ، التي أسست لولادة نظام ما بعد الحرب العالمية الثانية . أسس (روبرت ستروز) في عام ١٩٥٥م معهد بحوث السياسة الخارجية ، والذي قام عام ١٩٥٧م بإصدار نشرة فصلية باسم (أوربز) ، تخصصت في الشؤون الدولية، حيث كانت المهمة المعلنة لهذا المعهد ونشرته هي الدعوة إلي إقامة إمبراطورية أمريكية، والتخلي عن سيادة الدول والدولة القومية، خاصة في عالم ما بعد الاتحاد السوفييتي! حيث نشر في العدد الأول للمجلة عام ١٩٥٧م مقاله ، عنوانها: "موازين الغد" جاء فيها:

> "إن مهمة الولايات المتحدة هي توحيد العالم بأكمله تحت قيادتها خلال هذا الجيل. أما سرعة وكفاءة تحقيق الولايات المتحدة لهذا الهدف فسوف يقرر مصير الحضارة الغربية ، وبالتالي المصير البشري... فهل سيكون النظام العالمي الجديد القادم هو إمبراطورية عالمية أمريكية...؟ يجب أن يكون الأمر كذلك لدرجة أن تحمل الإمبراطورية العالمية تلك دمغة الروح الأمريكية. أما التهديد لهذه الرؤية ، وهذه الإمبراطورية الأمريكية فسيأتي من آسيا كما جاء في مقال (أوربز) : أما الإمبراطورية الأمريكية والجنس البشري فسوف لن يكونا متضادين، بل هما اسمان لشيء واحد هو النظام العالمي الجديد"(زلوم، ٢٠٠٣).

ولكن هذا النظام الدولي الجديد ، الذي عملت أمريكا على تأسيسه، لم يتحقق بسبب ظهور الاتحاد السوفيتي كقوة عالمية بعد الحرب العالمية الثانية ، والذي شكل معضلة كبيرة في وجه دعاة تأسيس النظام العالمي الجديد، حيث توجهت جهودهم لمواجهة هذا الخطر الجديد من خلال تضخيم حجمه. فطوال ٧٠ عاماً، أقنعت الولايات المتحدة جزءاً كبيراً من العالم بأن هناك مؤامرة دولية تتربص به، مؤامرة شيوعية دولية، تسعى على اقل تقدير للسيطرة على الكوكب برمته، لأغراض ليس لها قيم تحقق الخلاص الاجتماعي، وجعلت العالم يعتقد انه يحتاج إلى الولايات المتحدة بطريقة ما لإنقاذه من غياهب الظلمة الشيوعية (بلوم، (٢٠٠٢) ص ٢٤).

ولهذا نشطت هذه القوى في بداية الحرب الباردة، حيث كانت السياسة الخارجية الأمريكية يجري تنفيذها تحت العلم الخفاق لخوض حرب صليبية أخلاقية ضد ما أقنع به محاربو الحرب الباردة الشعب الأمريكي ، ومعظم العالم وأنفسهم عادة، وهو وجود مؤامرة شيوعية دولية حقود، ولكن ذلك كان خداعاً دائماً، فلم يكن هناك مطلقاً ذلك الوحش المسمى بالمؤامرة الشيوعية الدولية (بلوم، (٢٠٠٢) ص ٤٤).

"ولكن تركيبة قوي اليمين المتطرف، شنت حرباً علي جبهتين ضد الشيوعية، حيث كانت أولي هاتين الجبهتين ما عرف باسم المكارثية، نسبة إلي السيناتور (جوزيف مكارثي)، والذي أذكى شرارة العنف السياسي ؛ ليصل ذروته من خلال مزاعم لا أساس لها من الصحة ، حول وجود الحمر، في إشارة إلي الشيوعيين، في كل الوزارات والدوائر الحكومية. وقد كشف (ويليام سوليفان) عميل مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI، إن الـFBI هو الذي كان يغذّي مكارثي ويزوده بالمعلومات(زلوم، ٢٠٠٣).

أما الذراع الثاني للحملة ضد الشيوعية ، فكان بروز التعصب المسيحي الذي داعب تلك المشاعر المناهضة للشيوعية في الولايات المتحدة. فقد سمع اثنان من قوي اليمين المتطرف عن واعظ مغمور يلقي عظاته في لوس أنجليوس أمام عدد قليل من الجمهور. وهنا رأي هذان الرجلان أن ذلك الواعظ ، يلاءم حاجتهما في التبشير بغرض مقاومة الليبرالية والشيوعية. وقام الرجلان بإجراء مقابلة مع ذلك الواعظ الذي هو(بيلي غراهام) ووعداه بمنحه كل دعمهم الإعلامي. وأوعزا إلي مجموعتهم الإعلامية بان تنفخ (غراهام) إعلامياً، وقاما بنشر صورة (غراهام) علي غلاف مجلة لايف، وبين عشية وضحاها، أصبح (غراهام) بطلاً قومياً أميركيا، وبدأ يلقي محاضراته وعظاته علي مئات الألوف من الجماهير، حيث ساهم في ذلك كون الناس قد شبعوا ضغوطاً ، وقرروا أن يعودوا إلي دينهم لينعموا بالهدوء في روحانيته، بعد أن ملأ الملل صدورهم من الرأسمالية والمادية. وهكذا أخذ المدّ الديني يتعاظم أكثر فأكثر. واستمرت حركتهم ونمت بفضل قوة الإعلام ومئات محطات الإذاعة والتلفزة التي يملكونها ، علاوة علي الميزانيات السنوية التي تقدر بمئات الملايين من الدولارات.

وقد ساهم هذا المد الديني في إذكاء الحرب ضد الشيوعية، وإطلاق قوة الولايات المتحدة لتدير حملة صليبية قوية ضد الشيوعيين الكفار(أولدفيد، ٢٠٠٣) حيث وصلت هذه الحملة ذروتها في عهد (ريجان)، مما ساهم في انهيار الشيوعية تماماً في عهد (بوش الأب) بعد حرب الخليج الأولى. ولم يكن غريباً في هذا الوقت أن يتم إعادة نشر مقالة (اوربز) المشار إليها ، والتي كتبت قبل ٣٥ عاماً من انهيار الاتحاد السوفييتي، مره أخرى في شتاء ١٩٩٣م ، في إشارة واضحة للاقتراب من تحقيق هدف تأسيس نظام عالمي جديد، حيث ثم تفكيك الاتحاد السوفيتي من ناحية، وتدمير اكبر قوه عربية تهدد إسرائيل ، وهى العراق ، من ناحية أخرى، ولتبدأ بعدها مباشرة خطة القضاء على الإسلام ومحاربته في كل مكان كما نعيشها الآن، حيث توجه مركز الثقل في الحرب الأمريكية صوب الإسلام والمسلمين، وبتحريض مسعور من دعاة صراع

الحضارات وبارونان الشركات متعددة الجنسيات، ورموز اليمين المسيحي المتطرف ، الذين زاد هوسهم الديني واعتقادهم بكثير من الخرافات التوراتية، التي عرضنا لها سابقاً .

فبعد أن كان المبشرون يلقون مواعظهم من العهد الجديد ، الذي يتحدث عن المسيح في بداية الأمر، أصبحوا فيما بعد الدعاة الحقيقيين للرأسمالية العالمية، داعين إلي حروبها بحيث أصبحوا يشغلون منصب البوليس الديني للنظام. ومؤخراً، باتوا يقدمون مواعظهم ، ويقتبسونها من إنجيل الصهيونية وليكودها المتطرف جدا ، لينادوا بالحرب ضد الإسلام، وشكل هؤلاء تحالفاً مع المتعصبين اليهود المتطرفين ؛ ليكونوا حركة متعصبة مسيحية يهودية ، اتخذت مواقف ضد الإسلام غاية في التطرف. وأصبحوا قوة هائلة في الحزب الجمهوري وصياغة سياساته، حتى أن (هيرب زوايبون) ، رئيس منظمة "أميركيون لإسرائيل آمنة" ، حذر (جورج بوش) في البيت الأبيض أنه في حال تبديل ١٠بالمئة فقط من الـ ٧٠ مليون مسيحي صهيوني لمواقفهم، فإنهم سيقلبون موازين الأمور ويدمرون رئاسة (بوش) ما لم يساند (شارون) في حربه الضروس ضد الفلسطينيين. لقد كان المسيح يدعو إلي المحبة وهؤلاء يدعون إلي البغضاء(زلوم، ٢٠٠٣) .

عصر التنوير الجديد

في الفتره مابين ظهور حركة الإصلاح الديني وحتى الآن، شهد العالم حروب كثيره، لعبت فيها الدول البروتستانتية الانجلوسكسونية الدور الرئيس، حيث سيطر الغرب خلال هذه الفترة علي مقدرات العالم، وشكلت الدول القومية نظاماً عالمياً متعدد الأقطاب ضمن الحضارة الغربية، حيث قامت تلك الدول بالتنافس والتفاعل ، وشن الحروب بين بعضها البعض. وقد توسعت هذه الدول القومية الغربية، وقامت باستعمار حضارات أخري والتأثير فيها. وأهم ما تحقق خلال هذه الفترة هو القضاء على نفوذ الدول الكاثوليكية والأرثوذكسية، وسيادة البروتستانت ممثلين بالانجلوسكسون في بريطانيا وأمريكا على العالم. وعندما صارت الولايات المتحدة لاعبا كونيا للمرة الأولى بعد الحرب العالمية الثانية، بدأت بإزاحة أصدقائها الأوروبيين لتحل محلهم، واستخدمت قدراتها وثرواتها الطائلة من أجل ترتيب النظام الدولي بعناية ومهارة(تشومسكي، ٢٠٠٤).

فبعد أن تمكنت أمريكا من القضاء على نفوذ الدول الكاثوليكية – كما سنعرض لاحقاً – ابتداء من حروبها في أمريكا اللاتينية وانتهاءً بالحربين العالميتين، ثم قضاءها على المعسكر الشرقي . التي تمثل دوله الكنيسة الأرثوذكسية . اقترب هذا الحلم الأمريكي من التحقق وأصبح النظام العالمي الجديد هو تحقيق إمبراطورية أمريكية عالمية ، تعمّها المثل والقيم الأمريكية، حيث شهدت الأعوام الأخيرة من الألفية الثانية عرضا ضخما وحماسيا من تملق الذات . ربما فاق كل سوابقه غير المجيدة بأية حال مصحوبا بتهليل مخيف لقيادة عالم جديد مثالي عاكف على وضع حد نهائي للبربرية، ومنذور لخدمة المبادئ والقيم لأول مرة في التاريخ، عصر من التنوير والبر طلعت شمسه علينا، وتتصرف فيه الأمم المتمدنة تحت قيادة الولايات المتحدة . وهي يومذاك في عز مجدها . بروح الغيرية والحمية الخلقية في التماسها المثل العليا.

ولادة النظام العالمي الجديد

مع سقوط الاتحاد السوفييتي وانهياره في نهاية عقد الثمانينات، أصبح النظام العالمي الذي ساد إبان الحرب الباردة طي النسيان ، ومجرد تاريخ فقط ، حيث حلّ محله النظام العالمي الجديد، الذي كانت أولى أولياته تحقيق الحلم الصهيوني، والسيطرة على العالم من خلال السيطرة على مصادر النفط في المنطقة العربية. وإذا كانت السيطرة علي النفط العالمي، أولوية معلنه لليمين المتطرف، وإن تم تجميلها ببعض المزاعم كمحاربة الإرهاب، ونشر الديمقراطية وحقوق الإنسان، فإن الهدف المتعلق بالحلم الصهيوني المسيحي الأصولي ، ظل غائباً عن الصورة لأهداف تكتيكية. وهكذا احتلت المنطقة العربية والإسلامية مركز الثقل بالنسبة لليمين الأمريكي المتطرف، وكانت علي رأس الأولويات علي أجندة النظام العالمي الجديد الذي صاغ إستراتيجيته الكونية على هذا الأساس .. فكانت حرب الخليج الأولوية الأولي للنظام العالمي الجديد ... وكان العراق إلي جانب بقية دول الخليج المنتجة للنفط أولي الضحايا التي قدّمت لهذا النظام الجديد.

ففي الثالث والعشرين من آب (أغسطس) ١٩٩٠م ، أي بعد ثلاثة أسابيع من اجتياح العراق للكويت، استخدم (برنت سكاوكروفت) مستشار الأمن القومي ، في عهد الرئيس (جورج بوش) مصطلح النظام العالمي الجديد للمرة الأولي حيث خاطب الصحافيين ، قائلاً: إننا نؤمن بأننا سنقيم أركان النظام العالمي الجديد علي أنقاض العداء الأمريكي . السوفييتي الذي كان قائماً أما رئيسه بوش، فقد خاطب الكونغرس الأمريكي بعد ذلك بعدة أسابيع في ١١ ايلول (سبتمبر) ١٩٩٠ م قائلاً: لقد ابتدأت شراكة جديدة بين الدول... إن الأزمة القائمة في الخليج الفارسي،

علي خطورتها ودمويتها، تمنحنا فرصة نادرة... من خضم هذه الأوقات العصيبة... قد يولد نظام عالمي جديد (زلوم، ٢٠٠٣).

وهنا يبدو الرئيس (بوش) يعيد تكرار أمنية سابقة تمناها الزعيم الصهيوني (إسرائيل زانغويل) في خطاب له في ٢ ديسمبر ١٩١٧م ، أي بعد صدور وعد بلفور بشهر واحد، وصف فيه المحاولات البريطانية والأمريكية، الرامية إلى إعادة اليهود إلى أرض فلسطين ، بقوله :

> "سبع حملات صليبية إلى الأرض المقدسة، عادت على اليهود بالمذابح، فهل ستؤدى الصليبية الثامنة إلى استرجاع اليهود لفلسطين ؟ وإذا كانت صليبية حقة، فإن تلك الحقيقة بالذات تأتى بمثابة البرهان على النظام الجديد لعالم تسوده المحبة والعدالة" . ولم ينسَ (زانغويل) في هذا الخطاب، أن يكمل صورة النظام الجديد الذي توقع ميلاده في ظل الحملة الصليبية الثامنة، حيث أشار إلى ضرورة طرد العرب من أرض فلسطين ليتسنى إحلال اليهود مكانهم، لإقامة الوطن القومي اليهودي . كما تمنى في هذا الخطاب أن يكتمل هذا العمل عن طريق جعل مدينة القدس مقراً لعصبة الأمم، بدلاً من لاهاى المفلسة، ليتسنى جمع الحلمين العبرانيين، الأكبر والأصغر، ودمجهما في حلم واحد، ولتصبح العاصمة العبرانية . ملتقى الديانات العالمية الثلاث . مركزاً ورمزاً للعصر الجديد في الحال (رزوق، (١٩٧٣) ص ٤٠٧).

ولكن هذا النظام العالمي الجديد الذي تمنى ولادته (زانغويل) و(بوش الأب) لم يبقَ أمامه إلا العدو الجديد، وهو العالم الإسلامي، فكان لابد من صناعة صورة العدو البديل .. وكان لابد من خوض حرب صليبية بين قوى الخير والشر، وبقيادة (بوش الابن) ليتحقق العصر الألفي السعيد بقيام إسرائيل الكبرى ، وعودة المسيح ليحكم العالم من مقره في القدس ...

الفصل الرابع

أمريكيا والمشروع الصهيوني

كان دافيد بن جوريون والزعماء الصهاينة الآخرين يعلمون، عندما أعلنوا عن قيام دولة إسرائيل في عام ١٩٤٨ م، بأنه لا بد من وجود حليف قوى يقوم بحماية هذه الدولة الوليدة، حيث كانت الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة المؤهلة للقيام بهذه المهمة بعد أن خرجت من الحرب العالمية الثانية كأقوى قوة في العالم، وأصبحت تلعب دوراً رئيساً في تشكيل السياسة الدولية. وهذا لا يعنى أن بريطانيا قد تخلت عن دعم إسرائيل، أو أن أمريكيا كانت غائبة عن دعم مطالب الحركة الصهيونية في فلسطين قبل ذلك. كلا، إن هذا التغير فرضته المتغيرات الدولية، بحيث أصبحت أمريكيا تحتل مركز الصدارة في دعم الحركة الصهيونية بعد الحرب العالمية الثانية. فأمريكيا مثلها مثل بريطانيا ذات أغلبية بروتستانتية، تغلغلت في تفكير مواطنيها الأفكار والنبوءات التوراتية الخاصة بعودة اليهود إلى فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر، حتى قبل ظهور الحركة الصهيونية بفترة كبيرة من الزمن.

هجرة البروتستانت إلى أمريكيا

عندما بدأ الاستيطان الأوروبي لأمريكا كان معظم المهاجرين الجدد من البروتستانت، الذين فروا من الاضطهاد الديني الذي ساد أوروبا في ذلك الوقت، حيث هاجر إلي أمريكيا كثير من البيوريتان المتدينين، فراراً من الاضطهاد الديني الذي ساد إنجلترا أثناء حكم آل ستيوارت[٣]، حيث كانوا ينظرون إلى أنفسهم من منطلق خاص بهم . "فعلى غرار الخروج الجماعي المذكور في العهد القديم والذي هرب فيه اليهود من مصر ورحلوا إلى ارض جديدة وعدهم الرب بها، نظر البيوريتانيون لأنفسهم على أنهم الشعب المختار الجديد، ونظروا إلى العالم الجديد على انه إسرائيل الجديدة. أما العالم القديم بالنسبة لهم، فكان هو مصر التي فروا منها. لقد عقدوا عهداً مع الرب: انه إذا أمن الرب ذهابهم إلى العالم الجديد، فإنهم سيؤسسون مجتمعاً تحكمه القوانين الإلهية"[٤].

وهكذا كان هؤلاء المستوطنون الجدد يحملون معهم تراثهم الديني المستمد من العهد القديم، والذي أخذ يلعب دوراً رئيساً في تشكيل الفكر الأمريكي منذ ذلك الوقت. ومما قوى من أهمية هذا الدور، هو ربط هؤلاء المستوطنين بين تجاربهم التي مروا بها منذ رحيلهم من أوروبا وإنجلترا

---

(٣) المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية – ج١. د. محمد النيرب – ص٣٣

(٤) الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية . تأليف مايكل كوربت وجوليا كوربت، . ترجمته د.عصام فايز، ود. ناهد وصفي ص٤٤

بالذات، وبين التجارب التي مر بها اليهود القدماء عندما فروا من ظلم فرعون إلى أرض فلسطين[٥]. حيث اعتبروا أمريكا هي (أورشليم الجديدة) أو (كنعان الجديدة) وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء حين فروا من ظلم فرعون (الملك الإنجليزي جيمس الأول) وهربوا من ارض مصر (إنجلترا) بحثا عن ارض الميعاد (الجديدة)[٦]. فقد رأى البيوريتانيين في تجربتهم الخاصة المتمثلة "بالهروب إلى البراري، من أوروبا المنحوسة مساوية لتجربة اليهود الذين قادهم موسى من مصر، غير أنها كانت أكثر بكثير من تجربة مساوية . لقد آمنوا بأن تجربتهم لم تكن في الحقيقة إلا تجسيداً حياً لتجربة الخروج. وقد فسروا تجربتهم على أنها تكرار للتاريخ الذي شكل شعب الرب القديم"[٧] .

فهم مثلهم مثل اليهود فروا من الظلم بحثاً عن الأرض الموعودة التي تدر لبناً وعسلاً، وجابهوا الصعاب في رحلتهم عبر المحيط، كما حدث لليهود في صحراء سيناء عند خروجهم من مصر . كما أنهم جوبهوا بمقاومة السكان الأصليين كما جوبه اليهود بمقاومة أهل فلسطين، وعندما كانوا يعلنون الحرب على أصحاب البلاد الأصليين، كانوا يستحضرون العهد القديم، حيث ثمة تشابه بين تجاربهم في حربهم مع الهنود الحمر، وتجربة اليهود في حربهم ضد الفلسطينيين في الماضي . لقد عانوا من الانقسام ومن تجارب الحرب الأهلية المرة بين الشمال والجنوب، كما حدث مع اليهود القدماء عندما انقسمت مملكتهم إلى مملكتين إحداهما في الشمال والأخرى في الجنوب.

لقد كان هؤلاء المستوطنون يعلمون أن الأرض التي استولوا عليها من سكانها الأصليين ليست أرضهم، كما أنهم يعلمون أن ما يقومون به من عمليات اضطهاد وقتل وتشريد للسكان الأصليين، يتنافى مع أبسط المبادئ الأخلاقية، فكانوا لذلك بحاجة إلى شيء يبرر لهم أفعالهم هذه ويضفي عليها نوعاً من الشرعية والأخلاقية ولو مزيفة، فلم يجدوا هذا التبرير إلا في العهد القديم. فكما أن اليهود القدماء برروا احتلالهم لفلسطين بالإدعاء بأنها الأرض الموعودة التي وهبها الله لشعبه المختار .كما يقولون– فإن هؤلاء المستوطنون الجدد فعلوا نفس الشيء بالإدعاء بأن الله أختار العنصر الأنجلوسكسونى البروتستانتي الأبيض لقيادة العالم ، بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك عندما شبهوا الشعب الأمريكي بالشعب اليهودي الذي يسعى إلى دخول الأرض الموعودة.

---

(٥) من أوراق واشنطن . د. يوسف الحسن . ص ١١٩ .

(٦) ارض الميعاد والدولة الصليبية . أمريكيا في مواجهة العالم منذ ١٧٧٦. والتر ا. مكدوجال – ترجمة: رضا هلال ص ٥– دار الشروق – ط٢ ٢٠٠١.

(٧) الصهيونية المسيحية (١٨٩١.١٩٤٨م) – بول مركلي . ترجمة: فاضل جتكر. ص١،٥– ط ٢٠٠٣ سوريا – قدمس للنشر والتوزيع

ولأن زعم هؤلاء المهاجرين الأوائل بأنهم شعب الله المختار، لا وجود له في أي كتاب مقدس، فإن بعضهم سعى إلى إيجاد رابطة بينهم وبين اليهود الذين يدعون أنهم شعب مختار. لهذا فقد زعم أحد الكتاب ويدعى ريتشارد بروترز في كتابه (المعرفة المنزلة للنبوءات والأزمنة) "بأن الإنجليز السكسون هم من أصل يهودي، على أساس أنهم ينحدرون من سلالات الأسباط التي أدعى اليهود أن أفرادها فقدوا بعد اجتياح الآشوريين لمملكة إسرائيل عام ٧٢١ قبل الميلاد"[٨]. وربما يفسر هذا الادعاء ما كتبه هيرمان ملفيل في بداية القرن التاسع عشر متحدثاً عن الشعب الأمريكي حيث قال: "نحن الأمريكيون شعب خاص، شعب مختار وإسرائيل العصر الحاضر"[٩].

يقول القس البروتستانتي صموئيل ويكمان في موعظته الشهيرة على ظهر السفينة (أرابلا) التي حملت أول مجموعه من البروتستانت البيورتانيين (التطهيريين) إلى خليج ماساشوستس: "أن أورشليم كانت لكن نيوانجلاند (المستعمرة الأولى) هي الموجودة الآن، وأن اليهود كانوا لكنكم انتم (البروتستانت التطهيريون) شعب الله المختار ، وعهد الله معكم فضعوا اسم نيوانجلاند مكان اسم أورشليم. وعندما وصلت المجموعة الثانية من المستوطنين إلى شاطئ نيو انجلاند على ظهر السفينة (ماي فلاور) عام ١٦٢٠ م وقعوا فيما بينهم (عهد ماي فلاور) الذي حددوا فيه طريقة الحياة التي يرغبونها وأسس المجتمع المثالي في أورشليم الجديدة أو إسرائيل الجديدة (أمريكا)... وذلك تمجيداً لاسمه تعالى، وترويجاً للدين المسيحي ..."[١٠].

مما تقدم يتضح لنا أهمية الدور الذي لعبه التراث الديني المستمد من العهد القديم في تشكيل الفكر الأمريكي منذ بداياته الأولى، وهذا ما دفع والتر ماكدوجال في كتابه (أرض الميعاد والدولة الصليبية) إلى القول: "أن نشأة أمريكيا كانت نتيجة اندفاعية دينيه، بل أن مغامرة كولمبوس لم تكن إلا مغامرة دينيه وبكلمات كولمبوس، فإن الرب جعله رسولا للجنة الجديدة والأرض الجديدة بعد أن حدثه بها يوحنا المقدس في سفر الرؤيا وأراه النقطة التي يجدها عندها، أن اكتشاف أمريكا قبل أي شيء آخر كان نهاية حج عظيم ونهاية للبحث الروحي العظيم"[١١].

الفكر الأمريكي والبعث اليهودي

في ظل هذا الوضع، ومع نهاية القرن الثامن عشر الذي شهد بعث الأمة الأمريكية، أصبح الاعتقاد بالبعث اليهودي يشكل جانباً مهماً من الفكر الأمريكي، "وكان من شأن الحماسة

---

(٨) أزمة الفكر الصهيوني . د. محمد ربيع . ص ٤٦ .

(٩) الإمبراطورية الأمريكية . كلود جوليان . ترجمة ناجى أبو خليل . ص ١٩

(١٠) مختارات من الفكر الأمريكي/ تحرير دايان رافيتش ...[وآخرون] ؛ ترجمة نمير مظفر – ص٢٧– ط.١. – الأردن : دار الفارس، ١٩٩٨.

(١١) ارض الميعاد والدولة الصليبية أمريكيا في مواجهة العالم منذ ١٧٧٦. والتر ا. مكدوجال – ترجمة : رضا هلال ص٦.

الأمريكية لإعادة اليهود إلى إسرائيل، بعد استثارته، أن يثبت انه أقوى من النزعة الاعادية الانجليزية . لأنه أكثر حيوية ومستنداً إلى قاعدة أوسع. فالطبعة الأمريكية تضيف إلى الاقتناع الإنجليزي بمسؤولية خاصة عن إنقاذ اليهود المشتتين، الإيمان بأن أمريكا نفسها صبت في ذلك القالب منذ بداياتها الأولى، وبأن مصير إسرائيل يعانق مصيرها"[١٢]. ولهذا كان واضحاً منذ البدايات الأولى أثر العهد القديم في الحياة الأمريكية. فقادة الولايات المتحدة وشعبها وكتابها أسموا دولتهم وقت إنشائها بـ (أورشليم الجديدة)، وأسموا مدنهم ومستوطناتهم بأسماء توراتية، منها: صهيون، وأورشليم، وحبرون، واليهودية، وسالم (التي اشتهرت بإحراق الساحرات)، وعدن، وأسموا أولادهم بأسماء آباء العهد القديم وأبطاله، بدل اسماء القديسين وتلاميذ المسيح عليه السلام.

السامري على الدولار

لو تأملنا ورقة العملة النقدية الأمريكية، فئة دولار واحد، فسنجد رسماً مثيراً لهرم مصري وقد اعتلته قمة ذهبية عليها عين وحيدة، ويخرج من القمة الذهبية خيوط إشعاع، وقد كتب فوق الهرم باللاتينية (المصري الوحيد)، وتحته (إنه يرانا) . أو يرقبنا أو يرعانا. وليست مصادفة أن نفس هذا الرسم بتفاصيله يستخدم كرمز أساسي من رموز الماسونية "وهي واحدة من أقدم الحركات اليهودية التي تستهدف السيطرة على العالم، وفروعها وجمعياتها حالياً كثيرة ومنتشرة كالسرطان"[١٣].

ولفهم معاني هذا الرمز (الصهيوني في أصوله وتفاصيله) نعود إلى قصة السامري، ذلك الذي خرج مع بني إسرائيل عند خروجهم من مصر، وصنع لهم عجلاً ذهبياً عبدوه، حتى عاد موسى . عليه السلام . فنسف العجل في اليم نسفا وطرد السامري. لكن اليهود رأوا في السامري أول رسل الصهيونية، وظلوا يحفظون مغزى حركته التحريفية التي قام بها، والتي منحتهم ما ظلوا يؤمنون به حتى اليوم: الذهب، وتصور وثني لإله متجسد. وإكراماً للسامري، الذي دعاه اليهود المصري الوحيد (أو الحقيقي أو الأصلي) حافظوا على الرموز المصرية بين رموزهم الماسونية، وخصوه برمز الهرم ذي القمة الذهبية، ورمز الشمس المشرقة، ورمز العين (إشارة إلى اثنين من أهم المعبودات المصرية القديمة وهما: رع كبير الأرباب ورب الشمس، وحورس رب الانتقام وكان يعتقد أن لعينه خصائص سحرية شافية)، واعتقدوا أن السامري يرعاهم، واتخذوا من الانتساب إليه ذريعة تربطهم بمصر التي عاشوا فيها عبيداً، وخرجوا منها خائفين يترقبون مع نبي لم يؤمن به إلا قليل منهم، ولم يؤمنوا به إلا قليلاً، ذريعة تعطيهم . فيما بعد . حق المطالبة بما يدعونه

([١٢]) الصهيونية المسيحية (١٨٩١.١٩٤٨) – بول مركلي . ترجمة: فاضل جتكر. ص١٠٧

([١٣]) لهذا كله ستنقرض أمريكا– الغ بلاتونوف . ترجمة: نائله موسى ص٣٢

إسرائيل الكبرى التي يزعمون أنها من النيل إلى الفرات. وسيكتشف أي باحث في التاريخ حجم حقدهم المسموم ومداه المحموم حين يعرف أن الأرض من النيل إلى الفرات إن هي إلا إمبراطورية تحتمس الثالث الملك المصري الذي استعبد بني إسرائيل، وهاهم العبيد يحلمون بالانتقام من سيدهم والاستيلاء على ممتلكاته. كل هذه المعاني والرموز السرية الماسونية والصهيونية، وكل هذا الحقد التاريخي الفادح، اختزله اليهود في رمز الهرم ذي القمة الذهبية والعين، واختاره الأمريكيون الأوائل شعاراً لعملتهم الأولى (دولار واحد)" [١٤].

... وخاتم داود

خاتم الدولة هو شعارها الرسمي، وهو . بلا شك . شعار يتم اختياره بعناية للتعبير عن هويتها وانتمائها، وقد اختار المؤسسون الأوائل للولايات المتحدة الأمريكية، درع داود (النجمة السداسية) شعاراً لهم وضعوه على رأس النسر الأمريكي (والنسر رمز توراتي معروف هو الآخر). ولنلاحظ أن اختيار هذا الشعار الصهيوني تم قبل أكثر من قرن كامل من انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا. فقد انعقد المؤتمر في ١٨٩٧م ، في حين تولى (جورج واشنطن) . الرئيس الأول للولايات المتحدة الأمريكية . مقاليد الحكم في ١٧٨٩ م. إذن فقد سبقت صهيونية أمريكا صهيونية (هرتزل) بل إن صهاينة أمريكا زايدوا على (هرتزل) نفسه كما سنرى.

يقول شفيق مقار في كتابه (المسيحية والتوراة) : "من المعطيات المهمة التي توجه البحث صوب العالم الجديد (أي أمريكا) احتواء الخاتم الرسمي لدولة الولايات المتحدة الأمريكية، منذ ما قبل ظهور الصهيونية اليهودية بوقت طويل على (مجن داود) النجمة السداسية التي ترفرف اليوم من علم المحطة الصهيونية الأولى (إسرائيل)، والمجن في الخاتم من ثلاث عشرة نجمة تمثل كل نجمة منها ولاية من الولايات الثلاث عشرة الأولى التي تألف منها الاتحاد. ويشير جوزيف كامبل، في كتابه (قوة الأسطورة) إلى أن النجوم المستخدمة في الخاتم الأمريكي تشكل ١٣ نقطة هي عينها النقاط الـ ١٣ في النجمة اليهودية بحيث أدمجت في خاتم الدولة الأمريكي"[١٥].

أمريكا مهد الصهيونية

ان الولايات المتحدة، منذ ظهورها، دخلت في تشكيل بنيتها وفي صنع روحها مؤثرات عبرانية بالغة الفعالية . لا من غلبة عنصر البروتستانتية الأنجلو سكسونية فحسب، بل ومن دخول اليهود كشركاء مؤسسين، إن صح التعبير، في تكوين أمتها وتحديد مسارها، "فقد غزت اللغة العبرانية العالم الجديد قبل أن ينادي هرتزل بإنشاء الدولة اليهودية بأكثر من قرنين ونصف

([١٤]) المسيحية والتوراة . شفيق مقار. ص١١٩

([١٥]) المسيحية والتوراة . شفيق مقار . ص١١٧

القرن! وكانت لغة التعليم الأساسية في جامعة هارفارد عند تأسيسها في عام ١٦٣٦ م ، وشريعة موسى كانت هي القانون الذي أراد جون كوتون تبنيه إلى جانب العبرية التي أرادها لغة رسميه لأبناء مستعمرات الدم الأزرق الثلاث عشرة على ساحل الأطلنطي"[١٦]. كما إن الحقائق التاريخية التي كشفت عنها البحوث تشير إلى أن أولئك اليهود كانوا من بين مؤسسي الولايات الثلاث عشرة الأولى التي تألف منها الاتحاد.

فقد اضطر اليهود، أبناء أوربا بالتبني الذين ازدرتهم أوربا خلال القرون من الخامس عشر إلى السابع عشر الميلادي، إلى الهجرة والبحث عن ملاذ، وقد وجدوا ذلك الملاذ في أمريكا، الأرض التي كان مقدراً لها أن تصبح الابنة المفضلة لأوربا، وهكذا يمكن القول من وجه بعينه إن بين اليهود وأمريكا قضية مشتركة من مبدأ الأمر، وإن ذلك التوافق شكل علاقتهما منذ التقائهما. ولهذا فإن الأمريكيون ينظرون إلى إسرائيل على أنها شديدة الشبه بأمريكا، "أمه مهاجرة، ودولة مهاجرين، وملاذ مضطهدين ومظلومين، ومجتمع رواد استيطان، بلد قوي وشجاع عازم على النضال في صف الحق، ونظام ديمقراطي تظلله سيادة القانون (الوحيد في الشرق الأوسط) وواحة ثقافة استهلاكية غربية في صحراء قاحلة تحيط بها من كل جانب، وثمة عدد كبير من الأمريكيين في إسرائيل. فالروابط بالغة المتانة إلى درجة أن إسرائيل ليست بنظر عدد غير قليل من الأمريكيين، سوى ولاية حادية وخمسين"[١٧].

ويفصل احد الكاتب الأمريكين هذه القضية المشتركة بقوله: "إن كلاً من الولايات المتحدة وإسرائيل يضمهما عناق حميم في سياق علاقة خاصة غريبة، وسواء كانت إسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة أصلاً استراتيجياً أو مشكلة استراتيجية، فإنها تجسد مثلاً أعلى مغروساً بعمق في الفكر الأمريكي منذ السنوات الأولى لظهور أمريكا في العالم الجديد". ولكن هذه العلاقة الخاصة التي يتحدث عنها الكاتب، وغيره من الساسة ورجال الدين والفكر في أمريكيا، "كلفت الولايات المتحدة ٩١,٨٢ بليون دولار نقداً. أما إذا أضيف إلى ذلك الكلفة غير المباشرة مثل تسهيلات القروض وإلغائها، وما دفعه الاقتصاد الأميركي لشراء نفط عالي السعر بسبب الصراع، أو خلال مراحل المقاطعة، أو مستتبعات الحروب العربية الإسرائيلية وغير ذلك، فإن "سعر" العلاقة الخاصة يصل إلى ١,٦ تريليون دولار"[١٨].

رؤساء أمريكا والبعث اليهودي

([١٦]) حق التضحية بالآخر. تأليف منير العكش . ص١٥٢

([١٧]) الدولة المارقة – الدفع الأحادي في السياسة الخارجية الأمريكية . كلايد برستوفتز – تعريب فاضل جتكر –ص٢٥٢

([١٨]) الوسيط الخادع.. دور الولايات المتحدة في إسرائيل وفلسطين المؤلف: نصير عاروري الطبعة: الأولى ٢٠٠٣. كامبردج بوك ريفيوز

لا يملك أي متتبع لسيرة رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية إلا ضرب أكف العجب وهو يرى إيمانهم الصهيوني العميق، وعداءهم الذي لا تشوبه شائبة لكل ما هو عربي وإسلامي. كما سيجد متتبع سيرتهم دورهم واضحاً في إقامة الكيان الصهيوني، وسيكتشف أن هذا الدور لم يكن دور المعاون أو المساند فأمريكا هي المالك الحقيقي للمشروع الصهيوني، وهي المتصرف في أمره كذلك. فقد كان واضحاً منذ البداية أثر الرموز التوراتية على الرؤساء الأمريكيين الأوائل جورج واشنطون وجون آدمز وجفرسون، حيث أخذت الرموز التوراتية تهيمن على كل كبيرة وصغيرة في الحياة الأمريكية: عملتها، شعارها، خاتمها، أسماء مدنها.. والأهم تفكيرها وطبيعة مؤسسيها.

جورج واشنطن

كان الرئيس الأمريكي الأول جورج واشنطن من أوائل الأمريكان الذين انتسبوا إلى المحافل الماسونية اليهودية، "حيث انتسب إليها في عام ١٧٥٥ م وترقى في الدرجات إلى أعلاها، وقام بتأسيس محفلاً ماسونياً في فرجينيا دعاه محفل إسكندرية نمره ٢٣ وانتخب رئيساً له، وبعد وفاته أجمع أعضاء المحفل على تسميته (محفل واشنطون الإسكندري) وذلك رغبه أن يبقى ذكر رئيسهم المجيد في الأفواه وأن تكون آثاره الماسونية غرضاً تصوب إليها الأفكار للاقتداء به"[١٩].

وانتساب الرئيس جورج واشنطون إلى هذه المحافل يعكس بجلاء خلفياته الدينية التوراتية، حيث كان رجلاً شديد التدين (عبرانياً) وظل حتى أخريات أيامه عظيم التقديس للشعائر والطقوس اليهودية والتاريخ المقدس الذي تضمنه العهد القديم . ففي رسالتين وجههما إلى اثنين من قادة اليهود أعرب واشنطن عن أمله في: "أن يظل الرب صانع المعجزات الذي خلص العبرانيين في الأزمنة القديمة من بغى مضطهديهم المصريين، وزرعهم في ارض الميعاد، يسقيهم من السماء، وأن ينعم ذلك الرب القدير يهوة، على كل منٌ بالولايات المتحدة التي تأسست بقدرته، بالبركات الدنيوية والروحية التي انعم بها على شعبه"[٢٠].

أما الرئيس الثاني لأمريكا جون آدمز فقد بعث في عام ١٨١٨ م برسالة إلى الصحفي اليهودي، مردخاى مانويل نوح عبر فيها عن أمنيته في أن يعود اليهود إلى جوديا . يهودا . لتصبح أمة مستقلة .. "لأنني اعتقد أنه بعد أن يعودوا إلى مكانه مستقلة، لن يكونوا مطاردين بعدها، سيزيلون من على أنفسهم، التصلب والغرابة في طباعهم"[٢١].

([١٩]) أربع كتب في الماسونية . شاهين بك مكاريوس . ص١١٨– ط١/ ١٩٩٤ – مكتبة مدبولي

([٢٠]) المسيحية والتوراة . شفيق مقار ص١٦٣

([٢١]) مكان تحت الشمس . بنيامين نتنياهو . ترجمة محمود عوده الدويري ص١٧٥او– بنيامين نتنياهو – ارهابي تحت الاضواء – ص ١٧ – مكتبة مدبولي – ط١ ١٩٩٦

توماس جيفرسون

اقترح الرئيس الثالث لأمريكا توماس جيفرسون، وواضع وثيقة استقلالها، أن يمثل رمز الولايات المتحدة الأمريكية، على شكل أبناء إسرائيل تقودهم في النهار غيمه وفى الليل عمود من النار، بدلاً من الرمز المعمول به حالياً. وواضح أن هذا الشكل المقترح رمزاً للولايات المتحدة يتفق مع النص التوراتى الوارد في سفر الخروج والذي يقول: "كان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب يهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نور ليضئ لهم"[٢٢]. أما بنيامين فرانكلين "فقد اقترح أن يكون الشعار صورة موسى وهو يشق البحر الأحمر بعصاه"[٢٣]. وهنا مرة أخرى تتأكد لنا صهيونية الرمز الأمريكي، وهي صهيونية سبقت إعلان الصهيونية اليهودية بأكثر من قرن كامل، ويضعنا (شفيق مقار) أمام رموز أخرى حيث يقول: "ومن تلك المعطيات أيضاً أن الرسم الأول الذي اقترح لعلم الولايات المتحدة كان رسماً لصور موسى خارجاً من مصر على رأس بني إسرائيل، لكنه . وقد أثار جدلاً . استعيض عنه برسم النسر، والمسألة مجرد استبدال رمز توراتي برمز توراتي آخر"[٢٤].

كما أن الرئيس جيفرسون –الذي كان صاحب أول إعلان حرب أمريكي ضد بلد عربي هو ليبيا في عام ١٨٠١– كان من ابلغ من تحدث عن المعنى الإسرائيلي لأميركا بل انه ختم خطابه التدشيني لفترة الرئاسة الثانية بتعبير يشبه الصورة التي اقترحها لخاتم الجمهورية "إنني بحاجة إلى فضل ذلك الذي هدى آبائنا في البحر، كما هدى بنى إسرائيل واخذ بيدهم من أرضهم الام ليزرعهم في بلد يفيض بكل لوازم الحياة ورفاه العيش"[٢٥].

جيمس ماديسون

كان جيمس ماديسون الرئيس الرابع لأمريكا، رجلاً شديد التدين اتجه طموحه . قبل أن تجتذبه السياسة . إلى سلك الكنيسة، ولذا امتاز على غيره من الرؤساء الأمريكيين المؤمنين بإجادته اللغة العبرية وتبحره في آدابها، أي العهد القديم وكتابات الكهنة والأحبار اليهود[٢٦]. وبتأثير تلك الخلفية العبرانية ، كان فعل العامل الديني في حالته قوياً، حيث قام بتعيين الداعية اليهودي الشهير (موردخاي نوح) قنصلا فخرياً للولايات المتحدة الأمريكية في تونس . بناء على طلب نوح نفسه . سنة ١٨١٣م ، ليصبح أول يهودي يمثل الولايات المتحدة الأمريكية. وقد تبع هذا التعيين المشؤوم ان قامت أمريكيا وفى عام ١٨١٥م بإعلان الحرب على الجزائر بحجة

---

(٢٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية اتجاه الصراع العربي الصهيوني . د. يوسف الحسن . ص٤١– مركز دراسات الوحدة العربية – ط٣ ٢٠٠٠

(٢٣) المسيحية والإسلام والاستشراف . محمد فاروق الزين ص٢٧٥

(٢٤) المسيحية والتوراة . شفيق مقار . ص١١٨

(٢٥) حق التضحية بالآخر. تأليف منير العكش . ص131

(٢٦) المسيحية والتوراة – شفيق مقار ص١٦٧

الدفاع عن المصالح الأمريكية في المنطقة .. ومن الجزائر انتقلت القوات الأمريكية إلى تونس في عام ١٨١٦م[٢٧].

ولما عاد نوح إلى أمريكا، حاول إقامة مشروع (أرارات) تبركاً باسم الجبل الذي تقول التوراة أن سفينة نوح عليه السلام رست عليه، ليكون وطناً قومياً لليهود على جزيرة بنهر نياجرا، ولما فشلت المحاولة اتجه نوح بمشروعه إلى سوريا، وفي هذا الصدد ألقى محاضرة قال فيها: "إن عدد اليهود قد بلغ ٧ ملايين (كان هذا في١٨٣٧ م) وإنهم يتحكمون في ثروات طائلة لا سبيل إلى مقارنتها بما في يد الآخرين، وعلى هذا فـ (إعادة احتلال اليهود لسوريا) ليست مستحيلة، خاصة وأن دولتهم التي وصفها بأنها حكومة عادلة ليبرالية ومتصفة بالتسامح، ستكون عوناً كبيراً لمصالح فرنسا وإنجلترا"[٢٨].

وفي سنة ١٨٤٤ م عدل نوح خطته مرة أخرى، عازماً على إقامة وطن اليهود القومي في صهيون (فلسطين)، وكعادته، ألقى نوح محاضرة ضمنها مشروعه الجديد، واقترح أن يتم السعي لدى سلطان تركيا للحصول على موافقته على شراء الأرض اللازمة لإنشاء الوطن اليهودي بأموال اليهود وامتلاكها. ويبدو أن دعوة نوح السابقة، كانت صدى لموعظة المبشر ليفى برسونس في عام ١٨٢١م التي قال فيها: "في قلب كل يهودي، تتأجج رغبة لا يمكن إخمادها، لاستيطان الأرض التي أعطيت لأجدادهم إذا دمرت الإمبراطورية العثمانية، فان معجزة فقط يمكنها أن تمنع عودة اليهود الفورية إلى أرضهم، من كافة أقطار العالم"[٢٩]. والمهم هنا هو أن محاضرة نوح تلك لم تلفت نظر اليهود إليها، لكن المسيحيين الصهاينة أولوها اهتماماً كبيراً، وكتب (اسحق ليسر) في صحيفة الغرب يقول: "أثارت محاضرة نوح قدراً كبيراً من الاهتمام بين مواطنينا المسيحيين، فاق بكثير ما أثارته من اهتمام بيننا نحن اليهود"[٣٠].

الرئيس المنصر جون كوينسي آدمز

أصبح جون آدمز الرئيس السادس للولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٨٢٥ م، وخلافاً لأسلافه الثلاثة اكتفى آدمز بفترة رئاسية واحدة، وآدمز لم يشتهر بأنه كان وزيراً لخارجية أمريكا أو رئيس لها فحسب، بل اشتهر بدوره كمنصر بروتستانتي انصب جهده على اختصار الطريق إلى تحقق مخطط الله، عن طريق محاولة إقناع اليهود بتغيير رأيهم فيما يتعلق بمسألة المجيء، والقبول بالمسيح (حسب الإيمان المسيحي) والتعجيل بذلك ببدء العصر الألفي السعيد، حيث كان

---

(٢٧) الصهيونية المسيحية . محمد السماك ص٨٨

(٢٨) المسيحية والتوراة . شفيق مقار ص١٧٤

(٢٩) مكان تحت الشمس . بنيامين نتنياهو. ترجمة محمد الدويرى . ص٧٧

(٣٠) المسيحية والتوراة . شفيق مقار – ص١٧٨

هذا هو الاعتقاد السائد لدى المسيحيين الصهاينة في ذلك الوقت، وأنه لابد من أن يشرق عصر ذهبي يضع حداً للظلم وللشر المستشري في العالم. وقد علق على ذلك الباحث جروس بقوله: "إن الطموح إلى تحويل اليهود إلى المسيحية اكتسب قوة جعلت منه شبه حملة صليبية اجتماعية في مستهل حياة الجمهورية الأمريكية، وأنه تولدت عنه حركة شاعت بين النخبة الأمريكية كان من أوائل مؤيديها جون كوينسي آدمز، حيث تحول الرمز اللاهوتي إلى مخطط سياسي هو المشروع الصهيوني الذي اضطلعت الولايات المتحدة الأمريكية بدور القائد في تنفيذه"[٣١].

وكمنصر بروتستانتي عمل آدمز من موقعه كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق الحلم الصهيوني، "حيث بدل جهوداً كبيرة أثمرت عن عقد اتفاقية مع الإمبراطورية العثمانية في عام ١٨٣٠ م، استغلتها الكنيسة البروتستانتية في إطلاق العنان للبعثات التبشيرية البروتستانتية في المنطقة، والتي انتشرت ستون بعثه منها، بقرار من المجلس الأمريكي للبعثات الخارجية من اليونان حتى إيران، ومن اسطنبول وحتى القدس. وهذه البعثات هي التي مهدت الطريق أمام مشاريع الاستيطان اليهودي في فلسطين عملاً بتعاليم الصهيونية المسيحية التي تؤمن بها الكنيسة البروتستانتية الأمريكية"[٣٢]. حيث لعبت هذه البعثات دوراً تخريبياً في المنطقة العربية والعالم الإسلامي باعتبارها أداة وركيزة للاستعمار والصهيونية، ومعول هدم وتدمير لكل ما يمت للإسلام بصله[٣٣].

فالتبشير كان ولازال دعامة من دعامات الاستعمار وأداة من أدوات الفكر الغربي، فقد قدم الاستعمار ولا يزال يقدم العون المادي والمعنوي للمبشرين ويقوم بحمايتهم وإزالة الصعاب من أمامهم. "فارتباط التنصير بالاستعمار يكاد يكون عضوياً، حيث مهدت السلطات الاستعمارية لنشاط التنصير ووفرت له الحماية والأمن والدعم المعنوي والمادي، وكان كثير من مبشري القرن التاسع عشر الميلادي يتحركون بعقلية صليبية وكانوا استعماريين يقومون بدور مزدوج في التبشير وخدمة مخططات دولهم الاستعمارية. لقد كان المبشرون هم الرواد الأوائل للاستعمار الثقافي الغربي في عالمنا الإسلامي وبلادنا العربية"[٣٤]. ويقول علي عبد الحليم محمود: "كان التبشير هو الخطوة الأولى التي مهدت للاستعمار ومكنته من الاستيلاء على بلاد المسلمين وتسخير أرضهم وخيراتها وكثير من أبنائها لخدمة الأغراض السياسية والتبشيرية معاً"[٣٥]. ويقول باحث آخر: "إن التبشير الديني نفسه ستار للتبشير التجاري والسياسي وأساس متين للاستعمار،

([٣١]) المصدر السابق– ص١٨٢

([٣٢]) الصهيونية المسيحية . محمد السماك ص٨٩

([٣٣]) راجع كتابنا أحمد ديدات بين القاديانية والإسلام مكتبة مدبولى

([٣٤]) منطقة الخليج العربي أمام التحدي العقدي – سعيد عبد الله حارب ص٧٠– نشر مكتبة الأمة بدبي ط ١٩٨٥

([٣٥]) الغزو الفكري وأثره في المجتمع الاسلامى المعاصر. على عبد الحليم . ص١٦٥ – دار المنار– القاهرة ١٩٨٩

ولنذكر أن أكثر الفتنة الداخلية في الشرق من دينية وسياسية واجتماعية إنما قام به المبشرون الذين استأجرهم الاستعمار"[٣٦].

أندرو جاكسون .. وخرافة المعاد

عبر(أندرو جاكسون) الرئيس الأمريكي السابع (١٨٢٩-١٨٣٧م) عن تعاطفه مع اليهود عندما كافأ مؤيده اليهودي موردخاي نوح . الذي ظهر على مسرح الأحداث في عهده مرة أخرى بتعيينه مشرفاً عاماً على ميناء نيويورك. كما عبر في أحاديثه الخاصة وخطبه عن إيمانه بضرورة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين متبنياً نفس الرؤية التي عبر عنها (حزقيا نايلز) رئيس تحرير مجلة (نايلز ويكلي ريجستر) في مجلته حيث قال: "إن النتائج التي تترتب على إعطاء اليهود ذلك الوطن فلسطين ستتجاوز كل ما يمكن أن يتصوره أي متكهن بالنتائج. فصحارى فلسطين المجدبة ستخضر وتورق وتزهر وتتفتح كالورود، وأورشليم التي باتت في الحضيض (بسبب وجودها في حوزة العرب المسلمين) سوف ترتفع ثانية وتضارع أكبر مدن العالم جمالاً وثراء وروعة"[٣٧]. وهنا نلاحظ تطابق كامل بين نظرة المسيحيين البروتستانت على ضفتي الأطلسي تجاه فلسطين، من خلال الاعتقاد بأنها صحراء مجذبة وقاحلة.

أول تدخل لنصرة اليهود خارج أمريكا

شهد عهد الرئيس الأمريكي الثامن (مارتين فان بورين)، (١٨٣٧-١٨٤١م)، أول تدخل أمريكي فيما وراء البحار لنصرة الجنس اليهودي. ففي١٨٤٠ م تلقى وزير الخارجية الأمريكي (جون فور سايث) مكاتبة رسمية سرية وعاجلة من قنصل بلاده في بيروت، تضمنت المكاتبة قصة القبض على عدد من اليهود في دمشق، بسبب قيامهم بذبح أطفال ورجال دين مسيحيين لاستخدام دمهم في صنع فطير عيد الفصح اليهودي. وعلى الفور رد الرئيس بورين، ووزير خارجيته فورسايث على المكاتبة معترضين على التقارير الواردة عن أحداث مزعومة في دمشق .. والتي اعتبراها "مثالاً سيئاً على التعصب والخرافات الشائعة في العالم القديم، وهي أمراض سعت الولايات المتحدة إلى أن تظل بمنجاة منها". وبناء عليه فقد صدرت التعليمات إلى قنصلي أمريكا في الإسكندرية والقسطنطينية بـ "بذل المساعي الحميدة لصالح أفراد ذلك الجنس اليهودي المضطهد المقهور"[٣٨]، كما سارع المبعوث الأمريكي إلى بريطانيا بالإعراب للحكومة البريطانية عن "بالغ القلق إزاء ضروب القسوة التي تمارس تجاه اليهود في الشرق"[٣٩].

([٣٦]) التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية – د. مصطفى خالدي، د. عمر فروخ ص ٣٤ – ط ٣ ١٩٦٤

([٣٧]) المسيحية والتوراة – شفيق مقار . ١٨٤

([٣٨]) الصهيونية المسيحية (١٨٩١-١٩٤٨) – بول مركلي – ترجمة فاضل جتكر ص ١١١

([٣٩]) المسيحية والتوراة – شفيق مقار – ١٨٦ .

العمل من أجل تحقيق النبوءات التوراتية

منذ البداية كان التطلع الى العصر الالفي السعيد واعادة اليهود الى ارضهم، يشغل تفكير الرواد الاوائل، ولعل كريستوفر كولومبوس كان أول من حمل هذه العقيدة إلى الولايات المتحدة، فقد كتب في مذكراته إن العالم سوف ينتهي في عام ١٦٥٠م، وان اكتشافه للعالم الجديد هو جزء من خطة الهية لاقامة جنة الالفية. وقال في مذكراته ايضا: "إن الله جعلني رسولاً إلى الجنة الجديدة والى الأرض الجديدة التي تحدث عنها القديس يوحنا في نبوءاته، وهو الذي أرشدني إلى المكان الذي أجدها فيه"(٤٠).

وفي عام ١٨١٤، نشرت في نيويورك الموعظة المشهورة للقس، جون مكدونالد، أكد فيها الدور المركزي الذي تنبأ به النبي يشعياهو، للدولة الجديدة في أمريكا، في إعادة اليهود إلى أرضهم، حيث قال القس: "يا سفراء أمريكا، انهضوا واستعدوا لإسماع بشرى السعادة والخلاص لأبناء شعب منقذكم، الذين يعانون من الظلم ... أرسلوا أبناءهم واستخدموا أموالهم في سبيل تحقيق هذه الرسالة الإلهية"(٤١).

و في نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر، بدأ التعاطف الأمريكي مع اليهود يتحول إلى عمل ملموس لتحقيق النبوءات التوراتية، سواء عن طريق أفراد أو جمعيات أو كنائس. ففي عام ١٨٤٠ م بعث مؤسس الكنيسة المورمينية، جوزيف سميث، تلميذه اورسون هايد من أجل تسهيل نبوءة (بعث إسرائيل)، ومن بين كتب التوصية التي حملها هايد معه، كتاب من وزير خارجية الولايات المتحدة، وآخر من حاكم ولاية إيلينوى. يقول هايد : "إن فكرة نهضة اليهود في فلسطين تقوى يوماً بعد يوم .. لقد بدأت العجلة الكبرى بالدوران، ولا شك في ذلك، وأن الرب أمر بأن تدور هذه العجلة على محورها"(٤٢).

وفى عام ١٨٥٠ م قام (واردكريون) القنصل الأمريكي في القدس، بتأسيس مستوطنة زراعية في منطقة القدس، وخطط لتأسيس مستوطنات أخرى، وحاول الحصول على دعم زعماء اليهود، ولكنهم لم يستجيبوا له رغم أنه تحول عن ديانته المسيحية إلى اليهودية . وكان القنصل الأمريكي يرى أن تلك المستوطنات الزراعية ستكون البداية الأولى لفلسطين الجديدة، حيث ستقيم الأمة اليهودية وتزدهر(٤٣). وقد حذا حذو القنصل الأمريكي، بعض المواطنين الأمريكيين، إذ أسسوا مستوطنة زراعية بالقرب من يافا لنفس الغرض.

---

(٤٠) الدين في القرار الأمريكي – محمد السماك – ص١٠٤

(٤١) مكان تحت الشمس – بنيامين نتنياهو– ترجمة محمد الدويرى – ص٧٧

(٤٢) المصدر السابق– ص٧٨ .

(٤٣) الوجه الآخر .. العلاقات السرية بين النازية والصهيونية . محمود عباس . ص ٢٨٦ – ط١٩٨٤– دار ابن رشد عمان.

وهكذا، وفى ظل هذا الوضع كان من الطبيعي أن تظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي في أمريكيا عدة مذاهب بروتستانتية نادت بعودة اليهود إلى فلسطين، انطلاقا من إيمانها بالمعتقدات المسيائية . ولم يكتف أصحاب هذه المذاهب بالدعوة، بل عملوا من أجلها(٤٤). فقد تبنت كثير من الفرق البروتستانتية الدعوة إلى هذه الأفكار، مثل المشيخيين والمعمدانيين والمرمون والسبتيين وغيرها من الفرق . وقد علق على ذلك هنرى فورد في كتابه . اليهودي العالمي . بقوله : "لقد سيطر اليهود على الكنيسة في عقائدها وفى حركة التحرر الفكري المسماة بالليبرالية، وإذا كان ثمة مكان تدرس فيه القضية اليهودية دراسة صريحة وصادقة، فهو موجود في الكنيسة العصرية، لأنها المؤسسة التي أخذت تمنح الولاء دون وعى أو إدراك إلى مجموعة الدعاية الصهيونية"(٤٥).

كما أنه بدأ واضحاً خلال هذا القرن مدى التعاطف مع اليهود وآمالهم في العودة إلى فلسطين، سواء على المستوى الشعبي أو المستوى الحكومي، حتى قبل ظهور الحركة الصهيونية بفترة كبيره، حيث ازدادت في هذه الفترة المشاريع الهادفة إلى إعادة اليهود إلى فلسطين، واحتل مشروع موردخاى نواه(نوح) الذي تقدم به سنة ١٨٤٥ أمام جمع من المسيحيين في نيويورك، مركز الصدارة بين مشاريع العودة، فهو ينص . إلى جانب التطورات التي أضافها إليه فيما بعد . على عودة اليهود نهائيا إلى فلسطين. إلا أنه كمرحلة تمهيدية دعاهم إلى إقامة المستوطنات في منطقة آرارات قرب بافالو وشلالات نياجرا. وقد أيد الرئيس الأمريكي جون آدمز عودة اليهود، في رسالة وجهها إلى نواه"(٤٦).

يهودي يوبخ الرئيس

في عام ١٨٤١م تعاقب ثلاثة رؤساء على حكم أمريكا، أولهم (مارتين فان بورين)، الذي انتهت رئاسته في تلك السنة، وثانيهم (ويليم هنري هاريسون)، الذي وافته المنية بعد شهر واحد من تنصيبه رئيساً تاسعاً للولايات المتحدة الأمريكية، والثالث الأخير هو (جون تايلر)، (١٨٤١.١٨٤٥م) الذي أصبح الرئيس الأمريكي العاشر، وكان عليه أن يتلقى أول توبيخ يهودي علني لرئيس أمريكي، عندما زل لسانه أثناء تأبينه الرئيس الراحل واصفاً أمريكا بأنها أمة مسيحية، وهو خطأ عاقبة عليه (يعقوب حزقيال) القيادي اليهودي من فرجينيا برسالة قال فيها: "وأين نحن؟" وبدلاً من أن يغضب الرئيس من هذا المتطفل المنتمي إلى أقلية تريد تعليم الرئيس، والسيطرة على الأغلبية، بدلاً من هذا بادر تايلر إلى الاعتذار مؤكداً أنه يكن لليهود أعمق

---

(٤٤) فلسطين . القضية * الشعب * الحضارة . بيان نويهض الحوت . ص ٢٨٨

(٤٥) اليهودي العالمي (المشكلة الاولى التي تواجه الاعالم). هنري فورد . تعريب / خيري حماد . ص ٥٩– دار الافاق الجديدة، ١٩٨٦

(٤٦) فلسطين . القضية * الشعب * الحضارة . بيان نويهض الحوت . ص٢٥٦

الاحترام وأصدقه، وبعدها وبخ الرئيس . علناً الجنرال (وينفيلد سكوت) لأنه رأس مؤتمراً من ضباط الجيش والبحرية لم يمثل فيه اليهود"[٤٧].

أما خلفه (جيمس نوكس بولك) الرئيس الأمريكي الحادي عشر (١٨٤٥-١٨٤٩ م) فقد عمد إلى تشكيل فيلق الحرس اليهودي الأول في بلتيمور بولاية مريلاند (١٨٤٦م)، وهو أول فيلق في الجيش الأمريكي يكون كل جنوده وضباطه من اليهود، وبهذا سبقت أمريكا تشكيل الفيلق اليهودي البريطاني بـ ٩٨ سنة، ومعروف دور الفيلق اليهودي البريطاني في اغتصاب فلسطين. وإضافة إلى هذا أعاد بولك تجربة تعيين قناصل يهود لأمريكا في الخارج.

فرانكلين بيرس

في منتصف القرن التاسع عشر وفى عهد الرئيس، (فرانكلين بيرس)، (١٨٥٣ – ١٨٥٧م)، نجح اليهود في احتلال أعلى منصة قضاء أمريكية، وتمكنوا من أن يصبحوا المحكمين الأساسيين في صفقات أمريكا ومعاهداتها . فقد كان بيرس معروفاً بتدينه (أي بهوسه الصهيوني)، وبارتباطاته اليهودية الوثيقة، ومن خلال ذلك التدين حقق اليهود اختراقاً جديداً بالغ الأهمية، تمثل في فتح أبواب المحكمة العليا أمام اليهود، وقام بإسناد منصب وزير بالسلك الدبلوماسي إلى (أوجست بلمونت) في لاهاي، فكان ذلك بمثابة فتح لأبواب المناصب الدبلوماسية العليا أمام اليهود، الذين كان اختراقهم للسلك الدبلوماسي الأمريكي قد اقتصر حتى ذلك الوقت على مستوى القناصل، وبأعداد محدودة للغاية[٤٨]. وإمعاناً في إظهار الولاء، قام بيرس بتعيين رسام الخرائط اليهودي (جوليوس بين) مشرفاً عاماً على أنشطة وزارة الحرب في تخصصه، وهي مخاطرة كبيرة أوصلت اليهود إلى التحكم في أدق المراكز العصبية للعسكرية الأمريكية.

أمريكيا تعاقب سويسرا من اجل اليهود

بظهور الرئيس الأمريكي الخامس عشر (جيمس بوكانان) (١٨٥٧-١٨٦١م) على مسرح الأحداث، أقدم بوكانان على أول إجراء من نوعه في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، إذ دعا إلى البيت الأبيض وفداً من كبار الحاخامات اليهود ضم: اسحق ماير وايز، وداود عينهورن، واسحق ليسر، وذلك لمعرفة مطالبهم فيما يتعلق بمشروع معاهدة تجارية ألحت وزارتا الداخلية والخارجية على إبرامها مع سويسرا، بدلاً من تلك التي خربها تدخل منظمة بناي بريث (اليهودية الصهيونية المتطرفة) في عهد الرئيس (ميلارد فيلمور)، وحتى يرفع عن نفسه الحرج أمام اليهود

([٤٧]) المسيحية والتوراة . شفيق مقار ص١٨٨

([٤٨]) المسيحية والتوراة . شفيق مقار ص١٩٢

اجتمع (الرئيس شخصياً) مع الحاخامات وأعلن عدة تعديلات جذرية على المعاهدة، مع إعلان أن الغرض من هذه التعديلات هو إعلام السويسريين بأن أمريكا لا تقر موقف المقاطعات السويسرية من القانون الذي يقضي بحق المقاطعات في منع اليهود من الإقامة، وإن كانوا يتمتعون بالجنسية الأمريكية.

و بوكانان هنا كان يمارس ذلك الحق الذي أعطته أمريكا لنفسها، منذ أن أعلن (جيمس مونرو) مبدأه الخاص بحق أمريكا في التدخل خارج حدودها، وهو المبدأ الذي أقر . منذ البداية . لصالح اليهود، وها هو بوكانان يواصل تطبيقه . ولصالح اليهود كذلك . متدخلاً في شؤون المقاطعات السويسرية، وقد واصل الرؤساء التاليين له نفس السياسة حتى حصل اليهود على كل ما أرادوا من القانون السويسري في ١٨٧٤م، وظلوا يواصلون طريقهم مدعومين من أمريكا حتى أصبحت سويسرا واحدة من أهم قواعد الصهيونية في العالم. ويقارن شفيق مقار بين ما فعله بوكانان، وما فعله السناتور الأمريكي (سكوب جاكسون)، عندما عمد إلى تخريب قانون التجارة لسنة١٩٧٤م، وأوقف بذلك تنفيذ الاتفاقية التجارية لبيع القمح التي أبرمت بين واشنطن وموسكو في ١٩٧٢م، معلقاً بيع القمح للاتحاد السوفيتي ومنح وضع الدولة الأكثر رعاية، على فتح أبواب الهجرة أمام اليهود السوفييت[٤٩].

الجماعات المسيحية الصهيونية خلال القرن التاسع عشر

في هذا القرن أيضاً ظهرت كثير من الطوائف والجمعيات المسيحية التي دعت إلى ضرورة إعادة اليهود إلى أرض فلسطين، حيث أخذت تنشر دعوتها بين العامة، بالإضافة إلى سعيها للتأثير على الشخصيات المهمة في أمريكيا، حيث ساعدت نصوص الدستور الأمريكي وخاصة في بنده الأول على امتداد وإنشاء المذاهب في أمريكا، والتي بلغ عددها ١٢٠٠ مذهباً، وحمتها بحيث لا يمكن للكونغرس صياغة أي تشريع يمنع أي مذهب ديني، أو يحد فترة ممارسة الحريات الدينية، وقد جاء ذلك انطلاقاً من أن مجموعات الاستيطان الأولى التي وفدت إلى أمريكا جاء بعضها هرباً من الملاحقات الدينية في موطنها الأصلي[٥٠].

جماعة أخوة المسيح

في عام ١٨٤٨م أسس جون طوماس الجماعة الدينية المعروفة باسم (أخوة المسيح) والتي تقوم دعوتها التبشيرية بشكل رئيس، على تطبيق النبوءات التوراتية وسفر الرؤيا، على الأحداث الحاضرة والمستقبلية. "وقد ساهمت هذه الطائفة بلسان أحد أتباعها وبقلمه، في إظهار الحركة

([٤٩]) المسيحية والتوراة – شفيق مقار ص١٩٤

([٥٠]) شهود يهوه بين برج المراقبة الأمريكى والتلموذ اليهودي . حسين عمر حماده – ص٢٢٢ – دار قتيبه ١٩٩٠

الصهيونية بمظهر البينة أو العلامة على مجيء المسيح قريباً ليبسط حكمه وسلطانه على العالم أجمع من مقره في القدس، وذلك كما جاء في كتاب (فرانك جنادى) فلسطين واليهود، أو الحركة الصهيونية بينة لظهور المسيح عما قريب في القدس، ليحكم العالم بأسره من هناك"[٥١].

جمعية بنى بريث (أبناء العهد)

في عام ١٨٤٣م أنشأ هنرى جونز بالتعاون مع مجموعة من الصهاينة الأمريكيين، جمعية بنى بريث في مدينة نيويورك، بهدف تسهيل إعادة اليهود إلى فلسطين. ومن نيويورك انتشرت فروع الجمعية في أمريكيا وجميع أنحاء العالم. وقد أنشئ فرع للجمعية في فلسطين في عام ١٨٨٨ م من اجل المساهمة في بناء المستعمرات اليهودية لتكون نواة للوطن القومي اليهودي. كما تم فتح فرعين للجمعية في مصر[٥٢].

وقد استطاعت هذه الجمعية وفروعها المنتشرة في كثير من البلدان التأثير على كثير من الشخصيات المهمة في أمريكيا والعالم، من أجل كسب دعمهم ومساندتهم للمطالب الصهيونية في فلسطين. وقد حرص غالبية الرؤساء والمسؤولين الأمريكيين على المشاركة في المناسبات والحفلات التي تقيمها الجمعية، لكي يشيدوا بالأعمال العظيمة التي تقوم بها هذه الجمعية من أجل خدمة الأهداف الصهيونية[٥٣].

جمعية شهود يهوه

أنشأت هذه الجمعية في ولاية بنسلفانيا الأمريكية في عام١٨٨٤ م، ثم انتقلت إلى مدينة نيويورك في عام ١٩٠٩م ، حيث أخذت توفد المبشرين إلى جميع أنحاء العالم لكسب التأييد لفكرة إعادة اليهود إلى أرض فلسطين، تحقيقاً للنبوءات التوراتية. وقد وصل نشاط هذه الجمعية إلى البلاد العربية نفسها، حيث تصدى لها رجال الدين المسيحي من كل الطوائف المسيحية، وفندوا دعاوى جماعة شهود يهوه باعتبارها ضلالات وهرطقات تسعى لتصديع الكنيسة وكسر عقائدها خدمة لليهودية والصهيونية التي تهدف:

١. تفسير العهد القديم تفسيراً يهودياً .

٢. التبشير بفلسطين وطناً قومياً لليهود العائدين لتأسيس دوله برئاسة المسيح.

([٥١]) إسرائيل الكبرى . أسعد رزوق . ص ٢١٩ .

([٥٢]) الماسونية في المنطقة ٢٤٥ . أبو إسلام أحمد عبد الله . ص ٥٢ – القاهرة، دار الزهراء للإعلام العربي، ط ١– ١٩٨٦م

([٥٣]) الماسونية وموقف الإسلام منها – د. احمد الرحيلي– ص٧٥ – دار العاصمة للنشر والتوزيع– النشرة الاولى ١٤١٥هـ

٣. التركيز على كتاب يوحنا لتفسيره تفسيراً يهودياً، حيث وجد اليهود في رؤيا يوحنا فخاً لتضليل المسيحيين، فانصرف شهود يهوه إليه ليبشروا بقرب مجيء المسيح، ولكن مسيحهم المنتظر هو مسيح يقيم حكومة عالمية في القدس وزراءها من اليهود [٥٤].

يقول عبد الله التل، في كتابه جذور البلاء عن هذه الجمعية: "هي جمعية يهودية ترتدي ثوباً مسيحياً مزيفاً، وهى في الواقع من أخطر الجمعيات اليهودية في العالم، ذلك أنها تقوم على مبدأ خداع الجماهير المسيحية الساذجة، وإدخال نبوءات التوراة في النفوس المؤمنة ليصبح الاعتقاد جازماً عند المسيحيين، بوجوب عودة اليهود إلى أرض الميعاد. وطريقة التبشير عند أتباع هذه الجمعية، هي اقتحام بيوت الناس بوقاحة عجيبة والبدء بإلقاء دروس دينية من التوراة اليهودية، لاستدرار عطف السامعين وكسبهم في صف الداعية، إلى ضرورة عودة اليهود لأرض الميعاد، تحقيقاً لأوامر اليهود.

ولقد تسربت هذه الجمعية إلى البلاد العربية، وخدعت حكومات عربية كثيرة، فتغاضت عن نشاطها، وفى لبنان استفحل نفوذها، فهب فريق من رجال الدين المسيحي الواعين وهالهم التطبيق العملي لتعاليم هذه الجمعية، وقاد المعركة ضد شهود يهوه، الخورى، جورج فاخورى، وفضح أسرارها وكشف حقيقتها"[٥٥]. كما قام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بطردهم من مصر ووقف البابا شنوده وقيادات الكنيسة المصرية وجها لوجه أمامهم وتم فضح مخططاتهم للمواطنين[٥٦].

اندرو جونسون

بعد اغتيال الرئيس الأمريكي (ابراهام لنكولن)، أصبح (أندرو جونسون ١٨٦٥ ـ ١٨٦٩م) الرئيس السابع عشر للولايات المتحدة الأمريكية، حيث أبدى تعاطفه مع اليهود وكان المتحدث الرئيس في حفل افتتاح معبد (فاين ستريت) بمدينة ناشفيل في ١٨٧٤م، حيث اصطحبه الحاخام اسحق ماير وايز إلى المعبد في عربته، وحين صعد جونسون إلى المنصة كان يعتمر اليارمولكا . الطاقية اليهودية المعروفة . وقال إنه: "لم يوجد من امتلأ حباً لليهود مثله بين أبناء ديانته المسيحيين جميعاً، ولم يوجد من اهتم اهتمامه العميق والدائم بنجاح اليهود ورخائهم وازدهار ديانتهم ومعبدهم". ذلك المعبد الذي قال عنه إنه "سيظل النصب المقدس الذي يجسد كد اليهود ومثابرتهم واستحقاقهم النجاح والرخاء والرفاه، لا في مدينة ناشفيل فحسب، بل وفي كل مكان"[٥٧].

([٥٤]) شهود يهوه بين برج المراقبة الامريكى والتلموذ اليهودي . حسين عمر حماده ص١١٠

([٥٥]) جذور البلاء . عبد الله التل . ص ١٥٦ – المكتب الاسلامى، ١٩٧٨..

([٥٦]) كنائس الشرق تكافح أعداء المسيح الجدد . شكري عازر. جريدة الخليج ٣..٢/٢/١٥م عدد٨٦٧٢

([٥٧]) المسيحية والتوراة – شفيق مقار ص٢٠١

يوليسيس جرانت

كان يوليسيس جرانت هو الرئيس الثاني القادم من صفوف العسكرية الأمريكية بعد الحرب الأهلية ليصبح الرئيس الثامن عشر (١٨٦٩ – ١٨٧٧م)، وعلى الرغم من بزوغ نجمه كقائد ميداني فذ، فإن القرار الذي سبق أن أصدره . وألغاه الرئيس إبراهام لنكولن . بإبعاد اليهود خارج تينسى خلال ٢٤ ساعة ظل يطارده، وما كان يمكن لجرانت أن يحصل على الرئاسة لولا المساعدات الجادة التي قدمها إليه عدد من قادة اليهود، إذ أدركوا أن قدوم جرانت المحمل بعقدة الذنب سيعطيهم فرصة أكبر لابتزاز الرئيس، وربما هذا هو ما دفع سيمون وولف –أحد أهم من تولوا الدعاية لجرانت من اليهود، وسنراه بسرعة قنصلاً لأمريكا في مصر . للمفاخرة بأن "بوسعه أن يقرر بمنتهى الوضوح، أن الرئيس يوليسيس جرانت فعل من أجل اليهود طوال مدتي رئاسته من ١٨٦٩م إلى ١٨٧٧م، أكثر مما فعل أي رئيس أمريكي دخل البيت الأبيض قبله"[٥٨].

هايز وإجازة السبت

نجح رذرفورد هايز (١٨٧٧-١٨٨١م) في أن يصبح الرئيس الأمريكي التاسع عشر، وفي عهده، كان عدد الموظفين اليهود في الإدارة الأمريكية قد زاد إلى الحد الذي جعل صوتهم يرتفع مطالباً بمنحهم يوم السبت إجازة اتساقاً مع تحريم التوراة للعمل في ذلك اليوم. وعندما تباطأت إدارة هايز في الاستجابة لذلك الطلب، نظراً لما وجدت فيه من ظلم للموظفين الآخرين من غير اليهود، أوعزت القيادات اليهودية إلى مرشح لشغل منصب بالسلك الدبلوماسي أن يعلن أنه، عندما يباشر مهام منصبه، لن يكون بوسعه أن يعمل في يوم السبت، وأعطت المسألة تغطية إعلامية جعلتها قضية عامة. ولما وصلت الرسالة واضحة إلى هايز، سارع بالتصريح للصحفيين بأن "أي مواطن يكون على استعداد لأن يضحي بفرصة كهذه على مذبح معتقداته الدينية لابد أن يكون مواطناً صالحاً، ومن الظلم لدافعي الضرائب الأمريكيين أن نخسره" وأعلن عن موافقته على المطلب اليهودي[٥٩].

بقى أن نشير إلى أن هايز بدأ رئاسته بتعيين (بنيامين وبيكسوتو) رئيس (البناي بريث) قنصلا لأمريكا لدى روسيا، مع تكليفه بمهمة مماثلة لتلك التي أداها في رومانيا، فقد كان عليه أن يحقق في تصرفات حكومة روسيا غير الطيبة إزاء اليهود، والتي أدت إلى إلغاء المعاهدة التجارية التي كانت مبرمة بين روسيا وأمريكا، لكن المهمة لم تتم، فقد رفض القيصر الروسي استقبال المحقق الأمريكي، معلنا رفضه قبوله ممثلا دبلوماسيا لدى بلاط سانت بطرسبرج.

([٥٨]) المسيحية والتوراة – شفيق مقار ص٢٠٢

([٥٩]) المصدر السابق– ص٢٠٣

أول يهودي يمثل أمريكا في مصر..

لم يعمر الرئيس العشرون (جميس إبرام جارفيلد ١٨٨١م) الجنرال الثالث القادم من الحرب الأهلية، في منصبه طويلاً، إذ تم اغتياله، لكنه ككل الرؤساء من عمر منهم ومن لم يعمر .كان قد أدى للصهاينة خدمة متميزة بالفعل، حين عين اليهودي (سيمون وولف) قنصلاً لأمريكا في مصر، معلناً .صراحة . عن واحدة من أعقد عُقد الصهاينة، سواء منهم اليهود والمسيحيون، وهي عقدة عبودية اليهود في مصر، وفي هذا قال جارفيلد: "إنه يشعر بسعادة غامرة لأنه عين سليل الشعب الذي استعبد في مصر قديماً مبعوثاً دبلوماسياً إلى ذلك البلد من الأمة الأمريكية الحرة العظيمة".

وقد كتب سيمون وولف مذكرات مهمة أثناء وجوده في مصر، ترجمت إلى العربية في الستينيات تحت عنوان (مصر وكيف غدر بها)، وفي هذه المذكرات نلاحظ أن التاجر اليهودي وولف، يفحص بضاعته (مصر) جيداً، ممنياً النفس بأن الثمرة أوشكت على النضج والسقوط في يده. ولنلاحظ أنه عمل في مصر في أحرج سنوات حياتها، تلك التي سبقت .مباشرة .سقوطها في قبضة الاحتلال البريطاني ١٨٨٢م.

ولم يختم جارفيلد حياته قبل أن يبعث رسالة إلى حكومة القيصر الروسي بشأن أوضاع اليهود، لكن القيصر لم يعرالرسالة التفاتاً، ويبدو أن الصد المتكرر الذي واجه به قيصر روسيا محاولات التدخل الأمريكية، نبه الرئيس الحادي والعشرين "(تشستر آلان آرثر) (١٨٨١-١٨٨٥م) إلى وجود صعوبات تحول دون التدخل لصالح اليهود أحياناً، ولهذا فقد حاول حل هذه المشكلة بتعيين، أدولفوس سولومونز .رئيس البناي بريث .ممثلا للولايات المتحدة الأمريكية في هيئة الصليب الأحمر الدولية، التي كانت أمريكا قد انضمت إلى معاهدة جنيف الخاصة بها تواً، وهكذا أصبح بمقدور (بناي بريث) أن تتدخل في شؤون روسيا وغيرها تحت ستار المساعدات الإنسانية عبر هيئة الصليب الأحمر[٦٠].

المشيخية في البيت الأبيض

بعد جارفيلد تولى الرئاسة الأمريكية الرئيس كليفلاند لمرتين منفصلتين، حيث كان كليفلاند مسيحياً بروتستانتياً مشيخياً، أي من إتباع الكنيسة المشيخية التي تعتبر أهم الكنائس المسيحية الصهيونية التي دفعت بأبنائها إلى البيت الأبيض. "والكنيسة المشيخية تستمد تعاليمها من أفكار، جون كالفن (١٥٠٩-١٥٦٤م) وهو لاهوتي فرنسي بروتستانتي من رجالات الإصلاح الكنسي تحول عن الكاثوليكية علم ١٥٢٣م، وصار من قادة البروتستانت المشهورين، حيث نشأ عن

([٦٠]) المسيحية والتوراة – شفيق مقار ص٢٠٣

مبادئـه مـذهب مهـم مـن المسـيحية هـو (المـذهب الكـالفيني) وهـو نظـام متبـع فـي الكنـائس البروتستانتية المعروفة بالكنائس المصلحة، حيث آمن كالفن بأن الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد لشريعة الله ونواميسه كما انه لا يعترف بسلطة البابا"[٦١].

والمهم هنا هو أن إتباع الكنيسة المشيخية كانوا ولازالوا من أهم مؤيدي اليهود، ولم يقتصر نشاطها في أمريكا بل امتد إلى المنطقة العربية، فالجامعة الأمريكية في القاهرة، وكذلك في بيروت من أعمال الكنيسة المشيخية، والقس صموئيل زويمر) كان مشيخياً، وهو الذي رعى ورأس المؤتمر التبشيري المنعقد في القاهرة ببيت الزعيم (أحمد عرابي) بعد هزيمة عرابي أمام الإنجليز ونجاحهم في احتلال مصر ١٨٨٢ م، ذلك المؤتمر الذي وضع أسس الهيمنة الغربية لصالح المشروع الصهيوني على منطقتنا [٦٢].

وفي عهد كليفلاند كانت منظمة بناي بريث الصهيونية، قد بلغت حداً بالغاً من القوة والسطوة، مما جعل الرئيس يرسل إليها برسالة مفتوحة قال فيها إنها "جمعية أنشئت لتحقيق أهداف نبيلة" وإنه: "لا ينبغي أن يقتصر ما تحدثه من أثر على إثارة حماس أعضائها، بل ينبغي أن تستجلب تمنيات النجاح لها من جانب كل من يهمهم الارتقاء بالنوع الإنساني وتنمية الغرائز العليا في الطبيعة الإنسانية". ورجا (الرئيس) أن: "تتقبل الجمعية صادق تمنياته بأن يتضاعف ما كانت قد توصلت إليه من نجاحات تثلج الصدر"[٦٣].

وليم بلاكستون والبعثة العبرية نيابة عن إسرائيل

في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ظهر رجال دين، يطالبون بعمل شعبي لإعادة اليهود إلى فلسطين، وكان من أبرز هؤلاء وليام بلاكستون، "رجل الدين والمؤلف والمليونير الذي ينفق الملايين على التبشير، والذي يعتبر أباً للصهيونية اليهودية، بسبب نشاطه المتواصل من أجل تحقيق النبوءات التوراتية. فقد كان بلاكستون ممولاً، ورجل صناعة كبير، وكان في نفس الوقت شديد التعصب، حج إلى الأراضي المقدسة برفقة ابنته في ١٨٨٨م، وأدعى أن تطويرها زراعياً وتجارياً لن يتم إلا على أيدي ورثة هذه الأرض وهم اليهود، وعاد ليطلق الشعار الذي استغلته الصهيونية حتى اليوم حيث تحدث عن "الشذوذ المتمثل في أن فلسطين هذه تركت هكذا أرضاً بغير شعب بدلاً من أن تعطى لشعب بغير أرض"[٦٤].

([٦١]) لاهوت التحرير . غسان دمشقية ص١٨٩– ط. ١– دمشق، سوريا : الأهالي للطباعة و النشر ١٩٩٠.

([٦٢]) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر. أحمد عبد الوهاب . ص١٦١

([٦٣]) المسيحية والتوراة – شفيق مقار ص٢٠٤

([٦٤]) المسيحية والتوراة – شفيق مقار ص١٥٢

وفي عام ١٨٧٨م ألف بلاكستون كتاب (عيسى قادم) الذي بيع منه أكثر من مليون نسخة، وترجم إلى ٤٨ لغة بما فيها العبرية. وقد أثار هذا الكتاب جميع الأمريكيين بكافة طبقاتهم، حيث كان من أكثر الكتب التي تتحدث عن عودة اليهود إلى أرض فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر. وبالإضافة إلى ذلك فقد أسس القس بلاكستون في شيكاغو منظمة سماها (البعثة العبرية نيابة عن إسرائيل). "وقد عملت هذه المنظمة في مجالات متعددة ودعت اليهود إلى العودة إلى فلسطين، واستمرت هذه المنظمة في العمل حتى يومنا هذا وأصبح أسمها حالياً، أتباع أمريكيا المسيحية"[٦٥]. وعندما أنشئت الحركة الصهيونية بزعامة هرتزل، "قام القس بلاكستون بإرسال نسخة من التوراة إلى هرتزل، واضعاً خطوطاً وعلامات تحت النصوص التي تشير إلى استعادة فلسطين، ولقد حفظت هذه النسخة في ضريح هرتزل"[٦٦].

الرئيس هايسون ومظلمة بلا كستون

نجح بنيامين هاريسون، مرشح الحزب الجمهوري، في أن يصبح الرئيس الأمريكي الثالث والعشرين (١٨٨٩- ١٨٩٣م) مزيحاً الرئيس السابق عليه، واللاحق له (كليفلاند). فقد توسطت فترة هاريسون فترتي رئاسة كليفلاند، حيث كان هاريسون هو الوحيد في قائمة رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية القادم من ولاية إنديانا، وهو .كذلك الرئيس الأول على رأس المائة الثانية من حكم أمريكا، الذي استهله الرئيس جورج واشنطن ١٧٧٩م.

وخلال فترة رئاسته، وجه القس المسيحي الصهيوني بلاكستون (المنتمي إلى الميثوديست أو المنهاجيين) مظلمة إلى هاريسون ممهورة بتوقيع ٤١٣ من القيادات المسيحية الأمريكية تطالب بتجميع اليهود في (وطنهم) فلسطين. وقد عبر بلاكستون عن هذا صراحة في مظلمته التي طالب فيها بالمساعدة في إعادة فلسطين لليهود. حيث جاء في هذه العريضة قوله: "لماذا لا نعيد فلسطين لهم . اليهود . إنها وطنهم حسب توزيع الله للأمم، وهى ملكهم الذي لا يمكن تحويله لغيرهم والذي طردوا منه عنوة. لقد كانت أرضاً مثمرة بفضل فلاحتهم لها، وكانت تعيل ملايين الإسرائيليين الذين كانوا يفلحون سفوحها ووديانها بكل نشاط، كانوا مزارعين ومنتجين، كما كانوا أمة ذات أهمية تجارية كبرى . مركز الحضارة والدين. لماذا لا تعيد الدول التي أعطت بموجب معاهدة برلين عام ١٨٧٨م، بلغاريا للبلغاريين والصرب للصربيين، فلسطين لليهود"[٦٧]. وقد تسلم الرئيس هارسون هذه العريضة ووعد بأن يأخذها بعين الاعتبار.

([٦٥]) من أوراق واشنطن . د. يوسف الحسن . ص ١٢١

([٦٦]) الصهيونية غير اليهودية – ريجينا الشريف ص ١٨٧

([٦٧]) الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية . د. محمد شديد . ترجمة كوكب الريس . ص ٥٨– المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١

ومن الجدير بالذكر أن هذه المظلمة وقع عليها عميد أسرة روكفلر، وكبير قضاة المحكمة العليا، ورئيس مجلس النواب بالكونجرس، وعدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ، وكبار القساوسة، ورؤساء تحرير عدد من الصحف أي وقعت عليها أمريكا بالكامل، ممثلة في قادتها السياسيين وقيادات الرأي فيها وهي تلخص وتحدد بصراحة أهم المنطلقات الصهيونية والأكاذيب والأباطيل التي روج الصهاينة مشروعهم من خلالها وهي :

. أن فلسطين أرض بلا شعب، واليهود شعب بلا أرض.

ـ أن اليهود هم أصحاب فلسطين، والمطلوب إعادتهم إليها، راجع السطر الأخير من المظلمة.

ـ أن ازدهار الحياة وخصب الأرض في فلسطين مرتبط بوجود اليهود، وتلك مسألة "إلهية" قدرها الرب . في زعمهم . بحيث إن أرض فلسطين تظل صحراء قاحلة حتى يأتيها اليهود !

ولم تكن مظلمة بلاكستون هي الوحيدة التي قدمت إلى هاريسون، فقد رفع إليه عدد من أغنياء اليهود عريضة بطلب "عقد مؤتمر دولي للنظر في أحقية اليهود في استرداد وطنهم القديم فلسطين". واستجابة لتيار العرائض هذا، وافق الرئيس على الدعوة التي وجهها الكونجرس إلى وزارة الخارجية للاحتجاج لدى حكومة القيصر الروسي على اضطهاد اليهود وعزز هاريسون هذه الدعوة بقوله: "إن إدارتي قد أعربت لحكومة القيصر بروح ودية، ولكن بحزم بالغ، عن عميق قلقها إزاء الإجراءات القاسية التي تتخذ حالياً في روسيا ضد العبرانيين"[٦٨].

ويلاحظ شفيق مقار: "أن هاريسون لم يشر إلى القوم باسم اليهود، بل استخدم التسمية التوراتية، فقال العبرانيين!!" حيث أضاف هاريسون في رسالته: "إن العبراني لم يكن في أي وقت شحاذاً، بل كان دائماً شخصاً ملتزماً بالقانون، وإنساناً يكسب رزقه بعرق جبينه. وهو غالباً ما يفعل ذلك في ظل ظروف بالغة القسوة وقيود مدنية شديدة القهر. كما أنه من الصحيح أيضاً أنه لم يوجد في أي وقت جنس أو طائفة أو طبقة عنيت بما فيه خير أفرادها كالجنس العبراني"[٦٩].

الحكومات الأمريكية والمطالب الصهيونية

نشأت أمريكا كأرض صهيونية منذ فجر ميلادها الأول، حيث لاحظنا ذلك على مستوى الفكر والعمل، وقد رأينا كيف قدم الرؤساء الأمريكيون الأوائل خدمات جليلة . ومباشرة . في هذا السياق، وكيف أنهم . من حيث العقيدة . لم يكونوا أكثر من مجموعة من المتطرفين الصهاينة المهووسين بالعبرانية، وتابعنا مساعيهم لإقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين قبل هرتزل

([٦٨]) الصهيونية المسيحية (١٨٩١.١٩٤٨) – بول مركلي – ترجمة فاضل جتكر ص ١١١

([٦٩]) المسيحية والتوراة – شفيق مقار ص ٢١٠

بزمان طويل، بل إن المؤتمر الصهيوني الأول الذي انعقد في بال بسويسرا (١٨٩٧م) ما كان له أن ينعقد لولا جهود الرؤساء الأمريكيين المتعاقبة التي ذللت سويسرا لليهود، وجعلتها تلعب واحداً من أهم الأدوار في خدمتهم، وجهود الرئيسين (بنيامين هاريسون) (وجروفر كليفلاند) اللذين مهدا . مباشرة . لانعقاد المؤتمر الصهيوني الأول[٧٠].

الرئيس ويلسون

لما وضعت الحركة الصهيونية برنامجها، وسعت إلى تحقيقه عن طريق الحصول على مساعدة الحكومة البريطانية، كان لأمريكا دور كبير في تحقيق أولى المطالب الصهيونية والتي تحققت بفضل وعد بلفور، هذا الوعد الذي لم يصدر إلا بعد اتصالات بين الحكومتين البريطانية والأمريكية، حيث كانت موافقة أمريكيا على الوعد ضرورية. وقد لعب الرئيس ويلسون دوراً رئيساً في صدور وعد بلفور، حيث شارك في الاتصالات التي سبقت صدور الوعد، وأعلن عن تأييده لمنح اليهود وطناً قومياً في فلسطين، حيث صرح عشية صدور الوعد بقوله: "لن تصبح فلسطين مؤهلة للديمقراطية إلا إذا امتلك اليهود فلسطين، كما سوف يمتلك العرب شبه جزيرتهم أو البولونيون، بولونية"[٧١].

وعندما صدر وعد بلفور عام ١٩١٧م لم يتوانَ الرئيس ويلسون عن تأييد هذا الوعد وإعلان موافقته عليه. ففي آب ١٩١٨م قال ويلسون: "أعتقد أن الأمم الحليفة قد قررت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين بتأييد تام من حكومتنا وشعبنا"[٧٢]. وبتاريخ ١٩١٨-٨-٣١م بمناسبة العام العبري الجديد اعلن عن موافقته الرسمية على وعد بلفور[٧٣]، وبعث برسالة إلى الحاخام ستيفان وايز، رحب فيها بالتقدم الذي أحرزته الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة، وفى البلدان الحليفة بعد تصريح بلفور. وفى ١٩٢٢-٩-٢٠م صادقت الحكومة الأمريكية بصورة نهائية على مشروع بلفور.

والرئيس ويلسون كان مدفوعاً لتحقيق آمال اليهود بناءً على خلفيته الدينية. فقد تربى في ظل التعاليم البروتستانتية التي تؤمن بالنبوءات التوراتية، وكان يسعده أن يكون له دور في إعادة اليهود إلى فلسطين، حيث كان يقول: "إن ربيب بيت القسيس ينبغي أن يكون قادراً على المساعدة في إعادة الأرض المقدسة لأهلها"[٧٤]، وكان يرى نفسه من خلال خطبه العديدة، بأنه أعطى الفرصة التاريخية لخدمة رغبات الله بتحقيقه للبرنامج الصهيوني.

---

(٧٠) رؤساء أمريكا .. قادة صهاينة في البيت الأبيض – محمد القدوسي . دراسة منشوره على الانترنت

(٧١) إسرائيل الكبرى . د. أسعد رزوق . ص ٤٠٧

(٧٢) الوجه الآخر .. العلاقات السرية بين النازية والصهيونية . محمود عباس . ص ٢٩

(٧٣) دول محور الشر الإرهابية – أمريكا .. بريطانيا .. إسرائيل . محمد عبد الحميد الكفريص٨ – دار قتيبة للطباعة والنشر– ط١ ٢٠٠٣

(٧٤) الصهيونية غير اليهودية . د. ريجينا الشريف . ص ١٩٥ .

خلفاء ويلسون

بعد أن وافق الرئيس ويلسون على وعد بلفور ودعم مطالب الحكومة البريطانية في مؤتمر سان ريمو، الذي كرس الانتداب البريطاني على فلسطين، لخدمة الحركة الصهيونية، أخذ خلفاء ويلسون في الرئاسة يلزمون أنفسهم بالموقف الصهيوني، ويعبرون عن تعاطفهم مع الحركة الصهيونية، حيث عبر الرئيس الأمريكي (هاردنج) في عام ١٩٢١ م عن تعاطفه مع الحركة الصهيونية وتأييده الشديد لإنشاء صندوق فلسطين، حيث قال: "إن اليهود سيعادون يوما إلى وطنهم القومي التاريخي، حيث سيبدأون مرحلة جديدة بل مرحلة أعظم من كل مساهماتهم في تقدم الإنسانية"(٧٥).

وفى عام ١٩٢٢م اتخذ الكونغرس الأمريكي قراراً، وقع عليه الرئيس (هاردنج) جاء فيه الاعتراف، "بأنه نتيجة للحرب، أعطى بنى إسرائيل الفرصة التي حرموا منها منذ أمد بعيد لإعادة إقامة حياة وثقافة يهوديتين مثمرتين في الأراضي اليهودية القديمة، وأن كونغرس الولايات المتحدة يوافق على إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي"(٧٦). كما قام الرئيس الأمريكي هربرت هرمز في عام ١٩٢٨ م بتهنئة الحركة الصهيونية لإنجازاتها العظيمة في فلسطين.

وفى ثلاثينات القرن السابق، ازداد عدد الجمعيات الأمريكية المؤيدة لإقامة دولة يهودية في فلسطين، حيث كان هدفها حشد الرأي العام الأمريكي من أجل تحقيق الأهداف الصهيونية في فلسطين. ففي عام ١٩٣٠م أسس الكاهن تشارلى أي رسل، اتحاد المنظمات الأمريكية الموالية لفلسطين، والتي كانت تهدف إلى تشجيع التعاون بين اليهود وغيرهم من المسيحيين، بهدف الدفاع عن قضية الوطن القومي اليهودي. وفى عام ١٩٣٢م أسست اللجنة الأمريكية الفلسطينية للهدف ذاته. وقد ساعدت هذه الجمعيات وغيرها، كثيراً في دعم مطالب الحركة الصهيونية، بسبب وجود وسط بروتستانتي ملائم لترويج الأفكار الصهيونية.

مركز ثقل الصهيونية ينتقل إلى أمريكيا

في أربعينيات القرن السابق ازداد حجم الدعم الأمريكي للحركة الصهيونية، حيث أدرك الزعماء الصهاينة أن مركز الثقل في عملهم قد بدأ ينتقل من بريطانيا إلى أمريكيا . فبعد أن أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض في عام ١٩٣٩م والذي حد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، قابل الزعماء الصهاينة والمتعاطفون معهم، هذا الكتاب بالرفض والاستنكار، و بدأوا يشعرون أن بريطانيا أخذت تتخلى عنهم ولو جزئياً بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية، هذا التحول دفع

---

(٧٥) على أعتاب الألفية الثالثة. الجذور المذهبية لحضانة الغرب وأمريكا لإسرائيل . حمدان حمدان ص١٢١

(٧٦)الصهيونية الأمريكية وسياسة أمريكيا الخارجية . ريتشارد ستيفن . ص ٧٥

الزعماء الصهاينة لتركيز جهودهم في الولايات المتحدة الأمريكية. فقد كتب بن جوريون في عام ١٩٤٠م يصف مشاعره في هذه الفترة، فقال: "أما أنا فلم أكن أشك في أن مركز الثقل بالنسبة لعملنا السياسي، كان قد أنتقل من بريطانيا إلى الولايات المتحدة، التي كانت قد احتلت المرتبة الأولى في العالم كدولة كبرى". وعندما اجتمع الزعماء الصهاينة في مؤتمر بلتمور في عام ١٩٤٢م ، قرروا نقل جهودهم إلى أمريكيا لكي تساعدهم في تحقيق مطالبهم . فقد أعلن بن جوريون أمام المؤتمر، أن اليهود لم يعد باستطاعتهم الاعتماد على الإدارة البريطانية في تسهيل إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين(٧٧).

العمل من أجل إلغاء الكتاب الأبيض

كان كل هم الزعماء الصهاينة والمتعاطفين معهم في هذه الفترة، إلغاء الكتاب الأبيض الذي أصدرته بريطانيا في عام ١٩٣٩م، والذي يحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين. لهذا فقد نشط المتعاطفون مع الحركة الصهيونية في هذا الوقت. "فبمعونة ١٠٠٠ زعيم صهيوني في الديار الأمريكية استطاع مجلس الطوارئ الذي شكلته الحركة الصهيونية، الحصول على قرار ضد الكتاب الأبيض من جميع المنظمات اليهودية الكبرى والجمعيات المهمة، أمثال الليونز، والدلكس، والروتارى، ونادى السيدات العاملات في التجارة والمهن الحرة، وغيرها من الجمعيات والنوادي. كما أن نقابات العمال وجمعيات الكنائس انضمت ضد الكتاب الأبيض"(٧٨).

وفى آذار عام ١٩٤٤م قدم بعض أعضاء مجلس الشيوخ إلى لجنة الشؤون الخارجية، مشروع قرار يدعو إلى إلغاء الكتاب الأبيض البريطاني، وتأييد خطة إنشاء دولة يهودية في فلسطين، ولكن المستر جورج مارشال وزير الخارجية، ورئيس أركان حرب الجيش الأمريكي آنذاك، تدخل وطلب من اللجنة عدم بحث ذلك الاقتراح، خوفاً من إثارة الرأي العام العربي وانعكاس ذلك على الموقف العسكري، فنزلت لجنة الشؤون الخارجية عند طلب المستر مارشال، وأرجأت البحث في الاقتراح المقدم لها. وبعد بضعة أشهر تغير مجرى الحرب نهائياً لصالح الحلفاء، فأرسل المستر مارشال نفسه كتاباً إلى السناتور واغنر، عضو مجلس الشيوخ الأمريكي، قال فيه: "إن الاعتبارات العسكرية التي حملته فيما مضى على معارضة بحث ذلك الاقتراح قد زالت"(٧٩).

"وفى فبراير ١٩٤٥م وقع خمسة آلاف قسيس بروتستانتي أمريكي، عريضة رفعوها إلى الحكومة ومجلس الأمة والكونغرس، يطالبون فيها بفتح أبواب فلسطين على مصراعيها للهجرة

---

(٧٧) المصدر السابق . ٧٠ .

(٧٨) الصهيونية الأمريكية وسياسة أمريكيا الخارجية . ريتشارد ستيفن . ص ٧٠ .

(٧٩) المؤامرة الكبرى ، اغتيال فلسطين . أميل الغورى . ص ١٥٠ – دار النيل للطباعة ، القاهرة – ط.١ ١٩٥٥م..

اليهودية، وقد قامت وكالات الأنباء ومحطات الإذاعة والصحافة بدعاية واسعة النطاق لمشروع إنشاء دولة يهودية في فلسطين"[٨٠].

وبالرغم من أن هذا التعاطف الكبير مع الحركة الصهيونية، من قبل الجمعيات والمؤسسات العامة خلال عشرينات القرن الحالي وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية، لم يرافقه موقف عملي واضح من الحكومة الأمريكية، إلا أن ذلك لم يكن لعدم إيمان الرؤساء الأمريكيين . في تلك الفترة . بأهداف الحركة الصهيونية، بل لأن بريطانيا في ظل انتدابها على فلسطين كانت تقوم بتقديم كافة التسهيلات والمساعدات للحركة الصهيونية . ولذلك لم يكن هناك أي داعٍ لتدخل أمريكيا ما دامت بريطانيا تقوم بنفس العمل وعلى أكمل وجه. فقد كان الرؤساء الأمريكيون في تلك الفترة يعتبرون أن فلسطين هي من جملة المسئوليات البريطانية في الشرق الأوسط، ولذلك فإن (روزفلت) "خلال مدد ولاياته الثلاث كأسلافه، لزم بدقة الموقف الأساسي الذي كان قائماً خلال الفترة التي كان هيوز فيها بالحكم، وهو أن الأحكام الخاصة بإنشاء وطن قومي يهودي الواردة في صك الانتداب، لم تكن في عداد المصالح الأمريكية، بل إنها من الشئون البريطانية"[٨١].

يضاف إلى ذلك أمر آخر مهم، وهو ظروف الحرب العالمية الثانية التي فرضت على أمريكيا عدم تأييد المطالب الصهيونية بصورة علنية، والسعي إلى استرضاء العرب حرصاً على الموقف العسكري في المنطقة. "ففي ٢٩ ديسمبر ١٩٤٢م أشار (هال) على الرئيس روزفلت بالا يبعث بأية رسالة إلى هيئة الصندوق القومي اليهودي، نظراً إلى الموقف في الشرق الأوسط وأفريقيا الشمالية، حيث يسود شعور عنيف ضد الصهيونية في صفوف الشعوب العربية. فقد أكدت كافة التقارير العسكرية والدبلوماسية المرسلة من البلاد العربية، خطورة إثارة العرب بالتصريحات المؤيدة للصهيونية"[٨٢]. ولهذا فإن روزفلت، وفى محاولة منه لكسب ود الزعماء العرب، قطع وعداً للملك عبد العزيز بن سعود . عاهل السعودية . بأنه لن يؤيد أي حركة من شأنها تسليم فلسطين لليهود.

روزفلت والأفكار الصهيونية

بالرغم من أن الظروف السياسية والعسكرية، فرضت على روزفلت عدم تأييد مطالب الحركة الصهيونية، بصورة علنية، إلا أنه كان متعاطفاً مع اليهود، وكان أثر العهد القديم واضحاً عليه، فقد أتخذ نجمة داوود شعاراً رسمياً للبريد وللخوذات التي يلبسها الجنود في الفرقة السادسة، وعلى

---

(٨٠) الاستعمار وفلسطين . رفيق النتشة . ص ٢٦٠ .

(٨١) الصهيونية الأمريكية وسياسة أمريكيا الخارجية . ريتشارد ستيفن . ص ١٠٧

(٨٢) الصهيونية الأمريكية وسياسة أمريكيا الخارجية . ريتشارد ستيفن . ص ١١٤

أختام البحرية الأمريكية وطبعة الدولار الجديد، وميدالية رئيس الجمهورية[٨٣]. كما أنه دعا إلى عقد مؤتمر (ايفيان) في عام ١٩٣٨م، لحل مشكلة اللاجئين في أوروبا وبالذات اليهود منهم. فقد كان يريد روزفلت أن تكون فلسطين هي الحل لهذه المشكلة، ولكن المؤتمر فشل في اتخاذ أي حل. ففى أثناء الحرب العالمية الثانية قام (موريس أرنست) ـ يهودي ـ وأحد المقربين من الرئيس روزفلت، بزيارة للندن، لمحاولة إيجاد مأوى لليهود المهجرين في بريطانيا وأمريكيا، وإذا برزفلت يعلن بأنه أقتنع تمام الاقتناع بأن ذلك البرنامج لن يحل المشكلة، لا سيما وأن قادة الصهيونية في أمريكيا رفضوا هذا الحل. وأستطرد قائلاً: إنهم على حق في معارضتهم، لأنهم يدركون أن فلسطين يجب أن تصبح عاجلاً أم عاجلاً الملجأ الأمين لمجيئهم.

وهكذا نرى أن سياسة روزفلت تجاه فلسطين كانت تبدو غير واضحة، حيث أنه حاول أن يوفق بين عواطفه وميوله الصهيونية، وبين الضرورة السياسية والعسكرية التي فرضتها ظروف الحرب العالمية الثانية. ولكن عندما أصبح انتصار الحلفاء مؤكداً، أظهر ميوله الصهيونية الواضحة، حيث أكد بعد إعادة انتخابه في يناير ١٩٤٥م تعهده لليهود بمساعدتهم على إنشاء دولة يهودية في فلسطين، ولكن القدر لم يمهله طويلاً حيث توفى في ١٢ أبريل عام ١٩٤٥م .

ترومان ـ قورش ـ العصر الحديث !

عندما تولى ترومان منصب الرئاسة خلفاً لروزفلت، كان من أكثر الرؤساء الأمريكيين تأييداً للمطالب الصهيونية، حيث كان لجهوده الفضل الأكبر في إنشاء إسرائيل حتى أن الحاخام الأكبر قال له: "لقد وضعك الله في رحم أمك لتعيد إنشاء إسرائيل[٨٤]. ففي ٣١ أغسطس عام ١٩٤٥م ، طلب الرئيس ترومان . نيابة عن الصهيونية . من رئيس الوزراء البريطاني أتلى، إدخال مائة ألف لاجئ يهودي إلى فلسطين، ولكن رد أتلى كان غير مشجع، حيث أنه أشترط أن تتحمل أمريكيا الأعباء العسكرية والاقتصادية لتنفيذ هذا الطلب، ولكن الرئيس ترومان رفض ذلك وقال: أنه لا يرغب في إرسال ٥٠,٠٠٠ جندي لإقرار السلام في فلسطين. ونتيجة لذلك بدأت اتصالات بين الحكومة البريطانية وبين الزعماء الصهاينة المدعومين من أمريكيا، لتحقيق مطالبهم، ولكن هذه الاتصالات فشلت، مما دفع ترومان إلى تأييد الحل الصهيوني المتمثل بتقسيم فلسطين.

ترومان ومشروع التقسيم

([٨٣]) الصهيونية العالمية . جمال الدين الرماوى . ص ١٢٦– مكتبة الوعي العربي .

([٨٤]) زعماء ودماء . ايمن ابو الروس ص٦٤ .

أصدر الرئيس ترومان في ٤ أكتوبر بياناً بادر فيه إلى المطالبة بإدخال مائة ألف يهودي فوراً إلى فلسطين، كما أوصى بتطبيق خطة التقسيم حسب الخطوط التي اقترحتها الوكالة اليهودية، وقال ترومان: "إنه كان يعتقد بأن حلاً على هذه الصورة سيصادف تأييداً من الرأي العام في الولايات المتحدة، وصدفة على حد قوله، صدر هذا البيان في يوم عيد كيبور . الغفران . اليهودي". ولكن لم يمضى وقت طويل حتى صدر رد الفعل العربي على بيان ترومان، ففي رسالة من الملك عبد العزيز بن سعود، إلى ترومان، اتهم فيها اليهود بأنهم يضعون مخططات ضد الأقطار العربية المجاورة، وأنتهي الملك عبد العزيز إلى القول، بأن بيان ترومان قد بدل الموقف الأساسي في فلسطين، خلافاً للوعود السابقة. وفى الرد على ذلك بتاريخ ٢٦ أكتوبر ١٩٤٦م ، أدعى ترومان، أن تأييد وطن قومي يهودي كان دائماً من صلب السياسة الأمريكية المنسجمة مع نفسها(٨٥).

وبعد مشاورات عديدة رفع مشروع تقسيم فلسطين إلى الأمم المتحدة، حيث أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بعد أن قامت أمريكيا بالضغط على كثير من الدول لتأييد المشروع، حيث يعتبر البعض إن أهم ما يسجل لهاري ترومان في سياق تأييده للحركة الصهيونية، موقفه من مشروع قرار تقسيم فلسطين في الأمم المتحدة، إذ لم يكتف ترومان بإعطاء توجيهاته للوفد الأمريكي في الأمم المتحدة بالتصويت إلى جانب التقسيم يوم ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧م، بل طلب من المسئولين الأمريكيين أن يمارسوا شتى ألوان الضغط والإغراء من أجل إقناع الحكومات الأخرى بالتصويت إلى جانب التقسيم، ويقول كبير الدبلوماسية سمنر ويلز: "بأمر مباشر من البيت الأبيض فرض المسؤولون الأمريكيون، كل أنواع الضغوط بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، خاصة مع تلك الدول المتمردة أو المعارضة للتقسيم ولم يتوان البيت الأبيض عن استخدام الوسطاء والوكلاء في سبيل ضمان الأكثرية اللازمة للتصويت. كما كتب وكيل الخارجية الأمريكي (روبرت لافل) عن دور البيت الأبيض ما يلي: "إنني لم أتعرض في حياتي قط لمثل ما تعرضت له من ضغوط قبيل مشروع التقسيم خاصة تلك الأيام التي سبقته من صباح الخميس إلى مساء السبت"(٨٦).

وبالرغم من الجهد الكبير الذي بذلته أمريكا لتمرير قرار التقسيم، إلا أنها بعد فترة تراجعت عن هذا المشروع بسبب صعوبة تنفيذه، واقترحت وضع فلسطين تحت الوصايا، ولكن هذا الاقتراح لم يقبله الزعماء الصهاينة الذين كانوا يعدون العدة لإعلان قيام دولة إسرائيل بمجرد انتهاء الانتداب البريطاني عليها في ١٥مايو ١٩٤٨م. وعندما أعلن عن قيام دولة إسرائيل،

---

(٨٥) الصهيونية الأمريكية . ريتشارد ستيفن . ص ٢٣٤ .

(٨٦)على أعتاب الألفية الثالثة. الجذور المذهبية لحضانة الغرب وأمريكا لإسرائيل حمدان حمدان ص١٢٧.١٢٨

أعترف الرئيس ترومان بها بعد دقيقة من إعلان قيامها، كما أنه قام بتصرف يخالف كل المبادئ الدبلوماسية المعروفة، عندما أعترف بدولة إسرائيل قبل أن تطلبه رسمياً وقبل انتهاء الانتداب البريطاني بعشر ساعات .

حرب عام ١٩٤٨ م.

لم يقف تأييد ترومان للحركة الصهيونية عند هذا الحد، بل إنه استطاع أن يحل أصعب مشكلة مرت بها الدولة الوليدة. فعندما دخلت سبع جيوش عربية أرض فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨م، استطاعت هذه الجيوش تحرير كثير من الأراضي الفلسطينية، وضيقت الخناق على الجيش الإسرائيلي، بحيث أصبح في وضع حرج. وهنا أحس الرئيس ترومان بأن القتال الدائر في فلسطين يسير لصالح الجيوش العربية، وأصبح قلقاً على مصير الدولة التي عمل على إنشائها على أرض العرب، فمارس ضغوطاً مباشرة على المندوبين في مجلس الأمن للحصول على قرار بوقف القتال بأي طريقة يمكن التوصل إليها.

اتفاقية الهدنة

بعد مناقشات ومشاورات وملاحقات وضغوط من الرئيس ترومان شخصياً، وبناءً على اقتراح المستر دوغلاس، المندوب البريطاني، وفى ٢٩ مايو ١٩٤٨م أقر مجلس الأمن الدولي الموافقة على وقف القتال في فلسطين بموجب هدنة يتم الاتفاق عليها عن طريق وسيط دولي، وقد تم تعيين الكونت برنادوت وسيطاً دولياً، حيث استطاع التوصل إلى اتفاق للهدنة لمدة أربعة أسابيع. ونصت اتفاقية الهدنة الأولى على أن يحتفظ كل طرف بالمكان المتواجدة فيه قواته في ذلك الوقت، ولا يحق لأي طرف استغلال الهدنة والحصول على مكاسب عسكرية، سواء باحتلال الأراضي أو جلب الإمدادات البشرية والأسلحة. ولكن إسرائيل لم تلتزم بهذه الهدنة، حيث عملت على جلب مزيد من المتطوعين والأسلحة من الخارج بمساعدة سرية من أمريكيا وبريطانيا، في الوقت الذي فرض حظر على تصدير الأسلحة للدول العربية[٨٧]. فأصبح لدى إسرائيل بعد الهدنة الأولى ٩٠,٠٠٠ مقاتل كقوات هجومية مسلحة بالدبابات والمدفعية والطيران. كما أن إسرائيل استطاعت في ظل هذه الهدنة تنظيم جيشها والاستيلاء على مزيد من الأراضي العربية، بحيث أصبح ميزان القوى لصالحها بفارق كبير.

وهكذا لعب ترومان دوراً مهماً في حماية إسرائيل عند ولادتها، من خلال الهدنة التي فرضها على الدول العربية. ولهذا يرى البعض أن موافقة الدول العربية على الهدنة كانت خطوة متسرعة

([٨٧]) امريكا واسرائيل علاقة حميمه (التورط الامريكي مع اسرائيل منذ العام ١٩٤٧ حتى الآن)- جورج و. بول ، دوغلاس ب. بول – ترجمة د. محمد زكريا اسماعيل ص ٢٨ – دار بيسان للنشر والتوزيع – ط١ ١٩٩٤

وغير محسوبة، وربما جاءت رضوخاً لضغوط خارجية، لأن الجيش الإسرائيلي كان في وضع صعب، وقد عبر مناحيم بيغن . في مذكراته . عن استغرابه وتعجبه لقبول الدول العربية للهدنة بالرغم من أن الموقف كان في صالحها، كما أن موشى ديان، الذي كان من كبار ضباط الجيش الإسرائيلي في ذلك الوقت، قال: "كانت الهدنة بالنسبة لنا كأنها قطرة ندى قادمة من السماء"[٨٨].

وقبل انتهاء فترة الهدنة الأولى اقترح الوسيط الدولي برنادوت، أن تجدد الهدنة إلى أجل غير محدود، ووافقت الدول العربية على الهدنة الجديدة في ١٧ تموز ١٩٤٨م، ولكن إسرائيل لم تلتزم بالهدنة الجديدة، حيث احتلت مزيداً من الأراضي الفلسطينية وشردت مزيداً من السكان. وبعدها أجبرت الدول العربية على الدخول في مفاوضات مع إسرائيل لعقد هدنة دائمة، حيث وقعت الدول العربية كلاً على انفراد معاهدات للهدنة مع إسرائيل في جزيرة رودس في عام ١٩٤٩م. وتكمن أهمية اتفاقات الهدنة لدولة إسرائيل في أنها حصلت عن طريقها على مكاسب عديدة، فقد حصلت إسرائيل على مزيد من الأراضي العربية، وأتاحت لها فترة من الاستقرار كانت بأمس الحاجة إليه، لبناء مرافق الدولة الجديدة وجلب مزيد من المهاجرين، واستطاعت إسرائيل في هذه الفترة أن تحقق تفوقاً عسكرياً على الدول العربية .

صهيونية ترومان

من العرض السابق يمكننا تقدير حجم المساعدة التي قدمها الرئيس ترومان لدولة إسرائيل قبل وبعد إنشائها، ابتداءً من دعوته لفتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية وتبنيه لقرار التقسيم واعترافه بدولة إسرائيل، وانتهاءً باتفاقية الهدنة التي عقدت بين إسرائيل والدول العربية. فقد كان ترومان صهيونياً أكثر من الصهاينة، حيث انعكس ذلك على سياسته تجاه المسألة الفلسطينية، والتي كانت سياسة رئاسية ثم تنفيذها من جانب واحد رغم معارضة كثير من المستشارين الحكوميين لها، والذين كانوا يرسمون سياسة بلادهم الخارجية بناء على مصالحها القومية، وليس بناء على عواطف دينية أو غيرها. لهذا فقد حدث أكثر من مرة أن تضاربت قرارات ترومان مع قرارات وزارة الخارجية ومستشاريه. ففي إحدى المرات كان مندوب الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة، يطالب بشدة بوضع فلسطين تحت الوصاية، من غير أن يعلم بأن الرئيس ترومان قد اعترف قبل ذلك بقليل بدولة إسرائيل. وقد اعترف ترومان نفسه بحقيقة سياسته هذه حيث قال في مذكراته: "لقد كنت أعلم بأن المستشارين جميعاً لا ينظرون إلى المسألة الفلسطينية نظرتي أنا إليها، وأكثر من ذلك، كان الإختصاصيون من موظفي وزارة الخارجية في شئون الشرق الأوسط جميعهم تقريباً ضد فكرة دولة يهودية"[٨٩].

([٨٨]) الاستعمار وفلسطين . رفيق النتشة . ص ٢٤٤

([٨٩]) أني أتهم . روجيه ديلورم . ترجمة نخله كلاس . ص ٩١ – دار الجرمق، ١٩٨٥.

ولكن ما هي نظرة ترومان للمسألة الفلسطينية، التي جعلته يخالف جميع مستشاريه ويتحدى مشاعر جميع العرب والمسلمين ؟! إنها نظرة شخص تربى على تعاليم الكنيسة المعمدانية، التي تتبع مذهب العصمة الحرفية في تفسيرها للكتاب المقدس، وهذا يعنى الإيمان بصورة حرفية بكل ما جاء في العهد القديم من أخبار ومعلومات تاريخية ونبوءات من غير تأويل. لهذا فإن أتباع هذه الكنيسة من أكثر المتحمسين للحركة الصهيونية، حيث يؤمنون بضرورة قيام دولة إسرائيل تحقيقاً للنبوءات التوراتية. ولهذا فقد كان واضحاً أثر هذه الأفكار على ترومان وحياته. "فقد كان يؤمن . باعتباره أحد تلاميذ التوراة . بالتبرير التاريخي لوطن قومي يهودي، وكانت لديه قناعة بأن وعد بلفور، حقق آمال وأحلام الشعب اليهودي القديمة. كما كان واضحاً أثر الثقافة اليهودية والعهد القديم عليه، وكيف لا وهو يعتبر التلمود اليهودي كتابه المفضل. ولهذا كانت هديته لليهود عام ١٩٤٦م، في عيد الغفران . كيبور. تأييده لمشروع تقسيم فلسطين.

كما عرف عن ترومان حبه الشديد للفقرة الواردة في المزمار ١٣٧ والتي تقول: "لقد جلسنا على أنهار بابل وأخذنا نبكى حين تذكرنا صهيون"[٩٠]، حيث كانت هذه الفقرة جزء رئيسي من صلاته التي كان يقيمها مع القس المتطرف بيليى غراهام في البيت الأبيض، ولكن ترومان غضب من غراهام ومنعه من دخول البيت الأبيض لأنه كان يخبر الصحافة بتفاصيل صلاته الخاصة معه"[٩١].

لقد كان ترومان يرى أن خدماته العظيمة التي قدمها لليهود تجعله يرقى إلى مقام الملك الفارسي قورش، الذي أعاد اليهود من منفاهم في بابل، إلى فلسطين. "فعندما قدمه إيدى جاكوبسون إلى عدد من الحاضرين في معهد لاهوتي يهودي، وصفه بأنه الرجل الذي ساعد على خلق دولة إسرائيل. رد عليه ترومان بقوله: "وماذا تعنى بقولك ساعد على خلق ؟ إنني قورش.. إنني قورش"[٩٢].

المساعدات الأمريكية لإسرائيل

بعد أن أتم ترومان . قورش . مهمته على أكمل وجه، لم يكن هناك شيء ذو أهمية كبيرة يمكن أن تقدمه أمريكيا لإسرائيل في الخمسينات ومطلع الستينات من هذا القرن. حيث كان تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية وجلب المهاجرين الجدد من الخارج، والإبقاء على التفوق العسكري، يحتل مكان الصدارة في اهتمامات إسرائيل في هذه الفترة. وقد استطاعت إسرائيل تحقيق هذه الأهداف بمساعدة أمريكيا وحلفائها. فعلى صعيد تحسين الظروف الاجتماعية

---

(٩٠) الصهيونية غير اليهودية . د. ريجينا الشريف . ص ٢٠٣

(٩١) الحرب الأمريكية الجديدة ضد الإرهاب – من قسم العالم إلى فسطاطين – اسعد أبو خليل ص٣٤

(٩٢) المصدر السابق . ص ٢٠٤ .

والاقتصادية، لعبت أمريكيا دوراً مهماً في تأمين المساعدات المالية لإسرائيل، حيث مارست ضغوطاً كبيرة على ألمانيا لإجبارها على دفع تعويضات لدولة إسرائيل عن اليهود الذين قيل أنهم قتلوا في العهد النازي، حيث كانت هذه التعويضات مصدراً مهماً للأموال اللازمة لعملية التنمية والبناء.

ومن ناحية أخرى، قدمت أمريكيا كثيراُ من المساعدات المالية لإسرائيل في هذه الفترة. فعلى سبيل المثال، "بلغت المنح التي قدمتها أمريكيا لإسرائيل من سنة ١٩٥٠م وحتى ١٩٥٩م حوالي ٤٠٣٥ مليون دولار، وقروضاً قدرها ٣٦٩ مليون دولار، ومساعدات فنية قدرها ٣٥ مليون دولار، وأجهزة علمية قيمتها ١٠ مليون دولار، واستثمارات أمريكية بمبلغ ٩٥ مليون دولار، وحصيلة بيع السندات الإسرائيلية مبلغ ٣٤٧ مليون دولار، هذا عدا الإعفاءات من الضرائب والرسوم التي تمنحها الحكومة الأمريكية على ما يحصل من اليهود وما يتم جمعه عن طريق الجمعيات والمنظمات الأمريكية المؤيدة لإسرائيل"[٩٣].

وقد كشف السيد (بنحاس سابير) حينما كان وزيراً للمالية، "عن ان اسرائيل قد تلقت بين عامي ١٩٤٩-١٩٥٦سبعة مليارات دولار. ولكي نقدر دلالة هذا الرقم حق التقدير يكفي ان نذكر القارئ بأن تمويل مشروع مارشال لاوروبا الغربية بين عامي ١٩٤٨-١٩٥٤ قد رصد له ١٣ مليار دولار. اى ان دولة اسرائيل ذات المليوني نسمة قد تلقت أكثر من نصف ما تلقته كل شعوب أوروبا التي كانت تعد آنذاك مئتي مليون نسمة"[٩٤].

أما على صعيد جلب المهاجرين الجدد ، فقد تدفق الكثير منهم إلى إسرائيل منذ إعلان قيامها من كافة البقاع بدون أي مشاكل، ولم تكن هناك مشكلة في وصول المهاجرين اليهود إلا بالنسبة ليهود الدول العربية. وقد ساعدت أمريكيا على حل هذه المشكلة. فعلى سبيل المثال، "قامت طائرات سلاح الجو الأمريكي بشكل سرى في مطلع الخمسينيات بنقل ٦٥,٠٠٠ يهودي يمنى إلى إسرائيل"[٩٥].

أما بالنسبة إلى تحقيق التفوق العسكري، فقد حققته إسرائيل بمساعدة أمريكيا وحلفائها من خلال حرب ١٩٤٨م، وما تبعها من تدفق للأسلحة على إسرائيل، في ظل فرض حظر على تزويد الدول العربية بالأسلحة. وحتى في اللحظة التي استطاعت إحدى الدول العربية، وهى مصر، الحصول على أسلحة من الخارج في عام ١٩٥٥م، قامت إسرائيل في عام ١٩٥٦م

([٩٣]) الناصرية (دراسة في فكر جمال عبد الناص) . تأليف عبد الله إمام – تقديم ضياء الدين داود– ص ١٣٧– مطبوعات دار الشعب ١٩٧١

([٩٤]) فلسطين ارض الرسالات السماوية – روجيه جارودي– ترجمة قصي اتاسي، ميشيل واكيم – ص٢٧٨– دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر– طبعة ١٩٩١

([٩٥]) اندماج : دراسة فى العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة الامريكية و اسرائيل – د. يوسف الحسن ص ٦٣– القاهرة : دار المستقبل العربى، ١٩٨٦.

بالتعاون مع فرنسا وبريطانيا، بشن العدوان الثلاثي على مصر، لتدمير القوة العربية الجديدة، من أجل الإبقاء على التفوق العسكري الإسرائيلي والحصول على مكاسب جديدة.

ايزنهاور

مما تقدم يبدو واضحاً أن إسرائيل في هذه الفترة لم تكن بحاجة إلى الدعم الأمريكي الصارخ كما كان الحال في عهد ترومان، ولذلك كان المجال مفتوحاً أمام أيزنهاور لتقليل حجم الدعم الأمريكي العلني لإسرائيل، لامتصاص ردة الفعل العربية الساخطة على التحيز والتآمر الأمريكي التام على العرب أيام ترومان. كما أن الظروف الدولية والإقليمية، ساعدت على تحجيم هذا الدعم. فقد كان تركيز أيزنهاور في هذه الفترة ينصب على احتواء المد السوفيتي في العالم، والحيلولة دون انتشاره في العالم العربي. كما أن ظروف المنطقة العربية ومد القومية العربية الجارف ساهم في تحجيم هذا الدعم إلى أدنى مستوياته. لهذا كان الموقف الأمريكي تجاه العرب يبدو وكأنه معتدل نسبياً، حيث ركزت السياسة الأمريكية في هذه الفترة على تخويف الدول العربية من الخطر السوفيتي، لحثها على الدخول في تحالفات إقليمية لمواجهة الخطر السوفيتي المزعوم، أو لعقد معاهدات سلام مع إسرائيل .

وبالرغم من هذا الاعتدال الظاهري للسياسة الأمريكية تجاه المنطقة العربية، إلا أنه لا يجب إغفال حقيقة الالتزام الأمريكي الديني تجاه إسرائيل في هذه الفترة. فعندما انتخب (دوايت أيزنهاور) رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية في شهر نوفمبر سمة ١٩٥٢م ودخل البيت الأبيض أواخر يناير ١٩٥٣م اختار معه رجلين لأعلى المناصب في إدارته وتصادف أنهما شقيقان لأب قضى عمره وعمله قسيسا داعيا إلى ملكوت السماء.

الشقيق الأول (جون فوستر دالاس) في موقع وزير الخارجية، "وكان المبشر الأعلى صوتا، بأن الدين هو السلاح الأكثر فاعلية ونفاذاً في العالم الثالث ، لأنه الهوية التقليدية لشعوبه وأممه ما زالت مع وعيها العذري الفطري، والدين بالنسبة لها عقد سياسي واجتماعي وحيد تقيم به جسراً بين الآخرة والأولى"[٩٦]. ولهذا لم يكن مستغرباً أن يعبر دالاس عن التزامه الديني تجاه إسرائيل في تصريح أدلى به، أمام جمعية بنى بريت (أبناء العهد) بتاريخ ٨ مايو ١٩٥٨م قال فيه: "إن مدنية الغرب قامت في أساسها على العقيدة اليهودية في الطبيعة الروحية للإنسانية، لذلك يجب أن تدرك الدول الغربية أنه يتحتم عليها أن تعمل بعزم أكيد من أجل الدفاع عن هذه المدنية التي معقلها إسرائيل"[٩٧].

([٩٦]) من نيويورك الى كابول . محمد حسنين هيكل – ص ٢٠٩

([٩٧]) الماسونية في المنطقة ٢٤٥ . ابو إسلام أحمد عبد الله . ص ٥٣ – القاهرة، دار الزهراء للإعلام العربي، ط ١– ١٩٨٦م

أما الشقيق الثاني فهو (آلان دالاس) في موقع مدير وكالة المخابرات المركزية، "التي أوكلت إليه مهمة إدارة الحرب الجديدة (الباردة) وسلاحها (إطلاق الأفكار وليس إطلاق النار)، وبما أن الاستراتيجية الأمريكية في العالم الثالث اعتمدت على سلاح الاعتقاد ضد تهديد الإلحاد، فإن وكالة المخابرات الأمريكية تجاسرت على اتخاذ شعارات الإسلام، وهى العقيدة الأكثر انتشاراً في المنطقة لتكون وسيلتها وذخيرة سلاحها. وبهذا العملية تم وضع حجر الأساس لاستغلال الإسلام والجماعات الإسلامية لخدمة المخططات الأمريكية"[٩٨].

جون كنيدى الرئيس الكاثوليكي الوحيد

تولى جون كيندى الحكم في بداية الستينات، حيث كانت فترة ولايته من الفترات القليلة والنادرة التي تم فيها ضبط السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، حيث جاء ذلك نتيجة لبعض العوامل الخارجية التي تكلمنا عنها سابقاً، والتي أدركها كيندى بوضوح، حيث كان يرى: "أن الانحياز الأمريكي في النزاع العربي الإسرائيلي لا يهدد الولايات المتحدة فحسب، بل يهدد العالم بأسره"[٩٩]. ولكن الأمر المهم هنا والذي طبع سياسة الرئيس كيندي وميزه عن غيره من الرؤساء، هو أن قناعات الرئيس كنيدى الشخصية، بوصفه من أتباع الكنيسة الكاثوليكية، والرئيس الأمريكي الكاثوليكي الوحيد في تاريخ أمريكيا، لم تترك مكاناً للأفكار والنبوءات التوراتية في وجدان الرئيس أو عقله.

فقد كان وصول كاثوليكي إلى رئاسة أمريكا أمراً غير مسبوق ومن الصعب تكراره، في ظل السيطرة البروتستانتية على مقاليد الأمور في أمريكا، حيث "أن التأثير الثقافي السائد في الولايات المتحدة هو تأثير العنصر الأبيض الأنجلو سكسونى البروتستانتي الذي يشكل هيكل القيم والمناقب في حياة الطبقة السائدة في المجتمع الأمريكي"[١٠٠]. ولهذا فأنه عندما حصل جوزيف (والد جون كنيدى) على منصب رفيع في السلك الدبلوماسي، وأصبح سفيراً لأمريكا في لندن، كان قرار تعيينه مفاجئاً للسياسيين المؤيدين للرئيس روزفلت، وقال هؤلاء للرئيس آنذاك "أن إرسالكم لهذا الايرلندى الكاثوليكي إلى بلاط (سان جيمس) الملكي البريطاني، يعنى بالضرورة تدهور العلاقات الأمريكية البريطانية ... وقال وزير المالية الأمريكي (هنرى ماغينتو) للرئيس روزفلت: "إن وجود كنيدي بالقرب منكم هو خطر عليكم"[١٠١].

العداء للكاثوليك

([٩٨]) من نيويورك الى كابول . محمد حسنين هيكل – ص ٢٠٩

([٩٩])إني أتهم . روجيه ديلورم . ترجمة نخله كلاس . ص ٨١ .

([١٠٠]) الدين والثقافة الأمريكية – جورج مارسدن – ترجمة صادق عودة– ص٤٦– دار الفارس للنشر والتوزيع – ط١ ٢٠٠١

([١٠١]) الإخوة كيندى – أزغروميكو. ترجمة ماجد علاء الدين – شحادة عبد المجيد ص٢١– الناشر د. ماجد علاء الدين – ط١ ١٩٨٦

تتكون الطبقة العليا، أو طبقة النخبة في أمريكا من أناس ورثوا الثروة والمنزلة الاجتماعية عن أجدادهم من المهاجرين الانجليز.. ومعظم أفراد هذه الطبقة من طائفة البروتستانت الانجلوسكسون، الذين لا يسمحون لأحد بمشاركتهم في هذا الإرث، انطلاقاً من نظره عنصرية للآخرين، حيث لم يكن الكاثوليك مستثنون من هذا الأمر. ولمعرفة درجة العداء للكاثوليك في أمريكا من قبل البروتستانت يكفي أن نعلم "أن العلاقة بين اليهود والبروتستانت كانت أكثر حميميه، من العلاقة بين البروتستانت والكاثوليك، لقد وجدت أرضيه مشتركة بين البروتستانتية واليهودية لم تتحقق بين البروتستانتية والكاثوليكية"(١٠٢).

وقد بلغت مشاعر التحامل ضد الكاثوليك الايرلنديين أحياناً مبلغاً يقارب المشاعر ضد السود من حيث الشدة. بل كثيراً ما دأب الناطقون بلسان البروتستانت بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة على جعل الكاثوليك صنواً للتسلطية وبالتالي مرادفاً للدكتاتورية. ومن الكتب ذات الرواج والنفوذ في تلك الحقبة كتاب (بول بلانشارد) المرسوم بـ "الحرية الأمريكية والكاثوليكية) عام ١٩٤٩م، الذي كرر الموضوع القديم المألوف تماماً في أمريكا في العهود الاستعمارية، والذي مؤداه أن الكاثوليك كانوا يهددون بتسلم زمام الأمور ووضع نهاية للحريات الأمريكية. وفي نفس العام تحدث الأسقف ج. بروملي أوكسنام وهو من أكبر الأساقفة نفوذاً في الكنيسة الميثودية (أكبر المذاهب البروتستانتية في أمريكا) وذلك في مقابلة إذاعية عن: "التطابق اللافت للنظر بين البنية التنظيمية للحزب السياسي الشيوعي العالمي وأسلوبه من ناحية، والحزب الكاثوليكي العالمي من ناحية أخرى وكلاهما استبدادي المنحى، ويحاول كل منهما السيطرة على عقول البشر في كل مكان، وكلاهما يمارس الحرمان واغتيال الشخصية والعمليات الثأرية الاقتصادية، ولا تعرف روما ولا موسكو معنى التسامح.

وبالنسبة للتحرريين الدينيين أمثال (اوكسنام) الذين بقوا يبحثون عن عالم تسوده المبادئ المسيحية، بدت النزعة التسلطية الكاثوليكة وكأنها تهدم مثلهم العليا البروتستانتية والديمقراطية. ففي عام ١٩٥١م حاول الرئيس ترومان تعيين سفير لدى الفاتيكان، غير أن الضجة الشعبية العالية بقيادة رجال الكنيسة البروتستانتية المنتمية إلى التيار الرئيس أرغمته على التخلي عن المحاولة. وفي تلك الفترة اضطرمت مشاعر العداء وتعمقت بين الكاثوليك والبروتستانت. فعلى سبيل المثال حذرت مجلة مشيخية بعد الحرب من الزواج بكاثوليك، مذكرة من بين أمور أخرى بأن المذهب البروتستانتي وليس الكاثوليكي هو الذي دفع الناس إلى المطالبة بحكومة حرة والى الإطاحة بالطغاة. وأقرت الكنيسة الأسقفية قراراً شديد اللهجة ضد الزواجات المختلطة في عام

(١٠٢) أسطورة هرمجدون والصهيونية المسيحية. عرض وتوثيق هشام آل قطيط. ص٧٦

١٩٤٩م. وكانت المشاعر متبادلة بالطبع، إذ عمل الزعماء الكاثوليك على عدم تشجيع الزواج المختلط بهمة ونشاط لا تقل عما بدر من البروتستانت"[١٠٣].

سميث الكاثوليكي يخسر انتخابات ١٩٢٨ امام هوفر البروتستانتي

في انتخابات عام ١٩٢٨ كان مرشح الحزب الديمقراطي لمنصب الرئاسة هو حاكم ولاية نيويورك (سميث) الذي كانت فرصته لدخول البيت الأبيض عظيمة. فقد أعيد انتخابه أربع مرات على التوالي حاكماً لولاية نيويورك، كما أنه أول كاثولويكي حقق مثل هذا الفوز في عام ١٩١٥. وأهم ما تميزت به انتخابات الرئاسة في عام ١٩٢٨ هو استخدام منظمة (الكوكلاكس كلان) البروتستامتية المتطرفه كقوة ضاربة ضد الديمقراطيين، حيث بدأت كلان العمل ضد سميث منذ عام ١٩٢٥ بعد ان رأت فيه المرشح الاوفر حظاً للنجاح، حيث خاضت كو . كلوكس . كلان الحملة الانتخابية في عام ١٩٢٨ تحت شعار: (حزب روما الكاثوليكي . الاكليريكي بدأ حملة كبيرة بهدف السيطرة على أمريكا باسم البابا في روما). ولجأت إلى استغلال الأوهام السائدة لدى ملايين البورجوازيين من أجل التحريض ضد مرشح الحزب الديمقراطي حيث وصمته بالكاثوليكية واتهمته بمعارضته (قانون منع الخمور)، وبانعدام الحس الوطني الصادق لديه. وباختصار كان هذا المرشح في نظر كلان (حليفاً للشيطان)، و(ابن بابا روما).

كان سميث المولود في أسرة من المهاجرين الايرلنديين يجسد في عين الريف الزراعي الأمريكي البروتستانتي، (بابل الحديثة– نيويورك)، وتعاطي الكحول، والكاثوليكية، واليهود، والأجانب. كما أتهم سميث ببناء نفق يستطيع باباً روما من خلاله ان يزور البيت الأبيض دون ان يدري به أحد. والغريب ان الكثيرين قد صدقوا هذه الأكذوبة. بينما كانت كلان تقدم نفسها دائماً بوصفها المدافع الأمين عن البروتستانتية، وتؤكد في دعايتها أن الله هو صانع (الكلانية)، بل ان أحد رجال الدين قد أعلن ان (ك ك ك) هي (الكنيسة البروتستانتية في ميدان المعركة).

ان ديماغوجية كلان في عدائها للكاثوليكية قد ضمنت لها تأييد الكنيسة البروتستانتية التي تمثل قوة هائلة في الولايات المتحدة الأمريكية. وكان كثير من قادة كلان وموظفيها يمارسون أعمالهم أيضاً لدى الكنيسة البروتستانتية حيث اعتبر الرهبان المعمدانيون والمنهجيون وسطاً ملائماً تماماً لتجنيد الناس للعمل في صفوف كلان. وقد بينت الاحصائيات أن حوالي ٤٠ ألف راهب بروتستانتي انتسبوا إلى كلان. وكان الرهبان الموالون لكلان يخاطبون رعيتهم بثمل هذه الكلمات: "حين تصوتون لصالح ايل سميث فانكم تصوتون ضد عيسى المسيح، وبهذا تحل عليكم اللعنة"، أو يطرحون هذا السؤال: "هل حقاً ان أمريكا الرصينة ستختار رئيساً لها يحب

([١٠٣]) الدين والثقافة الأمريكية – جورج مارسدن – ترجمة صادق عودة ص٢٣٩

كوكتيل الكحول؟. ولما كان سميث هو الذي اتخذ في عام ١٩٢٣ أولى الخطوات على طريق الغاء "قانون تحريم الكحول" فقد استغل خصومه هذه الحقيقة للطعن والتشهير به. وكان منافسه البروتستانتي (هوفر) في ذلك الوقت يدعو إلى (الامريكانية الكاملة)، والولاء المطلق لقيم الاخلاق البروتستانتية، والابقاء على قانون تحريم الكحول.

ومن الذين عملوا ضد مرشح الحزب الديمقراطي كذلك السناتور هيفلين (عن ولاية الاباما) وهو صديق مخلص لكلان التي كانت تدفع له مبلغ ١٥٠ . ٢٥٠ دولاراً عن كل خطاب يهاجم فيه سميث، وقد استغل هيفلين هذا الوضع ووزع في جميع أنحاء البلاد ٥٥٦٦٠٠ نسخة من الخطابات التي القاها في الكونغرس والتي فصح فيها الكنيسة الكاثوليكية، وايل سميث . أهم عميل لبابا روما في السياسة الأمريكية. كما أكد هيفلين ان جميع الرؤساء الأمريكيين الذين قتلوا كان قاتلوهم من الكاثوليكيين. وفي حملة الانتخابات التمهيدية استخدام هذا السناتور سلاح العنصرية، واتهم خصمه بتأييد المساواة الاجتماعية التي تتناقض مع نظرية تفوق البيض، وأشار إلى ان سميث كان من الذين ايدوا قانون منع التمييز العنصري في الفنادق والمطاعم. كما نشرت إحدى صحف الجنوب مقالة ساخرة تتهم سميث بمناصرة الزنوج.

لقد مارس الكلانيون مختلف أنواع الترهيب مع انصار سميث. ومن ذلك استقبالهم له بصليب مشتعل حين زار اوكلاهوما ستي في نطاق الحملة الانتخابية. وقد تكرر هذا في مدينة بيليلينغس (ولاية مونتانا) أيضاً. وعشية الانتخابات اقيمت صلوات خاصة ضد سميث في جمع كنائس الجنوب والغرب الأمريكي حيث تتمتع كلان باعظم النفوذ. ولهذا جاء فوز هوفر في الانتخابات ساحقاً، فقد حصل على ٢١ مليون صوت، بينما حصل سميث على ١٥ مليون صوت فقط. ويقارن المؤرخون الامريكيون هذا الفوز بالانهيار الجبلي الهائل.

فبعد هزيمة سميث راحت كلان تتبجح بأنها هي التي حشرت سميث في الزاوية، وارغمته على الاستسلام امامها. وكان لهذه التصريحات ما يبررها فقد فعلت كلان الكثير من أجل وصول هوفر إلى البيت الأبيض، فالدعاية الكلانية هي التي امنت له الفوز حتى في الولايات الخمس التي اعتبرت ولايات الديمقراطيين التقليدية في الجنوب (فرجينيا، تكساس، فلوريدا، تينيس، كارولينا الشمالية) وكذلك فاز هوفر في الولايات الحدودية التي كانت في السابق موطن الرق، وهي . دولافيرا، فيرجينيا الغربية، ميلاند، كنتوكي وميسوري. وفي تحليله لأسباب فوز هوفر الحاسم هذا كتب د. بريت أن "ايل سميث كان ضحية حملة العداء للكاثوليكية واليهود والزنوج"[١٠٤].

([١٠٤]) راجع بتوسع كتاب: تاريخ الإرهاب الأمريكي (الكوكلاكس كلان) – ر.ف. إيفانوف، أي. ف. ليسينفسكي– ترجمةغسان رسلان– اللاذقية: دار الحوار، ١٩٨٣

كيندي يبحث عن مخرج

إزاء هذا الوضع المتأزم بين الكاثوليك والبروتستانت، كان من الطبيعي أن يجد جون كيندي نفسه في وضع حرج وصعب، عندما أراد ترشيح نفسه لمنصب الرئيس، حيث كانت مشكلة مذهبه الكاثوليكي من أهم المشاكل التي واجهها. فقد لعب الدين إلى جانب عوامل أخرى دورا مؤثرا في سلوكيات الناخبين عبر التاريخ الامريكي. فعلى سبيل المثال يتجه اليهود والكاثوليك لانتخاب المرشحين الديمقراطيين أكثر من البروتستانت. وقد أثر الدين أيضا على طريقة عرض المرشحين والمسئولين المنتخبين لقضاياهم على عامة الناخبين[١٠٥]. "فالانتماء الديني .كان بصفة عامه . أحد العوامل الحاسمة التي تقرر المكان الذي يصطف الأمريكيون فيه من الناحية السياسية، ولا سيما عندما يقترن ذلك بالأصل العرقي، كما أنه أفضل وسائل التنبؤ بالسلوك الإقتراعى"[١٠٦]. لهذا اجتمع جوزيف وجون وروبرت كينيدى ومساعدوهم الرئيسيون، لمناقشة الصعوبات التي قد تواجه جون في حال إعلان جون كنيدى عن رغبته في ترشيح نفسه إلى منصب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية. وخلص الجميع إلى النتائج التالية:

أولاً: لم يسبق وأن أصبح كاثوليكي رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية.

ثانياً: لم يسبق وأن أصبح شاب بعمر (جون) رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية (وصل عمر جون كيندى عام ١٩٦٠م إلى ٤٣ سنة فقط"[١٠٧].

وللتغلب على مشكلة الدين قرر (جون كيندى) العمل على جبهتين، أحداهما الاعتماد على دعم الكاثوليك والاقليات الأخرى في أمريكا حيث كان الكاثوليك تقليدياً، عظيمي التأييد للحزب الديمقراطي، وقد بلغ هذا التأييد ذروته عام ١٩٦٠م، عندما انتخب (جون . ف . كيندي) كأول رئيس كاثوليكي للولايات المتحدة[١٠٨]، حيث جاء انتخابه ليمثل ذروة الانخراط الليبرالي في السياسة من جانب الكاثوليك الأمريكيين، وقد عني انتخابه لكثير من الكاثوليك حصولهم أخيرا على التوازن الثقافي مع الأغلبية البروتستانتية[١٠٩]. أما الجبهة الثانية فقد عمل جون كيندى منذ بداية حملته الانتخابية في إشعال نار الفتنة بين إتباع الكنيسة الكاثوليكية، وأتباع الكنيسة البروتستانتية في ولاية فرجينيا الغربية معقل المتطرفين البروتستانت، ذلك أن القائمين على حملة جون كيندى الانتخابية رأوا في طرح المسألة الدينية نصراً لمرشحهم في هذه المنطقة. ولهذا أكد

---

(١٠٥) الدين والسياسة في الولايات المتحدة – ج١. مايكل كوربت . جوليا ميشتل كوربت ص١١

(١٠٦) الدين والثقافة الامريكية . جورج مارسدن – ترجمة صادق عودة ص٩٨

(١٠٧) الإخوة كيندى – أزغروميكو. ترجمة ماجد علاء الدين – شحادة عبد المجيد– ص٣٨– الناشر د. ماجد علاء الدين – ط١ ١٩٨٦

(١٠٨) الدين والسياسة في الولايات المتحدة ج٢ – مايكل كوربت – جوليا كوربت – ترجمة د. زين نجاى، مهندس نشأت جعفر ص٧٤ – مكتبة الشروق الدولية – ط٢ ٢٠٠٢

(١٠٩) الدين والسياسة في الولايات المتحدة –ج١. مايكل كوربت . جوليا ميشتل كوربت ص١٤٣

جون كيندى في جميع محاضراته التي ألقاها عبر شاشات التلفزيون الأمريكي بأنه ليس من المعقول أن يرفضه الناخبون كرئيس للولايات المتحدة، لأنه كاثوليكي المذهب، وأعلن في أول خطاب له في ولاية فرجينيا بأن: "أحداً لم يسأله إذا كان كاثوليكياً أم لا ؟ عندما انخرط في صفوف القوات البحرية الأمريكية" . وطرح (جون كيندى) هذه المسألة أكثر من مرة، بهدف استعطاف الناخبين المعاديين للكاثوليكية. ولم يتوقف جون عند هذه الحدود، بل أكد فيما بعد بأنه سيشكل حكومته دون اخذ العوامل الدينية بعين الاعتبار، وانه سيفصل بين عقيدته الدينية وعمله السياسي، حيث أسهمت توكيدا ته تلك وقيامه بذلك فعلاً أثناء رئاسته، إسهاما كبيراً في تخفيف أية مخاوف من بسط نفوذ الفاتيكان، القوة الأجنبية على أمريكا، فكان هذا التصريح بمثابة هجوم نفسي ضد أهالي فرجينا الغربية والذين يدينون بالبروتستانتية"[١١٠].

وبالرغم من كل الجهود التي بذلها كيندى للفوز بالانتخابات إلا أن فوزه كان بمثابة معجزه وأمر غير عادى وخروجاً عن المألوف. فعندما تمت انتخابات الرئاسة الأمريكية في ٨ تشرين الثاني عام ١٩٦٠م، حصل (جون كيندى) على ٤٩,٧% من مجموع الأصوات، وحصل ريتشارد نيكسون على ٤٩,٦% من مجموع أصوات الناخبين الأمريكيين . وكان الفارق بين النتيجتين ضئيلاً جداً. وصوت في هذه الانتخابات ٦٤,٥% من اصل ١٠٧ ملايين أمريكي. ويعتبر هذا العدد قليلاً جداً حسب المقاييس الأوربية، وكبيراً جداً حسب المقاييس الأمريكية. وهذه النتيجة التي فاز بها (كيندى) تؤكد حقيقة سيطرة الأنجلو سكسون البروتستانت على الحياة الأمريكية وأنهم لن يسمحوا لاحد غيرهم بحكم أمريكا مهما بلغ الأمر، وبالذات اذا كان كاثوليكياً حيث تنتشر بين البروتستانت الأوهام الدينية على اوسع نطاق. وتشتد مشاعر العداء التاريخية التقليدية للديانة الكاثوليكية، حيث لعب هذا دوراً ملحوظاً في انتخابات الرئاسة في عام ١٩٦٠ حيث فاز كنيدي على منافسه نيكسون بفارق ضئيل جداً في عدد الأصوات. ومن المفارقات أن ٤,٥ مليون من البروتستانت الديمقراطيين قد صوتوا ضد مرشح حزبهم . أي ضد الكاثوليكي كنيدي"[١١١]. فالصراع يشتد في أمريكيا بين الروح الانجلوسكسونية وروح المهاجرين الجدد، إلا أن المزاج البريطاني لازالت له السيادة في الوقت الحاضر على الأدب، حيث إن مستوى الفن والذوق في المدن الأطلسية إنجليزي، والتراث الأدبي تراث إنجليزي، والفلسفة تسير على النهج الإنجليزي. فانجلترا هي التي أنجبت (واشنطن و ارفينج وامرسون)"[١١٢].

كيندي ومحاولة الإصلاح

---

(١١٠) الدين والثقافة الأمريكية – جورج مارسدن – ترجمة صادق عودة ص٢٤١

(١١١) تاريخ الإرهاب الأمريكي (الكوكلاكس كلان) – ر.ف. إيفانوف . أي. ف. ليسينفسكي– ترجمةغسان رسلان.– اللاذقية: دار الحوار، ١٩٨٣

(١١٢) حكمة الغرب (عرض تاريخي للفلسفة لبغربية في اطارها الاجتماعي والسياسي – برتراند راسل – فؤاد زكريا – ص٢٩٩– المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب، كناب رقم ٦٢ – ١٩٨٣

أدرك (كيندى) منذ توليه الرئاسة العوائق الكبيرة التي تواجه سياسته على المستوى الخارجي والداخلي التي تتعارض مع مصالح وأفكار الطبقة البروتستانتية المتنفذه، والتي لا تستطيع العيش إلا في ظل أجواء الصراع والحرب. لهذا اعتمد (جون كنيدى) على تأييد الكاثوليك من ولاية مساشوسش، بالإضافة إلى المهاجرين الإيطاليين والبولنديين الكاثوليك، لدعم سياسته الخارجية، التي تميزت بانفتاح كبير على العالم، حيث أدرك كيندى ضرورة التعايش السلمي مع الدول ذات النظم السياسية المختلفة. "فبعد أن قابل الرئيس الأمريكي كينيدي الرئيس ديغول في مايو ١٩٦١م، أعجب كل منهما بالآخر، ووصف كينيدي في تقرير للشعب الأمريكي في ١٩٦١/٦/٦م، ديغول بأنه مستشار حكيم للمستقبل ومرشد واسع الثقافة للتاريخ الذي ساهم في إنجازه. ولكن ذلك الوصف لم يرق لمؤسسة الظل الانكلو . سكسونية، التي عبرت عن استيائها لمثل هذه الثقة. وكانت التجربة الفرنسية في فيتنام من ضمن النصائح التي أسداها الحكيم (ديغول لكينيدي). واتفق مستشارو كينيدي علي أنه قد بدأ يفكر بجدية في الخروج من أزمة فيتنام ووضع نهاية لها"[١١٣].

كما قرر كيندي أن يكون أكثر إيجابية في سياسته الخارجية بسبب تغيير موازين القوى على المسرح الدولي، وقد عبر عن ذلك في خطابه الذي ألقاه في الجامعة الأمريكية في ١٠ حزيران عام ١٩٦٣م ، حيث أشار إلى عقم الحرب النووية، وقال في هذا الخصوص : "لا فائدة إطلاقاً من الحرب الشاملة في العصر الذي تملك فيه القوى العظمى ترسانات نووية حصينة، لا فائدة من الحرب الشاملة لان القنابل النووية الحالية تملك قوة تفجير اكبر بعشر مرات من قوة تفجير القنبلة النووية التي استخدمها الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ... لا فائدة من الحرب الشاملة لأن الغازات السامة يمكن أن تنتقل عبر الهواء والماء والتراب إلى مناطق العالم المختلفة"[١١٤].

هكذا وقف كيندى في خطابه ضد كثير من العقائد السياسية في أمريكا، حيث أكد أتباع الحرب الباردة أن التوصل إلى سلام مع الشيوعيين أمر شبه مستحيل، وانه لا مفر للعالم من حرب عالمية ثالثة. وقد وصف كيندى هذه الأفكار بأنها مدمره وخطيرة وقال: "دعونا ننظر من جديد في علاقاتنا مع العالم"[١١٥]. ولهذا خصص معظم خطابه للحديث عن مبدأ التعايش السلمي. إلا أن الواقعية التي تميز بها خطاب الرئيس كيندى في الجامعة الأمريكية لم ترق للدوائر الأمريكية الحاكمة. وأصبح جون كيندى هدفاً من أهداف الرجعية الأمريكية. ونتيجة لذلك أصبح عدم رضا البنتاغون ووكالة المخابرات الأمريكية عن تصرفات الرئيس المعتدلة واضحاً.

---

[١١٣] امبراطورية الشر الجديدة – عبد الحي زلوم – القدس العربي ٢٠٠٣/٢/١

[١١٤] الارتقاء إلى العالمية (السياسة الخارجية الامريكية منذ ١٩٣٨)– ستيفن امبروز– ترجمة نادية الحسيني– مراجعة ودودة بدران– ص ٢٥٢– المكتبة الاكاديمية– ط١ ١٩٩٤

[١١٥] الإخوة كيندى – أزغروميكو. ترجمة ماجد علاء الدين – شحادة عبد المجيد ص٢١٩

ولكن الرئيس كيندى كان قد قرر السير قدماً في سياسة التعايش السلمي، وأعطى أوامره للوفد الأمريكي للتوجه إلى موسكو لتوقيع اتفاقية منع التجارب النووية في الفضاء وتحت الماء.

وفعلاً تم في موسكو في ٥ آب ١٩٦٣م توقيع المعاهدة .. حيث أدى ذلك إلى تلطيف الأجواء الدولية من ناحية، وتعقيد الوضع الداخلي من الناحية الأخرى. فلم يعد الرجعيون الأمريكيون يقفون ضد الرئيس كيندى بالكلام فقط، بل بدءوا يهاجمونه علانية بعد توقيع الاتفاقية الأمريكية السوفيتية، ووصفت الصحف الأمريكية توقيع الاتفاقية مع السوفيث إنها (كارثة قومية) .. وتم وصف كل من (جون كيندى ومكنماروا) وحتى (دين راسك) بأنهم شيوعيون، يعملون بشكل سرى في أمريكا. وطالبت مجلة (امريكن ابينسيون) في شهر تشرين الثاني عام ١٩٦٣م بالتخلص من الرئيس (جون كيندى) وإتباعه. ولكن كيندى استطاع التصدي لهذه الحملات، حتى آخر يوم في حياته، واعلن ان توقيع اتفاقية منع التجارب النووية مع السوفيث هي اكبر نجاح له على المسرح الدولي.

وبالرغم من معارضة القوى الانجلوسكسونية المتطرفة للمعاهدة، فقد كان التأييد الشعبي لها كبيراً، حيث دخلت معاهدة منع التجارب النووية مع السوفيث قلب الشعب الأمريكي، وبعثت الطبقات الأمريكية البسيطة بآلاف الرسائل إلى الكونغرس الأمريكي، وطالبته بتأييد نص المعاهدة واقرارها .. حيث صادق عليها أعضاء مجلس الشيوخ لكي يضمنوا النجاح في الانتخابات الرئاسية التي ستجرى في عام ١٩٦٤[١١٦].

بالإضافة إلى مواقف كيندى السلمية في السياسة الخارجية، فإن مواقفه الاقتصادية والداخلية لم ترضي أصحاب رؤوس الأموال والعنصريين الأمريكيين، "حيث أن كيندي لم يكن راضياً عن الكم الهائل من الدولارات التي تهجر الولايات المتحدة لتستقر في أوروبا مع أرباحها. وبدأ كينيدي بالإعداد لفرض ضريبة علي تلك الرساميل حتي يلزمها بالعودة إلي ديارها. وفي رسالة وجهها إلي الكونغرس في ١٩٦٣/٦/١٨م، اقترح كينيدي فرض ضريبة تكافؤ معدلات الفائدة علي الأموال الموجودة في الخارج وذلك لتشجيع تصدير المنتجات المصنعة بدلاً من تصدير الدولارات. ولكن كينيدي لم يعش حتى يشاهد ذلك بعينه. ومن الواضح أنه كان لكينيدي مفهوم خاص به عن أمريكا التي يريدها، وهو مفهوم مختلف عن الرؤية الجديدة لأمريكا كعجلة قيادة رئيسة للبارونات الانكلو . سكسونيين متعددي الجنسيات"[١١٧].

نهاية كنيدي

([١١٦]) الإخوة كيندى – أزغروميكو. ترجمة ماجد علاء الدين – شحادة عبد المجيد ص٢٢٠.٢٢٢

([١١٧]) إمبراطورية الشر الجديدة – عبد الحي زلوم – القدس العربي . ٢٠٠٣/٢/١

اتسمت سنوات حكم كينيدي بسلسلة من الأحداث التي تسبب الحيرة والدوار، بعضها كان للرئيس نفسه يد في نشأتها، ولكن كثيراً غيرها ما كان بإمكانه أن يتنبأ بها، وجاءت ردة فعله باعتباره لاعبا رئيساً في لعبة السياسة الداخلية والدولية المحفوفة بالمخاطر. وفي كل هذه الأزمات، سواء كانت غزو كوبا الكارثي أم ازدياد زخم حركة الحقوق المدنية الأميركية، أم الاجتماع برئيس وزراء الاتحاد السوفيتي خروتشوف في قمة فيينا، أو التورط العسكري الأميركي في فيتنام، أو أزمة الصواريخ الكوبية، أو توقيع معاهدة حظر التجارب النووية، كان كينيدي يخرج منها، كذلك السياسي والزعيم الذكي الهادئ الأعصاب دائم البحث والاستفسار، الذي يعتبر مثالا لعصره، والساعي دوما وراء سبل إزالة التوترات، وحل الأزمات الناجمة عن الحرب الباردة والصحوة العاصفة للروح الأخلاقية على يد (مارتن لوثر كينغ الابن) وأمثاله، لأمة عانت كثيرا من الفصل والتمييز العنصري"[١١٨].

ولكن هذه المواقف للرئيس كيندي وغيرها لم ترق للقوى الانجلوسكسونية البروتستانتية المتطرفة، والتي بدأت تشعر أن هذا الكاثوليكى يهدد مصالحهم ويهدد القيم التي بنوا على أساسها سلطتهم، ولهذا قرروا التخلص منه، حيث أثارت تصريحاته حول ضرورة وضع قانون مدني جديد غضب العنصريين الأمريكيين، وقام العنصريون في الولايات الجنوبية بتهديد الرئيس أكثر من مرة، حيث ألقى قسم المخابرات المكلف بحماية الرئيس القبض على ٤٣ مجموعة، خططت لاغتيال جون كيندي في ولاية تكساس لوحدها. وفى ١٩ تشرين أول عام ١٩٦٣م تلقى الرئيس (كيندى)، إشارة خطره جداً، فقد تلقى السكرتير الحكومي المسؤول عن المطبوعات الأمريكية (بير سيلندرجر) رسالة من أحد سكان دالاس موجهة إلى الرئيس كيندى، حيث كتب المجهول في رسالته: "لا تدعو الرئيس كيندى يأتي إلى ولاية تكساس، أنا خائف عليه، وأظن أنه سيلاقى حتفه في حالة قدومه إلى هنا. ولكن (سيلندجر) لم يسلم الرسالة إلى الرئيس كيندي لأنه لم يهتم بها، وظن إنها دعابة لا أكثر، هذا بالرغم من أنه كان لدى الجميع مجال للظن بأن الرئيس كيندي قد شعر في أعماقه بهواجس القلق عند زيارته لقلعة العنصريين الأمريكيين، حيث لم يشغل هذا الظن الرئيس كيندي لوحدة بل شغل جاكلين زوجة الرئيس وأصدقائه"[١١٩].

وفى يوم ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٣م تحولت الدعابة إلى حقيقة والقلق إلى يقين، عندما أطلق مجهول النار على الرئيس كيندي في أحد شوارع دالاس .... واضعاً الحد لحياة أول رئيس أمريكي كاثوليكي أراد أن يرى عالم أكثر سلماً وعدلاً واستقراراً .. وهذا لا يرضي تجار الحروب والعنصريين من البارونات الانجلوسكسون الذين نفذوا الجريمة واخفوا أدواتها بسرعة هائلة،

([١١٨]) الرئيس كينيدي.. ملامح القوة. ريتشارد ريفز . عرض/ كامبردج بوك ريفيوز

([١١٩]) الاخوة كيندى . أزغروميكو. ترجمة ماجد علاء الدين – شحادة عبد المجيد ص٢٢٥

وأسدلوا عليها ستار من الصمت والغموض، بالرغم من أن الناس أخذوا يتساءلون منذ الساعة الأولى لاغتيال الرئيس: من الذي قتله ؟ ولماذا ولكنهم لم يجدوا جواباً قاطعاً عن هذا السؤال حتى يومنا الحاضر !! فقد اختفت أطراف الجريمة في الماء، وتم إعدام المدعو (لي هاربي اسفالد) بالرصاص فوراً. أما المتهم الثاني جيوم روبى فقد مات في السجن.

وبالرغم من أن مكتب التحقيقات الفيدرالي (أف . بي . أي) خلص في التحقيق الذي أجراه عام ١٩٦٤م إلى أن لي (هارفي اوزوالد) اغتال كينيدي وحدة من دون تورط أي جهة أخرى معه، إلا ان ذلك لم يمنع ظهور نظريات لا حصر لها لتفسير (المؤامرة) الكامنة وراء اغتيال كيندي . وفي آخر هذه النظريات "يتهم (بار مكليلان) . والد المتحدث الحالي باسم البيت الأبيض . في كتاب صدر حديثاً، الرئيس الأمريكي الراحل ليندون جونسون بالوقوف وراء اغتيال الرئيس جون كيندي، ويعرض (مكليلان الأب) ، في نحو ٤٨٠ صفحة في كتابه الذي صدر بعنوان (الدم .. المال .. السلطة): كيف قتل جونسون، كيندي ؟. تفاصيل ومقابلات خاصة وصور بصمات تثبت أن (ادوارد كلارك) سفير أمريكا السابق في استراليا، وهو من اخلص أعوان جونسون، وضع خطة اغتيال كينيدي عام ١٩٦٣م وتستر عليها"[١٢٠].

وسواء كانت هذه الرواية صحيحة أم لا، فإن القارئ يبقى في حيرة من أمره، فيتساءل عن سبب توتر العلاقة بين الأخوين كينيدي من ناحية، ووكالة الاستخبارات المركزية الأميركية (CIA) ومكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI)، من ناحية أخرى خصوصاً أن جون كينيدي كان مفتونا باستخدام الأساليب الإستخباراتية في سبيل خدمة المصلحة القومية[١٢١]، ويظل السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو: كيف ارتكبت المخابرات السرية الأمريكية كل هذه الأخطاء التي أدت إلى مقتل الرئيس كينيدى؟ وان الأمريكي الوحيد الذي اتهم بقتل الرئيس تم إعدامه فوراً وعلى مرأى الجميع دون أن يأخذوا منه أية معلومات؟[١٢٢].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تكررت مآساة (كيندى) مع أخيه روبرت كيندى، الذي اعتقد أن بإمكان كاثوليكي آخر الطموح للوصول إلى منصب الرئاسة، فوقع ضحية هذا الاعتقاد وتم اغتياله في ظروف غامضة وألصقت تهمة جريمة الاغتيال بالفلسطيني (سرحان بشارة)، وأسدل ستار من الصمت عن المخطط الحقيقي لهذه الجرائم، والتي نؤكد أنها ليست بعيده عن دوائر المخابرات الأمريكية والجماعات المتطرفة البروتستانتية، التي عندها استعداد للقتال حتى الموت من أجل إبقاء السيطرة الانجلوسكسونية البروتستانتية على مقاليد الأمور في أمريكا.

---

(١٢٠) جريدة الخليج الإماراتية –٢٠٠٣.٨.٢٢. عدد ٨٨٦٠

(١٢١) الرئيس كينيدي.. ملامح القوة . ريتشارد ريفز . عرض/ كامبردج بوك ريفيوز– الجزيرة نت

(١٢٢) الإخوة كيندى – أزغروميكو. ترجمة ماجد علاء الدين – شحادة عبد المجيد ص٢٢٨

ليندون جونسون

بعد أن اغتال المتطرفون البروتستانت الرئيس كنيدي ببضع ساعات، أدى ليندون جونسون القسم خلفاً له أثناء تحليقه على متن طائرة سلاح الجو المخصصة للرئيس الأمريكي، وتولي هذا السياسي الانتهازي، مقاليد الأمور، وعاكس السياسات المالية والسياسة التي كان قد تبناها كينيدي، حيث أبقي الوضع كما هو عليه بالنسبة للفوائد علي الأموال المهاجرة، وعمل علي تصعيد وتيرة حرب فيتنام[١٢٣]. كما لم يستمر الموقف المعتدل للسياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية، طويلاً، حيث أعادها جونسون إلى سابق عهدها، ولم يتوان عن تقديم كافة أنواع الدعم الاقتصادي والسياسي والعسكري لإسرائيل، حيث كان يقول: أنا مستعد للدفاع عن إسرائيل تماما كما يدافع جنودنا عن فيتنام.

وفي عهده حصلت إسرائيل على صفقات كبيرة من الأسلحة الهجومية، والمعدات اللازمة للحرب الإلكترونية، والتي تمكنت إسرائيل . بفضلها . من هزيمة الجيوش العربية في عام ١٩٦٧م والاستيلاء على أراضٍ شاسعة تفوق مساحتها، مساحة إسرائيل عدة مرات. أما السبب الذي دفع جونسون للقيام بذلك فيوضحه (وليم. بالكوانت) بقوله: "إن عواطفه الشخصية تجاه إسرائيل كانت تبدو راسخة بالمحبة والإعجاب، وتشير الظواهر كلها إلى أنه كان فعلاً يحب إسرائيل والإسرائيليين الذين تعامل معهم. كما عرف أقرب مستشاريه بصداقتهم لإسرائيل، إضافة إلى أن اتصالاته المباشرة مع الجالية اليهودية الأمريكية كانت حميمة خلال مسيرة حياته"[١٢٤]. وهناك تصريح لجونسون، أدلى به في سبتمبر ١٩٦٨م أمام جمعية بنات برث (أبناء العهد) ربما يلقى الضوء على أثر الأفكار والنبوءات التوراتية على سياسته تجاه الصراع العربي الإسرائيلي حيث قال فيه : "إن بعضكم، إن لم يكن كلكم، لديكم روابط عميقة بأرض إسرائيل، مثلى تماماً، لأن إيماني المسيحي ينبع منكم، وقصص التوراة منقوشة في ذاكرتي، تماماً مثل قصص الكفاح البطولي ليهود العصر الحديث، من أجل الخلاص من القهر والاضطهاد"[١٢٥].

مستقبل إسرائيل والعالم ؟!

عندما عبر الرئيس (جونسون) عن قناعاته الدينية التي تدفعه لدعم إسرائيل، فإنه لم يكن الوحيد الذي ينظر إلى الصراع العربي الإسرائيلي هذه النظرة الدينية، بل إنه كان يعبر عن وجهة نظر عامة سادت الأوساط الشعبية البروتستانتية المتدينة في أمريكيا، وبالذات بعد الانتصار الإسرائيلي في حرب ١٩٦٧م، حيث ساهم هذا الانتصار إلى حد كبير في تزايد التيار المسيحي

---

(١٢٣) إمبراطورية الشر الجديدة – عبد الحي زلوم – القدس العربي ٢٠٠٣/٢/١م

(١٢٤) عقد من القرارات . وليم كوانت . ترجمة عبد الكريم ناصيف . ص٦٧. ٦٨

(١٢٥) الولايات المتحدة وإسرائيل . برنارد ريتش . ترجمة مصطفى كمال . ص ١٧٩

البروتستانتي المؤيد لإسرائيل، باعتبار أن ما حدث على أرض فلسطين ما هو إلا تحقيق لنبوءات توراتية ولمشيئة إلهية. فقد أثار انتصار إسرائيل السريع خلال حرب الستة أيام في العام ١٩٦٧م وغزو مجمل أراضى القدس حماسة عارمة لدى (الاعفائيين) الموقوفين على نظريات داربي، وكان (نلسون بل) ناشر (كريستيانيتي توداي) وحماه المبشر الشهير (بيلى غراهام) قد كتب: "أن تقع القدس بين يدي اليهود للمرة الأولى منذ أكثر من ألفي عام يثير القشعريرة عند كل من يقرأ الكتاب المقدس ويشعره بإيمان يتجدد في صحة وشرعية الكتاب"[١٢٦].

ولهذا لم يكن من المستغرب أن نجد عناوين الكتب والمقالات التي نشرت في أمريكيا وبعض الدول الأوربية، في أعقاب حرب ١٩٦٧م من هذا الطراز الديني المستمد من النصوص التوراتية، مثل (وانتصروا في اليوم السابع)، (حرب إسرائيل المقدسة)، (عملية السيف البتار)، (داوود وجوليات)، (أضربي يا صهيون) وغيرها من العناوين. وضمن الإطار نفسه، قامت بعض الجماعات الدينية المسيحية، بتوزيع منشورات وكراسات بعناوين مثل، (مستقبل إسرائيل والعالم) و (الخطط المقدسة للتاريخ)، حاولت فيها إظهار انتصار إسرائيل في عام ١٩٦٧، وكأنه ينبثق عن الإرادة الإلهية، إذ تبر بوعدها لشعب الله المختار، وتقوم باستباق الأحداث لتجعلها مطابقة لما جاء في النصوص الدينية، ونبوءات العهد القديم من الكتاب المقدس.

وقد نشرت صحيفة الأنوار اللبنانية، صورة لمنشور (مستقبل إسرائيل والعالم) في صفحتها الأولى في ١٠ نيسان ١٩٦٨م. وهذه مقتطفات مما جاء في هذا المنشور: "إن العهد القديم من الكتاب المقدس لم يتنبأ بالأزمة التي نشهدها في الشرق الأوسط فحسب، بل تنبأ بالانتصارات الإسرائيلية واحتلال القدس... وحتى توقيت هذه الأحداث في حد ذاته . لقد تنبأت نصوص الكتاب المقدس بمساحة أكبر من المساحة الواقعة بأيدي إسرائيل في شباط فبراي ـ ١٩٦٨م ، فالنص الوارد في سفر التكوين (١٥:١٨) يوضح المسألة باختصار على أساس وعد أله إسرائيل بالأرض الممتدة من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات"[١٢٧]. غير أن الكثيرين يتساءلون عن صحة هذه النبوءات، ويزعم البعض الآخر، أن الأساس التوراتى لمزاعم إسرائيل الأرضية لا علاقة له بالموضوع ... وأن الواقع المعاصر هو الذي يقوم بتعيين حدود الشرق الأوسط. ومع ذلك فإن النصوص المقدسة برهنت على صحتها فيما يتعلق بالأحداث حتى الآن، مما يقوى الحجة لصحتها فيما يتعلق بالأحداث المستقبلية أيضاً"[١٢٨]. وواضح من مضمون المنشور السابق أنه يفسر الأحداث الحاضرة والمستقبلية، التي جرت وستجرى في منطقة الشرق الأوسط،

---

(١٢٦) عالم بوش السري . اريك لوران . ترجمة سوزان قازان ص٩٥

(١٢٧) إسرائيل الكبرى . د. أسعد رزوق . ص ٦٠٥ .

(١٢٨) صحيفة الأنوار اللبنانية– ١٠ نيسان ١٩٦٨ – العدد ٢٦٧٧ .

على أسس دينية صرفه وكأنها ليس إلا تحقيقاً لوعود ونبوءات توراتية . وهذا أمر خطير جداً كما سيتضح لنا فيما بعد.

ريتشارد نيكسون والانتحار السياسي

"تطورت العلاقة الخاصة بين أميركا وإسرائيل بشكل مثير، وفي كل مرة تغذت من مبدأ هذا الرئيس الأميركي أو ذاك في تعامله مع المنطقة. فمع (مبدأ ترومان) في احتواء النفوذ السوفياتي، وكذا مع (مبدأ أيزنهاور) في مساعدة دول المنطقة مادياً وعسكرياً لوقف الامتداد الشيوعي، تبوأت إسرائيل موقعاً أساسياً في المواجهة واندفعت إلى حمل الراية الأميركية. لكن الاحتفاء الإستراتيجي الكاسح بإسرائيل كان عليه أن ينتظر (مبدأ نيكسون) ووزير خارجيته ومستشاره للأمن القومي (هنري كيسنجر)، كي يبدأ مشوار التحالف الوثيق المقدم على أي حساب آخر. إذ اعتبر (مبدأ نيكسون) أن إسرائيل هي حجر الزاوية في السياسة الأميركية في المنطقة، والوكيل المخلص الذي يمكن الاعتماد عليه وحده في اللحظات الحرجة"[١٢٩]. أما لماذا حدث هذا الاحتفاء الاستراتيجي الأمريكي بإسرائيل في عهد نيكسون، واحتلت إسرائيل حجر الزاوية في السياسة الأمريكية في المنطقة، فإن ذلك كان نتيجة للانتصار الإسرائيلي على الجيوش العربية في عام ١٩٦٧م، حيث ساهم ذلك في تحرير الإدارة الأمريكية . جزئياً- من الضغوط التي كانت تفرضها عليها ظروف الحرب الباردة، بالإضافة إلى ذلك ساهم هذا الانتصار في تنامي المشاعر الدينية المؤيدة لإسرائيل باعتباره تحقيق لنبوءة توراتية.

في هذا الجو تولى ريتشارد نيكسون الرئاسة، حيث لم يتوان عن تقديم كافة أنواع الدعم الاقتصادي والعسكري والسياسي لإسرائيل، وذلك استجابة لرغبة الرأي العام المتدين من ناحية، وإرضاءً لقناعاته الدينية من الناحية الأخرى. يقول *ريتشارد نيكسون* :«إن الله مع أمريكا، إن الله يريد أن تقود أمريكا العالم»[١٣٠] ولهذا كان نيكسون من المتأثرين بالأفكار والنبوءات التوراتية، وكانت تربطه علاقات حميمة مع بعض رجال الدين المسيحيين المعروفين بتأييدهم لإسرائيل، حيث انعكس ذلك علي نظرته لإسرائيل. فعندما زارت (جولدا مئير) الولايات المتحدة عام ١٩٦٩م وصفها (نيسكون) بأنها (دبورة التوراتية) تم راح يغمرها بعبارات المديح لما حققته من ازدهار في إسرائيل. (ودبوره) هي إحدى الشخصيات الجليلة لدى اليهود يصفها (سفر القضاة) بأنها: (نبيه ... قاضية إسرائيل) تم يمضى في تعداد مآثرها وشجاعتها في قيادة الإسرائيليين

([١٢٩]) الوسيط الخادع.. دور الولايات المتحدة في إسرائيل وفلسطين المؤلف: نصير عاروري الطبعة: الأولى ٢٠٠٣. كامبردج بوك ريفيوز

[١٣٠] أمريكا المستبدة الولايات المتحدة وسياسة السيطرة على العالم «العولمة»- ميشيل بيغنون -ترجمة: الدكتور حامد فرزات ص ١٩٦- من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق – ٢٠٠١

والانتصار على ملك كنعان، ويروى على لسانها هذه الكلمات: "خذل الحكام في إسرائيل، خذلوا حتى قمت أنا دبوره . قمت أماً في إسرائيل"[١٣١].

وقد وصل تعاطف نيكسون مع إسرائيل إلى الحد الذي جعله يقول: "إن استعداده للقيام بالانتحار السياسي، أكثر من استعداده لإلحاق الضرر بإسرائيل"[١٣٢]. ولم يكن موقف نيكسون هذا نابع من حرصه على الصوت الانتخابي اليهودي، أو غيرها من الأمور التي نسمع عنها. فاليهود لم يعطوه أكثر من ١٧% من أصواتهم الانتخابية في عام ١٩٦٨م، وبالرغم من ذلك كان دعمه المستمر لإسرائيل.

ولو إستمررنا في تتبع سياسات الرؤساء الأمريكيين تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، فإننا سنجد على الدوام، أن خلفياتهم الدينية لعبت دوراً حاسماً في تشكيل سياستهم المنحازة لإسرائيل، وهنا يقول (برنارد ريتش) في كتابه . الولايات المتحدة وإسرائيل: "إن القادة السياسيين في أمريكيا وخاصة الرؤساء منهم، كانوا ولا يزالون يتبنون وجهة النظر الدينية المؤازرة لإسرائيل، سواء (ويلسون) (وترومان) اللذان يعترفان بالتأثير الديني على قراراتهما، أو ليندون جونسون، الذي ينسب إليه قول مشهور أدلى به في اجتماع لجمعية بنات برث . أبناء العهد . في سبتمبر ١٩٦٨م"[١٣٣]. ويعلق كاتب آخر فيقول: "إن علاقة الرؤساء الأمريكيين بإسرائيل يصدق عليها قول الكاتب اليهودي الأمريكي (جون بيتى)، الذي قال: إن الرؤساء الأمريكيين ومعاونيهم ينحنون أمام الصهيونية كما ينحني المؤمن أمام قبر مقدس"[١٣٤].

فقد حبا الله الولايات المتحدة برؤساء مؤمنين بالمسيحية المشوبة بتعاليم التوراة مثل جون آدامز وتوماس جيفرسون كوينسي آدامز وجون تايلر وجيمس بولوك ووليم تافت وودرو ولسون وكالفن كولدج وهاري ترومان وجيمي كاتر ورونالد ريغان، وكلها أسماء لامعة في الخطابين السياسي والديني دون تمييز، ولعل الرؤساء الأقرب إلى سردنا التاريخي هما جيمي كارتر المؤمن بعقيدة الولادة الثانية كمسيحي، ورونالد ريغان المؤمن بنفس العقيدة التي تقول بالرجعة الثانية.

جيمي كارتر ينفذ أمراً إلهياً

في النصف الثاني من السبعينيات وصل إلى الرئاسة الأمريكية، (جيمي كارتر)، الذي قام بجهد غير عادى لدعم إسرائيل، تم تتويجه بتوقيع أول معاهدة سلام مع دولة عربية وهى مصر، حيث وصف (سايروس فانس) وزير الخارجية الأمريكي آنذاك، سياسة كارتر تجاه الشرق

---

(١٣١) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية – روجيه جارودى . تقديم محمد حسنين هيكل– ص ٢٦٢ – دار الشروق– ط١ ١٩٩٨

(١٣٢) الولايات المتحدة والدول العربية . ا. ا. اوسييوف . ترجمة محمود شفيق الشعبان . ص ١٩ .

(١٣٣) الولايات المتحدة وإسرائيل . برنارد ريتش . ترجمة مصطفى كمال . ص ١٧٨

(١٣٤) التحدي الصهيوني . جاك دومال وماري لوروا، . ترجمة نزيه الحكيم – . ص ٥٨– دار المعلم للملايين، دار الآداب، ط أيار، ١٩٦٩

الأوسط، فقال: "لم يكن محلاً للسؤال أن حجر الأساس في سياسة كارتر حيال الشرق الأوسط، سيبقى هو التزامنا بأمن إسرائيل"[١٣٥]. ويؤكد بريجنسكي . مستشار الرئيس (جيمي كارتر) لشؤون الأمن القومي ذلك بقوله: "إن العلاقة الأمريكية . الإسرائيلية هي علاقة حميمة مبنية على التراث التاريخي و الروحي"[١٣٦]. كما عبر كارتر نفسه عن العلاقة الأمريكية الإسرائيلية خلال مؤتمر صحفي في عام ١٩٧٧م، فقال: "إن لنا علاقة خاصة مع إسرائيل، وإنه من المهم للغاية أنه لا يوجد أحد في بلادنا، أو في العالم أصبح ، يشك في أن التزامنا الأول في الشرق الأوسط إنما هو حماية إسرائيل في الوجود ... الوجود إلى الأبد، والوجود بسلام، إنها بالفعل علاقة خاصة"[١٣٧].

ولكن ما هي طبيعة هذه العلاقة الخاصة التي يتحدث عنها الرئيس كارتر؟ إنها بالتأكيد ليست علاقة مبنية على المصالح المشتركة، لأن المصالح تتغير من فترة إلى فترة، وليس لها طابع الدوام إلى الأبد. إن هناك أمر آخر هو الذي جعل هذه العلاقة خاصة والالتزام نحوها أبدياً، كما جاء في تصريح كارتر السابق. وقد وضح الرئيس كارتر هذا الأمر بنفسه في تصريح له أمام الكنيست الإسرائيلي في مارس ١٩٧٩م حيث قال: "إن علاقة أمريكيا بإسرائيل أكثر من علاقة خاصة، لقد كانت ولا زالت علاقة فريدة لا يمكن تقويضها لأنها متأصلة في وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكي نفسه، وكما إن الولايات المتحدة وإسرائيل أقامهما رواد مهاجرون فإننا نتقاسم معكم تراث التوراة أيضاً" ... "وفى احتفال أقامته على شرفه جامعة تل أبيب، وضح كارتر الأمر أكثر فقال: "إنه كمسيحي مؤمن بالله، يؤمن أيضاً بأن هناك أمراً إلهياً بإنشاء دولة إسرائيل"[١٣٨].

فكارتر هنا ينفذ أمر المشيئة الإلهية بحذافيرها عندما يدعم إسرائيل، وكيف لا؟ وهو المسيحي المؤمن الملتزم بالصلاة في الكنيسة كل أحد، والذي كان عضواً في أكبر كنائس بلدته وأكترها جاهاً، وكان معلماً وشماساً في مدرسة الأحد، ويساهم كل عام في أسبوع لإيقاظ الروح الدينية في المجتمع"[١٣٩]. فخلفية كارتر الدينية الصارمة، بوصفه أحد أتباع الكنيسة المعمدانية المعروفة بدعمها لإسرائيل، انطلاقا من إيمانها الشديد بكل ما جاء في العهد القديم من نبوءات وأخبار تاريخية، هي التي رسمت سياسته تجاه إسرائيل. لهذا كان كارتر أكثر وضوحاً من غيره، في التعبير عن (البعد الديني) في السياسة الأمريكية إزاء الصراع العربي الإسرائيلي حيث قال في

---

(١٣٥) خيارات صعبة . مذكرات سايروس فانس . ص ٩ -المركز العربى للمعلومات، ١٩٨٤

(١٣٦) نقد المفهوم التقليدي عن العلمانية – محمود سلطان – ص٥١– القاهرة ١٩٩٨

(١٣٧) الولايات المتحدة وإسرائيل . برنارد ريتش . ص ١٧٩

(١٣٨) مجلة المستقبل . عدد ٧٣٣ . السنة الرابعة . تاريخ ١٩٨٣.٣.١٦

(١٣٩) لماذا ننشد الأفضل . جيمى كارتر . ص ٢١٨ : ٢١٩

خطاب ألقاه في الأول من مايو عام ١٩٧٨م: "إن دولة إسرائيل هي أولاً وقبل كل شيء عودة إلى الأرض التوراتية، التي أخرج منها اليهود منذ مئات السنين ... إن إنشاء دولة إسرائيل هو إنجاز النبوءة التوراتية وجوهرها". واعترف في خطابه نفسه أن عليه "التزاماً كاملاً ومطلقاً نحوها كإنسان وكأمريكي وكشخص متدين".

وعندما استقبل (جيمي كارتر) في البيت الأبيض رئيس الوزراء الإسرائيلي (مناحيم بيغن) وعده أن الولايات المتحدة ستدعم إسرائيل إلى الأبد ، وقال في خطبة له: "إنه منذ تدمير القدس في العام ٧م استمر اليهود في الصلاة ليكون عامهم القادم في القدس، وأنهم عادوا أخيرا إلى ارض التوراة بعد ألفى عام من المنفى والشقاء والتمييز العنصري ضدهم"[١٤٠]. وعندما ظهر كارتر في معبد اليزابت اليهودي في نيوجرسى، وهو يرتدى رداء القضاة المخملي قال: "إنني أقدس الإله الذي تقدسونه. نحن (كمسيحيين) ندرس التوراة التي تدرسونها". واختتم كلمته بالقول: "إن الحفاظ على بقاء إسرائيل لا يدخل في نطاق السياسة، انه واجب أخلاقي"[١٤١]. وربما هذا ما دفع احد وزاءه لوصفه بانه "واعظ اكثر منه استراتيجي"[١٤٢]

ريجان ومعركة هرمجيدون !

لو انتقلنا إلى رونالد ريجان الممثل القادم من هوليود وتتبعنا سياسته اتجاه الصراع العربي الإسرائيلي، فإننا سنجد أن النظرة الدينية البحتة هي التي حكمت سياسته تجاه إسرائيل، هذا بالرغم من أنه لم يكن مديناً لليهود في إعادة انتخابه . فقد أعطوا ٦٨ % من أصواتهم الانتخابية للمرشح الديمقراطي (والتر مونديل)، الذي كان شعاره الانتخابي يقول: "إنني أفضل أن أخسر المعركة الانتخابية واليهود يدعمونني على أن أربحها بدون أصوات اليهود ودعمهم"[١٤٣]. وهنا يفسر جورج شولتز أسباب إجماع الحزبيين الديمقراطي والجمهوري على دعم إسرائيل والتعاون معها بالقول: "إن تعاوننا مع إسرائيل حقيقة ثابتة بصرف النظر عن الحزب الذي يحكم في أي من البلدين، لأن هذه العلاقة مغروسة بعمق في وجدان شعبينا وفي قيم حضارتنا"[١٤٤].

والرئيس ريجان لم يشد عن هذه القاعدة، حيث يعتبر من أكثر الرؤساء الأمريكيين تديناً وإيمانا بالنبوءات والخرافات التوراتية، وبالذات تلك المتعلقة بمعركة هرمجيدون الرهيبة، حيث صرح "بأنه كان يشعر عند خوضه الانتخابات الأمريكية بأن المسيح يأخذ بيده، وانه سوف ينجح

---

(١٤٠) المسيحية والإسلام والاستشراف – محمد فاروق الزين ص٢٧٨

(١٤١) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية – روجيه جارودى ص٢٦٤

١٤٢ معركة السلام (يوميات شمعون بيريس)– تحرير ديفيد لانداو – ترجمة : عمار فاضل و مالك فاضل – ص ٣٠٥– الاهلية للنشر والتوزيع – عمان – الطبعة الاولى ١٩٩٥

(١٤٣) اندماج . يوسف الحسن . ص ٦٧ .

(١٤٤) زعماء ودماء . ايمن ابو الروس ص٩٩

ليقود معركة (الهرمجدون) التي يعتقد أنها ستقع خلال الجيل الحالي في منطقة الشرق الأوسط"[١٤٥]. وقد عبر (رولاند ريجان) عن الأبعاد التوراتية لالتزام الولايات المتحدة الأمريكية . الأخلاقي والروحي والثراتى والأدبي . بإسرائيل بقوله، مخاطباً المدير التنفيذي للمنظمة الصهيونية (ايباك): "حينما أتطلع إلى نبوءاتكم القديمة في العهد القديم وإلى العلامات المنبئة بمعركة هرمجيدون . أي نهاية العالم . أجد نفسي متسائلاً، عما إذا كنا نحن الجيل الذي سيرى ذلك لاحقاً. ولا أدرى إذا كنت قد لاحظت مؤخراً أي من هذه النبوءات، ولكن صدقني إنها تنطبق على زماننا الذي نعيش فيه".

ويقول أيضاً: "إن نهاية العالم قادمة، ويراها الرئيس كما تفسر النظريات معركة . هرمجيدون . حينما تغزو جيوش السوفيت والعرب وآخرين دولة إسرائيل، وستباد جيوش الغزاة بواسطة قنبلة ذرية محدودة وسيموت ملايين اليهود، أما المتبقي منهم فإنه سيتم إنقاذهم بواسطة جيش المسيح، والذي سيعود إلى الأرض لمعاقبة القوى المضادة للإسرائيليين وسيقضى على قوى الشر في معركة تسمى هرمجيدون، وتقع في سهل مجدو في فلسطين، وستنتهي هذه المحنة بقبول اليهود للمسيح كمنقذ لهم، وبزوغ فجر عصر الألف عام السعيدة تحت حكم المسيح"[١٤٦]. وآراء ريجان هذه ليست الأولى من نوعها، فلها سوابق كثيرة في المكتب البيضاوي، ولكنها تعكس التصديق الواسع النطاق للنبوءات التوراتية واستخدامها لتبرير وجود إسرائيل، وسنلقى مزيد من الضوء على هذا الموضوع الخطير في الفصول التالية.

ريجان والتزامه الديني

يشير ريجان نفسه إلى عواطفه الدينية المبكرة، إذ قال في مقابلة تلفزيونية مع المبشر (جيم بيكر) عام ١٩٨٠م: "كنت محظوظاً لأن أمي غرست فيّ إيماناً عظيماً أكثر بكثير مما أدرك في ذلك الحين". وقال في تصريح علني آخر: "إن الكتاب المقدس يضم كل الإجابات على قضايا العصر، وعلى كل الأسئلة الحائرة إذا ما قرأنا وآمنا، إن الأموال التي ننفقها في محاربة المخدرات والمسكرات والأمراض الاجتماعية يمكن توفيرها لو حاولنا جميعاً أن نعيش وفق الوصايا العشر .. لقد أخبروني أنه منذ بداية الحضارة سنت ملايين القوانين، ولكنها جميعاً لم تصل إلى مستوى قانون الله في الوصايا العشر الواردة في التوراة"[١٤٧]. ويعارض ريجان بباعث من معتقده الديني مسألة الفصل بين الدين والسياسة التي يتبجح كثير من حكام المسلمين بالتغني بها، حيث يقول:

([١٤٥]) المسيخ الدجال (قراءة سياسية في اصول الديانات الكبرى . سعيد أيوب–ص ١٦٧– دار الاعتصام– ط١ ١٩٨٩

([١٤٦]) ريغان الرجل والرئيس . تأليف مجموعة من الصحفيين الأمريكيين - من سميث، هيدريك– ص ٧٨ – الدار العربية للموسوعات– ط١ ١٩٨٢.

([١٤٧]) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي/ تأليف اسماعيل الكيلاني. . ص١١– ط.٢. – بيروت، لبنان : المكتب الإسلامي، ١٩٩٤.

لا يوجد شيء اسمه الفصل بين الدين والسياسة، وأن القائلين بهذا الفصل لا يفهمون القيم التي قام عليها المجتمع الأمريكي.

والرئيس الأمريكي لم يكن يخفى توجهاته الدينية الدفينة قبل وبعد تولى الرئاسة، وهو بعد أن نجح في انتخابات الرئاسة التي جاءت به لمقعد الحكم لبس القبعة اليهودية المعروفة، وألقى خطاباً في مؤتمر يهودي، كدليل التزامه بالصهيونية وولائه المطلق لليهود. وقد أكد (جيمس ملز) في مقال نشرتها مجلة (سان ييجو ماجازين) في أغسطس (آب) ١٩٨٥م. هذه الحقائق بقوله: "إن ريجان كرئيس، أظهر التزاماً بالاضطلاع بواجباته وفقاً لإرادة الله، كما يجب أن يفعل كل مؤمن في منصب رفيع، وأن ريجان شعر بذلك الالتزام خصوصاً في سعيه إلى بناء الجبروت العسكري للولايات المتحدة وحلفائها"[١٤٨].

([١٤٨]) ريغان الرجل والرئيس . تأليف مجموعة من الصحفيين الأمريكيين . ص ١١٠ .

الفصل الخامس

تنامي التيار الديني

المسيحي الأصولي في أمريكيا

في ثمانينات القرن الماضي، صعد وتنامي التيار الصهيوني غير اليهودي، وصار يشكل أكبر وأقوى قوة متنامية مؤيدة لإسرائيل على المسرح السياسي الأمريكي. "وتمثلت الشرارة التي أشعلت السياسة الانجيلية المنظمة في أمريكيا بانتخاب جيمي كارتر لرئاسة الجمهورية عام ١٩٧٦، اذ أعلن كارتر خلال الحملة انه كان مسيحياً إنجيلياً ولد من جديد، حيث ساهمت هذه العبارة في تلقى كارتر دعماً قوياً من الناخبين الذين اعتبروا أنفسهم أيضاً (مولودين من جديد)، ودفع انتخابه مجلة نيوزويك الى تسمية عام ١٩٧٦م، عام الإنجيليين"[١٤٩]. وتأكد هذا مجددا بإعلان جيرالد فورد (المنافس في ١٩٧٦م) و(المتنافسين في ١٩٨٠م) رونالد ريجان وجون أندرسون، بإعادة مولدهم كمسيحيين، وكان هذا بمثابة إعلان عن نضج الحركة"[١٥٠].

ولما كانت عضوية الكنائس البروتستانتية المحافظة قد اتسعت خلال تلك الفترة، "فإن هذا الاتجاه، المسيحي الصهيوني نحو الشرق الأوسط، يجد من ينتصر له في منابر مختلفة متزايدة، كالكنائس والإذاعات وحتى قاعات الكونغرس، خاصة بعد أن امتد نفوذه إلى عقول وجيوب الملايين وامتلك شبكة تلفزيونية وإذاعية هائلة وبتقنية متقدمة للغاية وباستخدام الأساليب الاستعراضية الدينية في التلفزيون أو ما تسمى الآن . الكنيسة التلفزيونية أو الديانة في الأوقات المناسبة"[١٥١].

أسباب البركة في أمريكيا

عندما عقدت منظمة، ايباك الصهيونية مؤتمرها السياسي السنوي للعام ١٩٨١م، ألقى سناتور ايدواروووجر، و. جبسن، كلمه أمام المؤتمر قال فيها: "إن من أسباب تأييده الحيوي الذي لا يتغير لإسرائيل، هو دينه المسيحي". وقال: "إن المسيحيين وبخاصة الإنجيليين . هم من أفضل أصدقاء إسرائيل منذ ولادتها الجديدة عام ١٩٤٨م". وقال أيضاً: "أعتقد أن أسباب البركة

([١٤٩]) الدين والثقافة الأمريكية – جورج مارسدن – ترجمة صادق عودة ص٢٧٨

([١٥٠]) الدين والسياسة في الولايات المتحدة – ج١. مايكل كوربت . جوليا ميشتل كوربت ص١٥٥

([١٥١]) من أوراق واشنطن . يوسف الحسن . ص ١٢١ .

في أمريكيا عبر السنين، أننا أكرمنا اليهود الذين لجئوا إلى هذه البلاد، وبورك فينا لأننا دافعنا عن إسرائيل بانتظام، وبورك فينا لأننا اعترفنا بحق إسرائيل في الأرض"[١٥٢].

وهذا أيضا (جيري فالويل) زعيم منظمة الأغلبية الأخلاقية، والصديق الشخصي لمناحيم بيغن وإسحق شامير، والمحافظ الذي يحظى بأكبر قدر من الإعجاب خارج الكونغرس، يجسد الصلة المتنامية بين المسيحية الأصولية والصهيونية، حين قال في كتاب صدر عنه بعنوان (جيرى فالويل واليهود): "إن إسرائيل تحتل الآن مكان الصدارة في نبوءات الكتاب المقدس، وإني أومن أن عهد الوثنيين . يقصد العرب والمسلمين . قد ولى بسيطرة اليهود على الأرض المقدسة في عام ١٩٦٧م، أو إنه سينتهي في القريب العاجل. وأني على قناعة بأن معجزة إنشاء دولة إسرائيل في عام ١٩٤٨م كان بفضل العناية الإلهية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وإن الإله وعد مراراً في العهد القديم بأنه سيجمع الشعب اليهودي في الأرض التي وعدها إبراهيم، وأعنى بها أرض إسرائيل الآن، ولقد أوفى الإله بوعده، وإن إنشاء دولة إسرائيل لدليل ثابت على أن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب حي كريم، وستبقى دولة إسرائيل محور التاريخ. وقال أيضاً: "لا أعتقد أن في وسع أمريكيا أن تدير ظهرها لشعب إسرائيل وتبقى في عالم الوجود، والرب يتعامل مع الشعوب بقدر ما تتعامل هذه الشعوب مع اليهودي". وجيرى فالويل هذا يقوم بإنتاج برنامج ديني اسمه . ساعة من أزمان الإنجيل . يتم إذاعته من ٣٩٢ محطة تلفزيونية، ومن حوالي ٥٠٠ محطة إذاعية كل أسبوع، كما أنه يقوم بتنظيم رحلات إلى إسرائيل للمسيحيين الذين ولدوا من جديد، كما يسميهم"[١٥٣]. وتقديراً لجهوده، فقد أوعز مناحيم بيغن، بمنحه ميدالية اعترافاً بتأييده الثابت لإسرائيل، حيث تم تقليده هذه الميدالية في عام ١٩٨٠م خلال مأدبة عشاء أقيمت في نيويورك بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد الزعيم الصهيوني جابوتنسكى[١٥٤].

وإذا كان فالويل من أشهر المتحدثين بلسان المسيحيين المحافظين، أو أتباع مذهب العصمة الحرفية الذين يصل تعدادهم إلى أكثر من ٣٠ مليون أمريكي، "فإن هناك الكثير من المسيحيين البروتستانت في أمريكيا ينظرون إلى الشرق الأوسط، على الأقل من منظار الصلة الدينية بإسرائيل، ويرون في تأييدهم لها عملاً لاهوتياً، إذ ينسبون لإسرائيل دوراً بارزاً في تفسير التعاليم المسيحية. فهم يعتقدون من جهة، أن إسرائيل تستحق التأييد المسيحي، لأن وجودها هو تحقيق لنبوءات التوراة، ودليل على صدق الكتاب المقدس، ويكثرون من الاستشهاد بفقرات من العهد القديم دفاعاً عن هذا الرأي. ويدعم عدة مسيحيين إسرائيل من جهة ثانية لاعتقادهم بأن اليهود مازالوا كما كانوا زمن التوراة، شعب مختار. يقول المؤلف (جون هاجي)، وهو من اليمين

([١٥٢]) من يجرؤ على الكلام (اللوبى الصهيونى وسياسات اميركا الداخلية والخارجية) . بول فندلى– ص ٣٩٣ – شركة المطبوعات، ١٩٨٥ .

([١٥٣]) من يجرؤ على الكلام . بول فندلى . ص ٣٩٤ وما بعدها

[١٥٤] يد الله – ص ٩٦

المتطرف: "إن إسرائيل هي الأمة الوحيدة التي تكونت بأمر خالص من الله لا دور للأسباب فيه، وقد أقسم الله بعظمته أن يدافع عن القدس، مدينته المقدسة. إذا كان الله هو الذي أنشأ إسرائيل، وهو الذي يدافع عنها، فإن تلك الأمم التي تقاتلها إنما تقاتل الله"[١٥٥].

إسرائيل مفتاح أمريكيا للبقاء!

حدث في صيف ١٩٨٣م ، أن أذاع (مايك ايفانس)، قسيس بدفورد في تكساس، برنامجاً تلفزيونياً خاصاً ولمدة ساعة كاملة، بعنوان . إسرائيل مفتاح أمريكيا للبقاء . حيث استغله ليصف الدور الحاسم الذي تلعبه إسرائيل في مصير الولايات المتحدة، السياسي والروحي، وأدعى بأن تخلى إسرائيل عن الضفة الغربية وغيرها من الأراضي المحتلة بعد حرب ١٩٦٧م، سوف يجر إلى دمار إسرائيل ومن بعدها الولايات المتحدة، وختم (ايفانس) برنامجه بنداء وجهه للمسيحيين، يناشدهم فيه بتوقيع، بيان البركة لإسرائيل، وقال إن هذا البيان مهم بنوع خاص لأن الحرب مقبلة . يقصد معركة هرمجيدون . وعلينا أن نطلع رئيسنا . ريجان . ورئيس الوزراء . بيغن . على شعورنا نحن الأمريكيين نحو إسرائيل. وعن سبب إنتاجه لهذا البرنامج الذي أذيع فيما لا يقل عن ٢٥ ولاية أمريكية، قال ايفانس: "إن الرب أمرني بوضوح بإنتاج هذا البرنامج الخاص بدولة إسرائيل"[١٥٦]. وفى سنة ١٩٨٤م جمع ايفانس توقيعات مليون مسيحي لالتماس دولي بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، وفى مجلدين مماثلين حمل ايفانس التوقيعات إلى إسرائيل وقدمها إلى شامير رئيس الوزراء. وكتب ايفانس وقتها يقول: "إن عيني شامير اغرورقتا بالدموع، وقال: إن أولئك المسيحيين يحبوننا حباً عظيماً"[١٥٧]!

أمريكيا قوية لأنها تقف مع إسرائيل !

يعلن كثير من رجال الدين البروتستانت في أمريكيا، أمثال (جيم بيكر) (وكينت كوبلان) (وجيمى سواجارت) وغيرهم، من خلال الإذاعات ومحطات التلفزيون، عن تأييدهم لإسرائيل، استناداً لما ورد في الكتاب المقدس. فبناء على الفقرة الواردة في سفر التكوين (أبارك مباركيك ولاعنك ألعنه) تكوين (١٢: ٣) يرى الأصوليون ضرورة تأييد إسرائيل (الحديثة) إلى الأبد، حيث يعتقدون أن أي معارضة لمطلب صهيوني أيا كان الطلب ليست معارضة لدولة إسرائيل، بل هي ضد الرب نفسه، ومعنى هذا تزويد إسرائيل بموافقة مطلقة على العدوان

([١٥٥]) الجذور الإنجيلية للأحادية الأمريكية اليمين المسيحي وكيفية مواجهته – دوان أولدفيد – مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية

([١٥٦]) البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني – يوسف الحسن ص١٢٢،١٢٤

([١٥٧]) من يجرؤ على الكلام . بول فندلى . ٣٩٥ .

العسكري على أي بلد عربي. فهذا جيمى سواجارت[١٥٨]، الذي يعتبر من أشهر رجال الدين المسيحي في أمريكيا، يتحدث أكثر ويعمل أكثر لصالح إسرائيل، على أسس توراتية .... حيث يعتبر قيام إسرائيل ضرورة لاهوتية للعودة الثانية للمسيح. ويكشف سواجارت في برامجه ومنشوراته الكنسية عن صهيونيته التوراتية، حيث يقول: "إن أمريكيا مرتبطة بحبل ميلاد سرى مع إسرائيل، وإن الله يبارك الذين يباركون إسرائيل ويلعن لاعنيها... إن أمريكيا قوية لأنها تقف مع إسرائيل"[١٥٩]. وفي تجمع حديث للائتلاف المسيحي، ادعى متحدث بأن هجمات ١١ أيلول، كانت عقوبة إلهية لعدم فعالية الدعم الأمريكي لإسرائيل[١٦٠].

وفي مقابل هذه النظرة المؤيدة والمنحازة بالكامل لإسرائيل يجب الا تدهشنا نظرة هؤلاء البروتستانت الانجلوسكسون للعرب، فطبقا لتشرشل (الذي يمجده العرب) فالعرب ليسوا أكثر من قوم متخلفون يأكلون روث الجمال، بينما طالب لورنس اوليفانت (١٨٢٩ . ١٨٨٨م) بطرد العرب مثل الهنود الحمر لأنهم غير جديرين بأي معاملة إنسانيه[١٦١]. ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن الأصوليين المسيحيين أكثر جرأة في الطعن في الإسلام، وجرح مشاعر المسلمين، من حلفائهم اليهود. كما تدل عليه تصريحات (فرانك غراهام) و(بات روبرتسون) و(جيري فالويل) حول الإسلام خلال العام المنصرم. وقد لاحظت الكاتبة الأميركية جريس هاسيل "أن الأصوليين المسيحيين في أميركا مستعدون لتقبل نقد موجه لفرنسا أو إنجلترا، أو ألمانيا، أو إيطاليا، أو الولايات المتحدة، أو أي بلد آخر في العالم، لأن ذلك شأن سياسي، أما نقد إسرائيل فهو يساوي عندهم نقد الرب ذاته"، حسب تعبيرها[١٦٢].

القول مقرون بالعمل

لا يجب أن نعتقد أن هذا التيار الديني المسيحي في الولايات المتحدة الأمريكية، يكتفي فقط بإلقاء الخطب الرنانة وتوقيع بيانات التأييد لإسرائيل، "بل أنه يمارس ضغوطاً هائلة على صناع القرار في أمريكيا من أجل دعم أكبر لإسرائيل، ويكون حاضراً في أي نقاش، أو آي قضية تكون إسرائيل طرفاً فيها، سواء في الصحافة أو الإذاعة والتلفزيون، وحتى في قاعات الكونغرس،

---

(١٥٨) قام جيمي سواجارت هذا، بعمل مناظرة دينية مع احمد ديدات، وقد قمت بتأليف كتاب بعنوان "احمد ديدات بين القاديانية والإسلام" عن هذه المناظرة وغيرها من المناظرات الأخرى التي أجراها احمد ديدات، حيث حاولت توضيح الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها مثل هذه المناظرات، ومن ضمنها، خدمة إسرائيل.

(١٥٩) راجع جريدة الخليج الإماراتية – العدد ٢٩٥٧

(١٦٠) الجذور الإنجيلية للأحادية الأمريكية اليمين المسيحي وكيفية مواجهته – بقلم: دوان أولدفيد– مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية

(١٦١) معركة آخر الزمان ونبوءة المسيح منفذ إسرائيل باسل حسين ص٥٣

(١٦٢) يد الله (لماذا تضحى الولايات المتحدة بمصالحها من اجل اسرائل؟!) – غريس هالسيل . ترجمة محمد السماك – ص٨٠ – دار الشروق– ط.١ ٢٠٠٠

والاجتماعات الشعبية، فكانت النتيجة أن أصبح الكلام بحرية عن الشرق الأوسط وسياسة أمريكيا في المنطقة، مقيداً حتى قبل أن يبدأ"[١٦٣].

وقد نجح هذا التيار المسيحي الأصولي في الحصول على ما يريد في أغلب الأحيان، بسبب تنظيمه وتوحيد جهوده من خلال منظمات وجمعيات منتشرة في طول وعرض الولايات المتحدة الأمريكية، يزيد عددها على أكثر من ٢٥٠ منظمة وجمعية، من أبرزها، منظمة الأغلبية الأخلاقية ومؤسسات روبرتسون الإعلامية التي تمتلك محطة تلفزيون وإذاعة الشرق الأوسط في جنوب لبنان، ومؤسسة السفارة المسيحية الدولية، ومؤسسة المعبد، وجماعة حق الدين وغيرها الكثير . "وتقوم هذه الجمعيات والمنظمات بإحياء وتنظيم مناسبات عديدة تضامناً مع إسرائيل، مثل يوم الاعتراف بإسرائيل، وسبت التضامن مع إسرائيل، وحفلات الفطور تكريماً لإسرائيل والتي أصبحت حدثاً سنوياً تقوم بتنظيمها جماعة المائدة المستديرة. وفى إحدى الاحتفالات أصدرت لجنة صلاة الفطور، بيانها الخاص لمباركة إسرائيل، باسم ما يزيد عن خمسين مليون مسيحي يؤمنون بالتوراة في أمريكيا. وتضمن البيان خليطاً عجيباً من النقاط الدينية والسياسية والعسكرية، تشمل ما يلي:

"دعوة للتعاون الإستراتيجي مع إسرائيل، يعقبها نداء إلى إله إسرائيل الذي أعطى العالم عبر الشعب اليهودي الكتب السماوية .... مختارات من الكتاب المقدس تؤكد حق اليهود الإلهي في الأرض ... ثم دعوة لنقل السفارة الأمريكية إلى القدس، مشفوعة بوصية تقول: إن حدود الأرض المقدسة التي رسمها الكتاب المقدس، لا يمكن أن تغيرها رمال المقتضيات السياسية والاقتصادية المتحركة"[١٦٤].

السفارة المسيحية الدولية

تعتبر منظمة السفارة المسيحية الدولية، من أكثر المنظمات والقوى الصهيونية المعاصرة انتشاراً ونفوذاً على الساحة الدولية . وقد ولدت هذه المنظمة في نهاية سبتمبر ١٩٨٠م حينما اجتمع أكثر من ألف رجل دين مسيحي جاءوا من أكثر من ٢٣ دولة، في مؤتمر بمدينة القدس، تعبيراً عن الدور المركزي لهذه المدينة في فكر وحركة الصهيونية المسيحية المعاصرة. وقد جاء تأسيسها أثر رفض المجتمع الدولي لقرار الحكومة الإسرائيلية اعتبار القدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، وكرد فعل على قيام عدد من دول العالم بنقل سفاراتها من القدس إلى تل أبيب.

([١٦٣]) من يجرؤ على الكلام . بول فندلى . ص ٣٩٣ .

([١٦٤]) من يجرؤ على الكلام . بول فندلى . ص ٤٠٠ .

"وقد افتتحت السفارة مكاتب لها في القسم الغربي من مدينة القدس، وأعلنت عن افتتاح أكثر من ٣٧ قنصلية لها في دول العالم، وأخذ يدير هذه المكاتب رجال دين مسيحيون متعصبون للصهيونية . وقد اتخذت السفارة ولاية كارولينا الشمالية، مقراً لها وافتتحت فروعاً لها في عدد كبير من المدن الأمريكية الرئيسة. وتقوم هذه المراكز بجمع التبرعات لإسرائيل وعقد المؤتمرات وتسيير المظاهرات وحشدها، وبيع المنتجات الإسرائيلية، وتنظيم الرحلات السياسية إليها، وممارسة الضغوط السياسية على صانعي القرار في دول العالم لصالح إسرائيل. ويؤمن أعضاء وأنصار هذه السفارة، بأنه على إسرائيل أن تمتد من النيل إلى الفرات. وقد اختصر زعيم هذه السفارة أهداف منظمته بقوله: إننا صهاينة أكثر من الإسرائيليين أنفسهم"[١٦٥].

وتصل موازنة السفارة إلى أكثر من ١٠٠ مليون دولار، وملايين الأتباع، وعشرات الألوف من الأعضاء في جميع أنحاء العالم. وقد نظمت السفارة على مدى الأعوام الماضية، مهرجانات ومسيرات حاشدة في شوارع القدس، احتفالاً بتأسيس إسرائيل وبالأعياد الدينية اليهودية، مثل عيد العرش، الذي شارك فيه آلاف المسيحيين الأصوليين. وتستخدم السفارة، شبكة واسعة من أجهزة الأعلام لنشر أهدافها وتثقيف أتباعها في كيفية خدمة القضايا الإسرائيلية. فهي تصدر مجلة إخبارية ربع سنوية، اسمها المراجعة، بالإضافة إلى عشرات الأوراق والنشرات والبيانات الدورية. وأنتجت فليماً صهيونياً، وشكلت لجان للعمل السياسي ونظمت حملات مستمرة من الرسائل البريدية إلى صانعي القرار في عدد من دول العالم، وصارت تدعى لجلسات الاستماع في الكونغرس الأمريكي، وفى نفس الوقت رتبت حملات لجمع الدم، دعماً لجنود إسرائيل أثناء غزو لبنان عام ١٩٨٢م، وأنشأت فرقة للغناء سمتها، فرقة أغاني صهيون، وجمعت المساعدات المالية وشجعت بيع السندات الإسرائيلية داخل الكنائس الأمريكية.

وفى أواخر أغسطس ١٩٨٥م نظمت السفارة الدولية، أول مؤتمر صهيوني دولي في مدينة بازل بسويسرا، وفى نفس القاعة التي انعقد فيها المؤتمر الصهيوني الأول بزعامة هرتزل . وقد شارك في المؤتمر أكثر من ٦٠٠ رجل دين ومفكر مسيحي بروتستانتي، قدموا من ٣٧ دولة، وهتفوا جميعاً بحياة إسرائيل الكبرى، وصلوا من أجل عاصمتها الموحدة والأبدية، القدس، وقرروا الانتشار في الأرض تنظيماً وحركة لخدمة وحماية وتكملة المشروع الصهيوني ... ومن أجل إرضاء الرب أيضاً.

وقد اتخذ المؤتمر العديد من القرارات كان أبرزها :

([١٦٥]) من أوراق واشنطن . يوسف الحسن . ص ١٢٨ .

١. الضغط باتجاه مزيد من الاعتراف الدولي بإسرائيل كدولة لليهود ودعم عمليات تجميعهم من شتى أنحاء العالم، وخصوصاً من الاتحاد السوفيتي، لاستيطان الضفة الغربية وغزة، وتكملة المشروع الصهيوني الممتد من الفرات إلى النيل تحقيقاً للنبوءات التوراتية.

٢. مطالبة جميع الدول والمؤسسات الدولية والحكومية والخاصة، فتح أبوابها كاملة لمشاركة الإسرائيليين، وعلى الدول الصديقة الانسحاب من هذه التجمعات إذا ما طردت منها إسرائيل.

٣ـ مطالبة جميع الأمم بالاعتراف بالقدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، وبالتالي نقل سفاراتها إليها.

٤. تشجيع أطروحة توطين الفلسطينيين . يسميهم المؤتمر اللاجئون من إسرائيل . في الوطن العربي، وتوفير العدالة للاجئين اليهود العرب في إسرائيل.

٥. دعم ومساندة الاقتصاد الإسرائيلي، وإنشاء صندوق استثمار مسيحي دولي لهذه الغاية، مقره في أمستردام، وبرأسمال مبدئي قدره مائة مليون دولار، ويخصص للصناعات التقنية والسياحية في إسرائيل، ومطالبة الدول الصديقة بالامتناع عن تسليح العرب، بما فيهم مصر .

٦ـ مطالبة العالم بعدم الانصياع لأنظمة المقاطعة العربية لإسرائيل، وإدانة كل أشكال اللاسامية ضد اليهود .

٧. تعبئة الكنائس لنصرة إسرائيل وإنشاء تنظيمات بجذور شعبية لهذه الغاية، ومطالبة مجلس الكنائس العالمي بالاعتراف بالرابط التوراتى بين الشعب اليهودي وأرضه الموعودة ودولته إسرائيل، والصلاة انتظارا للمجيء الثاني للمسيح ومملكته القادمة في القدس"[١٦٦].

وكرد على هذا البيان الذي صدر عن السفارة المسيحية الدولية، اصدر مجلس كنائس الشرق الأوسط بياناً، جاء فيه: " لما كنا نعي المسؤوليات الملقاة على عواتقنا حيال الطوائف المسيحية والرأي العام العالمي، فإننا نؤكد أن لهذا الاجتماع صفة سياسية مفضوحة على الرغم من الإشارات الدينية الكثيرة. إننا ندين استغلال التوراة واستثمار المشاعر الدينية في محاولة لاضفاء صبغة قدسية على إنشاء دولة، ولدمغ سياسة إحدى الحكومات بدمغة شرعية"[١٦٧].

جورج بوش الأب ... قرارات تتخذ لتنفذ

لو تأملنا القرارات السابقة التي اتخذتها السفارة المسيحية الدولية في عام ١٩٨٥، والبيانات والمطالب التي طرحتها الحركة الأصولية الأمريكية خلال تلك الفترة، فإننا سنجد أن كثير منها

([١٦٦]) البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني – يوسف الحسن ص١٣٤،١٣٥

([١٦٧]) راجع الصهيونية المسيحية – محمد السماك – ص١٦٢.

تحقق على أرض الواقع بطرق مختلفة خلال السنوات القليلة الماضية، وبالذات في عهد الرئيس الأمريكي جورج بوش (الأب)، والتي يمكن إجمالها بالآتي:

١ـ فتح أبواب الهجرة اليهودية على مصراعيها من الاتحاد السوفيتي السابق، ودول أوروبا الشرقية وأثيوبيا، إلى إسرائيل، مع استمرار المساعي الأمريكية مع سوريا واليمن وغيرها من الدول.

٢ـ ازدياد الاعتراف الدولي بإسرائيل، حيث انضمت دول مثل الاتحاد السوفيتي السابق، والصين، ودول أوروبا الشرقية، وكثير من الدول الأفريقية، إلى قائمة الدول المعترفة بإسرائيل والتي لها علاقات دبلوماسية معها.

٣ـ دعم الاقتصاد الإسرائيلي بطرق كثيرة، تمثلت بموافقة الرئيس بوش الأب على منح إسرائيل ضمانات قروض بقيمة ١٠ مليار دولار أمريكي.

٤. امتناع أمريكيا عن تسليح الدول العربية بأي أسلحة يمكن أن تشكل خطراً على إسرائيل، وممارسة الضغوط من أجل منع الدول العربية من الحصول على أي أسلحة من مصادر أخرى، وحتى في اللحظة التي تمكنت دولة عربية، وهى العراق، من تكوين قوة عسكرية كبيرة تهدد إسرائيل، قامت أمريكيا بالتعاون مع أعوانها العرب بافتعال أزمة مع العراق، وجرته إلى حرب قضت على قوته العسكرية.

٥. وعلى صعيد تشجيع التعاون الدولي مع إسرائيل، قامت كثير من الدول وبضغط مباشر من أمريكيا، بإلغاء العمل بقوانين المقاطعة العربية، كما تم إلغاء قرار الجمعية العامة الذي يساوى بين الصهيونية والعنصرية، وكل ذلك من أجل فتح آفاق جديدة أمام التعاون الدولي مع إسرائيل.

٦. وفى مجال تشجيع أطروحة توطين الفلسطينيين في الدول العربية، فقد انبثقت عن مؤتمر مدريد للسلام، لجنة خاصة لبحث قضية اللاجئين في إطار المباحثات المتعددة الأطراف وليس في إطار المباحثات الثنائية، وهذا يؤكد أن هدف هذه اللجنة هو حل مشكلة اللاجئين عن طريق توطينهم في الدول العربية المضيفة لهم، وليس في الأراضي العربية المحتلة، ولهذا رفضت إسرائيل طرح حق العودة في هذه المفاوضات، كما أنها رفضت مشاركة فلسطيني الشتات في المفاوضات الثنائية.

٧. وبالنسبة لقضية القدس، فإنه لم يكن مصادفة أن يعلن (وليم دوكاكيس) المرشح السابق للرئاسة الأمريكية، والرئيس السابق (بل كلينتون)، خلال حملاتهم الانتخابية، عن عزمهما نقل

السفارة الأمريكية إلى القدس، والاعتراف بها كعاصمة أبدية لإسرائيل[١٦٨]. إن دل هذا على شيء، فإنما يدل على الرغبة الأمريكية الأكيدة بالاعتراف بالقدس كعاصمة لإسرائيل، ولكن الظروف الدولية والعربية لم تسمح لأمريكا باتخاذ هذه الخطوة في السابق، ولهذا لجأت أمريكيا وإسرائيل إلى تحقيق هذا الهدف على مراحل، كما حدث في مؤتمر مدريد للسلام، عندما تم استبعاد سكان القدس من المشاركة في مفاوضات السلام، وتم أيضاً استبعاد طرح قضية القدس في إطار المفاوضات، بحجة أنه سيتم بحث هذه القضية بعد المرحلة الانتقالية، وفى إطار الحل النهائي.

هذا التطابق بين التوصيات والقرارات التي اتخذها التيار المسيحي الأصولي في أمريكيا لدعم إسرائيل، وبين ما تم ويتم إنجازه على أرض الواقع، إن دل على شيء فإنما يدل على قوة هذا التيار من ناحية، وعلى تبنى صانعي القرار في أمريكيا لمطالب هذا التيار . باعتبارهم جزء منه . من ناحية أخرى. فجورج بوش الأب ينحدر من أسره عرف عنها انتماؤها وعلاقتها الحميمة بالتيار الديني الأصولي المتطرف، وبرموز هذا التيار الذي يؤمن بحرفية النبوءات التوراتية، حيث يفتخر الرئيس بوش بأنه من المسيحيين الأصوليين المولودين ثانية، وذلك من خلال اعترافه العلني للمسيح. وقد أشار إلى تجربته الشخصية (كمولود ثانية) . والتي تعنى النجاة من معاناة اليوم الآخر الذي يسبق معركة هرمجيدون.

الولادة الثانية والنشوة المطلقة

بالرغم مما تبدو عليه عبارة (مولود ثانية) من بساطه، إلا أنها تخفي ورائها نظرة أصولية عدمية متطرفة. فحسب سفر الرؤيا، آخر كتب العهد الجديد ، فإن عدد الأفراد البالغ ١٤٤٠٠٠ فقط، المفترض نجاتهم من كارثة هرمجدون الرهيبة، كان مصدر قلق جدي بل بمثابة كابوس مخيف للكثير من المؤمنين، ناهيك عن كون الموضوع برمته مصدر حرج كبير للكنيسة. ولمجابهة هذه المشكلة وجد الوعاظ الأصوليون المسيحيون في الغرب حلاً مناسباً لطمأنة جماهيرهم المؤمنة، وهذا الحل يضمن إنقاذ المؤمنين المولودين ثانيه بحيث يرتفعون لملاقاة المسيح العائد في الجو قبل حدوث كارثة هرمجدون الرهيبة على الأرض، وهو ما أطلقوا عليه تعبير (الرفع للجو أو الخطف) وقد استندوا في ذلك على عبارة وردت في رسالة بولس الأولى إلى أهالي تيسالونيكي قال فيها: "لأن الرب نفسه – عيسى . سوف يهبط من السماء وقتما يهتف بذلك كبير الملائكة وينفخ في بوق الله. فالأموات في المسيح يقومون أولاً. من قبورهم ثم نحن

([١٦٨]) رؤية لتغيير امريكا (بالاهتمام بالناس اولا) – بل كلينتون – آل جور – ص١٣٥– مركز الاهرام للترجمة والنشر – الطبعة الاولى ١٩٩٢

الأحياء الباقون سنرتفع معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون مع الرب إلى الأبد"[١٦٩]

ومن ثم فليس من مبرر لقلق المسيحيين المولودين ثانية فيما يتعلق بالنهاية الرهيبة التي سوف تحل بباقي البشرية "لذلك طمئنوا بعضكم بعضا بهذا الكلام"[١٧٠]. فنحن على ثقة أن المسيح لن يتركنا نعاني ولو لحظة واحدة من الهولوكوست محرقة يأجوج ومأجوج، سوف نجتمع مع المسيح في السماء قبل المحنة الكبرى "مع الذين ماتوا وهم مؤمنون بالمسيح" (حسب رسالة تيسالونيكي الأولى). سيأتي ليأخذ قديسيه، وبعد أن نقابله في الهواء سيعود هو ليقاتل في هرمجيدون ونحن في السماء، وسوف يكتوي بنار هرمجيدون كل مسيحي أو غير مسيحي لا يؤمن بأن المسيح هو المخلص والمنجى الوحيد في نهاية العالم. يقول أحدهم: " شكراً لله، سوف أشاهد معركة هرمجيدون من مقاعد الشرف في الجنة، وكل أولئك المولدين ولادة ثانية سوف يشاهدونها، إنما من السماء، وتلك هي السعادة المطلقة والنشوة الكبرى"[١٧١].

بهذه الخزعبلات يتفاخر الرؤساء الأمريكيون وكثير من البروتستانت بما يسمى بالولادة الثانية، والتي يبدو أنها أصبحت كصكزك الغفران في العصور الوسطى، وجواز المرور للحصول علي دعم اليمين المسيحي المتطرف الذي سعى بوش للتقرب له حتى عندما كان نائباً للرئيس ريغان، حيث كان النجم السياسي في اجتماعات القس الإنجيلي مايك ايفانز[١٧٢]، وكان مديناً بانتخابه لهذا اليمين المسيحي المتطرف، الذي يتمتع بقوة مؤسساتية هائلة في الحزب الجمهوري، ويسيطر إتباعه على أكثر من ثلث أعضاء الحزب الجمهوري، حيث قدموا الدعم للرئيس بوش لإيمانهم بأنه خير من يعبر عن أفكارهم المتطرفة، التي تصب في خدمة إسرائيل.

فجورج بوش يعتبر ابن اللوبي الصهيوني في أميركا، والمنفذ لكل مخططاته ومشاريعه في فلسطين وخير دليل على ذلك أنه في الخامس والعشرين من شهر يونيو سنة ١٩٨٦م أقام جيري فولويل . وهو من الصهيونيين المسيحيين الأميركيين وأول سياسي أميركي مرموق على حد قول الدكتور وليام عودمان . حفل غداء في مدينة واشنطن على شرف نائب الرئيس الأميركي جورج بوش، وقد اخبر فولويل ضيوفه الخمسين الذين حضروا مجاناً حفل الغداء السخي "بوش سيكون أفضل رئيس عام ١٩٨٨م"[١٧٣]. وبالفعل كان جورج بوش سنة ١٩٨٨م أفضل رئيس بالنسبة للصهيونيين المسيحيين في أميركا، وللصهيونيين اليهود في كل دول العالم . والأحداث التي

([١٦٩]) رسالة بولس الأولى إلى أهل تيسالونيكي١٧.١٦/٤

([١٧٠]) رسالة بولس الأولى إلى أهل تيسالونيكي ١٨/٤

([١٧١]) يد الله . جريس هالسيل . ترجمة محمد السماك . ص ٤٣

([١٧٢]) المسيحية والتوراة . شفيق مقار ص٣٦٨

[١٧٣] النبوءة والسياسة – ص ٢٥

عاشها المراقبون وتتبعوا من خلالها سياسة بوش أثبتت انه فعلاً مخلص ووفي لمن جاءوا به إلى سدة الرئاسة الأميركيه. ويكفى الرئيس بوش أنه قدم اكبر وأعظم خدمة لإسرائيل من خلال تدمير القوة العراقية، وعقد مؤتمر مدريد، وما تمخض عنه من اتفاقيات سلام وتطبيع مع إسرائيل، واعتبار السلام خيار إستراتيجي. يضاف إلى ذلك أن بوش نفسه كان على رأس الوفد الرسمي الأميركي إلى السودان في شباط / فبراير ١٩٨٥م، الذي وقع الاتفاق الأميركي – السوداني . القاضي بترحيل يهود أثيوبيا (الفلاشا) إلى دولة الاحتلال الصهيوني، كما كان هو ذاته على رأس الدولة العظمى في العالم التي شنت (الحرب الأميركيه والعالمية) ضد العراق ولا تزال"[١٧٤].

وإذا كان هذا هو حال رؤساء أمريكا منذ زمن بعيد . صهيونيون أكثر من الصهاينة ومشبعين بالخلفيات الدينية الحاقدة والمتعصبة، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا يحرص معظم صانعي القرار في أمريكيا ومنهم الرئيس بوش، على عدم إظهار خلفياتهم الدينية التي تدفعهم لدعم إسرائيل بصورة علنية، ومحاولة تبرير ذلك بشتى أنواع الأكاذيب المعروفة ؟!. والجواب هو إن مرد ذلك يعود إلى رغبتهم في عدم إثارة المشاعر العربية والإسلامية، ولهذا يلجئون إلى اختلاق تبريرات أخرى لتمرير سياستهم المنحازة لإسرائيل، مرة بالحديث عن اللوبي الصهيوني والصوت الانتخابي اليهودي، ومرة بالحديث عن ظروف الحرب الباردة والمصالح الأمريكية وغيرها من الأمور التي أثبتت الأيام عدم صدقها، وكل ذلك من أجل إبقاء آمال الدول العربية معلقة بإمكانية حدوث تغير في الموقف الأمريكي تبعاً للتغيرات على الساحة الدولية، وربما يكون ما فعله الرئيس بوش خلال حرب الخليج، وما قدمه من وعود بحل القضية الفلسطينية، بعد تدمير القوة العراقية خير دليل على ذلك.

([١٧٤]) خلفيات الحصار الأمريكي البريطاني للعراق د. صالح زهير الدين ص٨١ .٨٢

الفصل الرابع

جورج بوش والدولة الصليبية

دأب الزعماء الأمريكيون المدنيون والسياسيون على التحدث بصورة رسمية عن الأمة الأمريكية ، كما لو أنها أمة مسيحية ، أو على الأقل أمة تتبع الكتاب المقدس، حيث وصف كل من السياسيين ورجال الدين باستمرار أمريكا ، بأنها إسرائيل الجديدة ، والأمريكيين بأنهم شعب مختار، وشعب مرتبط بميثاق (مع الله)، بل إن خطابات تنصيب رؤساء الجمهورية طيلة القرن العشرين ، قد طبقت العبارة البلاغية التي كان الحاكم (جون وينثروب John Winthrop) أول من استعملها عام ١٦٣٠م، والتي تصف أمريكا بأنها "مدينة على تل" (مارسدن، ٢٠٠١، ص ٥٣). فلا حاجة إلى القمر أو النجوم ليلاً، ولا حاجة إلى نور الشمس نهاراً . إنها القدس الجديدة التي لن تنطفئ (برستوفتز، ٢٠٠٣، ص٣٤٤).

وما دامت أمريكا مدينة على تل، وإسرائيل الجديدة وشعبها مرتبط بميثاق مع الله، فقد كان طبيعياً أن يلعب الدين دوراً رئيساً في الحياة الأمريكية، وكان طبيعياً وبديهياً أيضاً أن تكون الكلمة العليا للخطاب الديني ، لشن حمله صليبيه في الداخل والخارج، لتبرير قتل الهنود الحمر ونهب ثرواتهم، واستعباد الزنوج، وتلقين العالم دروس في الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان. فمادام هناك تكليف إلهي لأمريكا باعتبارها مدينه على تل، فإنه يحق لها ما لا يحق لغيرها ، وليذهب الجميع إلى الجحيم...

> "وهنا يمكن ملاحظة، أن عدم اتساق السياسية الخارجية الأمريكية وازدواجيتها ليس طارئاً، بل هو تعبير عن جانبين بارزين في الشخصية الأمريكية، وكلاهما تميز بأخلاقية ما. واحدة هي أخلاقية الميراث ، التي شكل مزاجها المعرفي الشعور بالنقص الإنساني، والأخرى أخلاقية : التوكيد المطلق للذات التي أشعلتها الروح الصليبية ... والتي يأتي ضمنها تبرير التوسع ، واستخدام القوة في شكل أقرب إلى الحملة الصليبية ؛ لتحضير العالم على الطريقة الأمريكية (مكدوجال، ٢٠٠١، ص ٢٨٩) .

وهكذا فإن الروح الصليبية هي التي صاغت نظرة الأمريكيين إلى حروبهم في الداخل والخارج قديماً وحديثاً، حيث لم يكن (جورج بوش) خارج هذا السياق عندما وصف حربه على العالم

الإسلامي بالحرب الصليبية . فعندما نشر "ايزنهاور" مذكراته عن سنوات الحرب العالمية الثانية . كان العنوان الذي "اختاره" لها هو : "حملة صليبية في أوروبا" ، حيث أن الإشارة إلى الحروب الصليبية الدينية . الإيمانية – كانت لها مقاصد ومعبأة بمدلولات دينية (هيكل، ٢٠٠٢، ص٢٠٤)، ليست بعيده عن إحساس الأمريكيين الأوائل بكونهم أمه مختارة، لهم رسالة، من أجل التسريع ببزوغ فجر النظام الدولي الجديد ، أو بالتعبير التوراتي "العصر الألفي السعيد. ونفس الشيء ردده قبل ذلك الزعيم الصهيوني (إسرائيل زانغويل) عندما، وصف فيه المحاولات البريطانية والأمريكية الرامية إلى إعادة اليهود إلى أرض فلسطين ، بقوله : "سبع حملات صليبية إلى الأرض المقدسة، عادت على اليهود بالمذابح، فهل ستؤدى الصليبية الثامنة إلى استرجاع اليهود لفلسطين ؟ وإذا كانت صليبية حقه، فإن تلك الحقيقة بالذات تأتى بمثابة البرهان على النظام الجديد لعالم تسوده المحبة والعدالة" الحوت، ١٩٩١، ص ٢١٥).

وربما هذا ما كان يعنيه بوش عندما وصف الحرب الذي ينوى خوضها ضد أفغانستان ، وكثير من الدول الإسلامية بدعوى محاربة الإرهاب، بأنها حرب صليبية، حيث كرر هذه المقولة كثير من أقطاب حكومته، ووصفوا هذه الحرب بأوصاف مختلفة، مره بأنها حرب بين قوى الخير وقوى الشر، ومرة بأنها صراع الحضارات، إلى غيرها من الأوصاف، التي مرت هي وغيرها من التلميحات والتصريحات للمسئولين الأمريكيين، ولوسائل الإعلام الأمريكية مرور الكرام، ولم يتناولها محللونا بالدراسة والتحليل، بل اكتفوا بإقناع أنفسهم والرأي العام المسلم ، بأنها مجرد زلة لسان، بدون أدنى محاولة لمعرفة الأبعاد الحقيقية لهذا الكلام .

> "فبقدر ما حاول بوش في أعقاب الحادي عشر من سبتمبر أن يضبط أعصابه وأعصاب الأمريكيين تجاه أي رد فعل متهور ضد الوجود العربي الإسلامي داخل الولايات المتحدة ، لامتصاص شحنة الغضب، وربما لنفخ النار فيها، كشف لأول مره في الخطاب الأمريكي المعاصر عن احتمال أن ينطوي الرد الأمريكي والغربي عموماً على بعد صليبي (خليل، (٢٠٠٣)، ص٣٥) .

بوش.. طغيان الحماس الديني على البصيرة السياسية

كثيرون هم الرؤساء الأميركيون ، الذين أكدوا تعلقهم بجذورهم الدينية فاستشهدوا في خطاباتهم باقتباس من الكتاب المقدس، إلا أن الدين لم يفرض يوماً وجوده في الحياة السياسية الأميركية بهذه الدرجة ، قبل أن يطأ (جورج بوش الابن) عتبة البيت الأبيض، ولهذا كثرت الكتابة في

الصحافة الأمريكية والعالمية عن الخلفية الدينية المؤطرة لتفكير الرئيس بوش، حيث أعدت مجلة "نيوزويك" الأمريكية ملفا في عددها بتاريخ (٢٠٠٣/٠٣/١٠م) عن الاعتقادات الدينية ، التي تدفع (جورج بوش) إلى سلوكه السياسي والعسكري الحالي . وكيف ركب (بوش) موجة الأصولية البروتستنتية الصاعدة، وهو أحد أبنائها، ليقود أمريكا في مغامرات يطغى فيها الحماس الديني على البصيرة السياسية.

يتألف الملف من ثلاث مقالات، أحدها . وهو الأطول والأعمق . بعنوان "بوش والرب"، بقلم "هاوارد فاينمان"، أحد كتاب المجلة، والثاني بعنوان : "خطيئة التكبر" بقلم البروفسور "مارتن مارتي" وهو قسيس وأستاذ بجامعة شيكاغو ، ترأس "الجمعية التاريخية الكاثولية في أمريكا" سابقا، أما المقال الثالث فهو بعنوان: "البيت الأبيض: إنجيل على نهر البوتوماك"، وهو بقلم كينيث وودوارد من كتاب نيوزويك . كما نشرت صحيفة "الواشنطن بوست" عن نفس الموضوع من قبل مقالا بعنوان: "بالنسبة لبوش.. إنه الإحساس بالتاريخ والمصير" يوم ٢٠٠٣/٠٣/٠٩م وآخر بعنوان: "عن الرب والإنسان في المكتب البيضاوي" بقلم القسيس "فريتس ريتسش" يوم ٢٠٠٣/٠٣/٠٢م وهو مقال تحليلي عميق تناول المنطق الداخلي لفلسفة بوش الدينية، وآثارها السلبية على أمريكا بلداً، وعلى المسيحية ديناً. وإذا كان العديد من الأمريكيين بدءوا يدركون المخاطر المترتبة على سياسات الرئيس (بوش) التي تأطرها رؤية دينية متحمسة، دون اعتبار للمصالح البعيدة المدى للأمة الأمريكية، أو لمطالب الضمائر الإنسانية في كل مكان، فإن الإنسان العربي والمسلم أولى بالاطلاع على خلفيات هذه السياسات التي تُرسم بدمه، وعلى وجه صحرائه النقي (الشنقيطي، ٢٠٠٣) .

آل بوش

ولد جورج (دابليو بوش) لأبوين متدينين ، هما جورج بوش الأب ، وباربارا بوش في ولاية كونكتيكت الأمريكية عام ١٩٤٦م ، وانتقل به أبواه وهو صبي إلى ولاية تكساس ، التي أصبحت موطنه ومكان صعود نجمه السياسي، وتزوج بوش عام ١٩٧٧م ، والتحق بالكنيسة الميتودية ، التي كانت زوجته لورا عضوا فيها، وكان شخصا عاديا غير متميز ينظر إليه الجميع على حد قول أحد المقربين، على أنه (ابن أبيه فحسب) ، وكان يقضي الليل يعاقر الخمر ، وعلى مر السنين أخذت لورا بوش تعرب عن استيائها ، وقد غاظها انحراف زوجها، وفي العام ١٩٨٥ ،

غرق بوش في أزمة شديدة ، وكان عندئذ في التاسعة والثلاثين من عمره، بعد أن تراكمت خسائره المهنية الواحدة تلو الأخرى (لوران، ٢٠٠٣، ص١١) ولكنه حظي بتدخلات كثيرة ومتكررة لإنقاذه من الإفلاس، وكان ذلك يتم في محاولات من رجال الأعمال للتقرب من والده.

والرغم من التاريخ الحافل لـ (جورج بوش الأب) كمقاتل في الحرب العالمية الثانية، ورجل أعمال نفط في تكساس، وسفير لأمريكا في الصين، ورئيس للمخابرات الأمريكية ونائب للرئيس، ثم رئيس لأمريكا، إلا أن (جورج بوش الابن) أكبر أولاده ظل فاشلا وضيعا، كما أنه خسر ملايين الدولارات في عمله في النفط فساعده أصدقاء والده بالملايين ، فعاد مرة أخرى للبيرة والنبيذ، حتى يوم ١٩٨٦/٧/٢٧م حين اكتمل عمره أربعين عاما ، حيث يقول: إنه ركع على ركبتيه وأقسم لزوجته (لورا) بأن لا يعود إلى ذلك مرة أخرى طالبا مساعدة الله في تحقيق ذلك.

رجال بيض أغبياء

أصبح اتهام الرئيس بوش بالغباء وانعدام البصيرة، اتهاماً كلاسيكياً، تواترت عليه آراء العديد من الناس من مذاهب ومشارب شتى: من رئيس جنوب إفريقيا السابق (نلسون مانديلا) ، إلى الكاتب الأمريكي "مايكل مور" مؤلف كتاب "رجال بيض أغبياء"، حيث احتل كتابه المثير والساخر، قائمة الكتب الأكثر مبيعاً في الولايات المتحدة لمدة طويلة . والكتاب يحمل على جورج بوش الابن ويتهمه بالغباء، وبأنه يمثل أمة غبية . ورغم أن الكتاب كان قد تمت كتابته قبل هجمات الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١م ونشر بعدها، فإن ذلك لم يفقده أهميته، بل ربما قوى من أطروحته التي تركز على جهل وغباء الرئيس الأميركي وعدم إلمامه بالسياسة وصناعة القرار، حيث يتطرق (مايكل مور) بكثير من التفصيل لحياة الرئيس بوش وإخفاقاته المتكررة في مجال الأعمال، وضعف فطنته، ورداءة لغته الإنجليزية. وأهم من ذلك كله ماضي بوش السياسي كحاكم لولاية تكساس، وقراراته الغبية، المضرة بالبيئة والسكان والفقراء، والمحابية للأغنياء، وأداء بوش السيئ في الحكومة والحزب والحياة العامة، ومواقفه الرافضة للالتزامات الدولية ، التي تبنتها إدارته في الفترة التي سبقت أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول (مور، ب، ت).

فقبل أن يصبح (جورج بوش) رئيساً ، سأله أحد مراسلي مجلة غلامور في أيار (مايو) ٢٠٠٠م حول مدي معرفته بالشؤون الخارجية، وكان السؤال عما إذا كان بوش يعرف ما هي طالبان ؟ حيث أجاب بوش بأن هذا الاسم قد طرق مسامعه من قبل ، وأنه يعتقد أنه اسم فرقة روك أند

رول أمريكية . وعندما طلب منه المراسل أن يذكر له أسماء عشرة قادة دول، لم يستطع أن يذكر سوي اسم واحد فقط(زلوم، ٢٠٠٣).

ولإبراز حادثة تؤكد الطريقة التي يفكر ويتحدث بها بوش، التي تبرز تدينه وغباءه في صورة لا تخلو من التهكم والسخرية ، قالت صحيفة دير شبيغل الألمانية:

> "إنه في بداية أكتوبر ٢٠٠١م قام الرئيس بوش بدعوة خمسة من رجال الدين ثلاثة منهم مسيحيون ، وواحد يهودي ، وواحد مسلم ، في البيت الأبيض للحديث عن الحرب ضد الإرهاب . وتحدث معهم بصراحة شديدة، قائلا لهم . بصورة أدهشت الجميع . "أنتم تعرفون أنني كنت مدمنا للكحول، إذا كان كل شيء سار على نفس المنوال ، لكنت الآن جالسا في أحد بارات تكساس بدلا من البيت الأبيض، إنما يوجد سبب واحد فقط ، لأن أكون هنا في المكتب البيضاوي وليس في بار، وهو أنني وجدت الإيمان وجدت الله (السقا، ٢٠٠٣، ص١٤٦).

الإعداد لترشيح بوش للانتخابات

يتذكر خطاب (بوش الأب) في الكونغرس الأمريكي عام ١٩٩١م وإعلانه عن قيام نظام عالمي جديد . ولهذا عمل (بوش الأول) منذ مطلع عام ١٩٩٨م علي ضمان التنسيق والمساعدة مع مستشاره السابق لشؤون الأمن القومي، (برنت سكاوكروفت) ، ووزير الخارجية السابق في عهد ريغان (جورج شولتز) ، وذلك لترشيح نجله (جورج دبليو بوش) للرئاسة الأمريكية، حيث كانت الأجندة الجديدة تسعي إلي الضغط من أجل تنفيذ المرحلة التالية من النظام العالمي الجديد . وفي صيف ١٩٩٨م ، انطلقت رسمياً حملة (جورج دبليو بوش) الرئاسية حيث ظهر جنباً إلي جنب مع والده بوش الأول وكوندوليزا رايس، وكان يقف وراءهم خلف الكواليس فريق كبير مكون في معظمه من رموز كبري سابقة في إدارة (بوش الأب) ، والذين تفاوتوا ما بين أولئك المخلصين المؤمنين بالنظام العالمي الجديد إلي زمرة اللوبي الصهيوني. وبعد أن فاز بوش الصغير وتشيني بالانتخابات، تم تعيين هؤلاء، في مناصب حساسة في إدارة الرئيس الجديدة ، وذلك لاستكمال مهمتهم في تنفيذ المرحلة التالية من إعادة صياغة وتشكيل النظام العالمي(زلوم، ٢٠٠٣).

تزوير الانتخابات

يرصد احد الكتاب نقاط الخلل في سياسات أميركا وفي ثقافتها السياسية، ويرى أن أشد ترجمة لذلك الخلل هو انتخاب جورج بوش رئيساً، وهو يسميه اللص وليس الرئيس، إذ يعتبره سرق الرئاسة من آل غور عن طريق التزوير ، والتآمر ، وكل الطرق القذرة . وهنا فإن الكاتب لا يستهدف الرئيس (جورج بوش الابن) فحسب، بل والأب ، والبطانة التي حوله ، والتي سهلت له الفوز، أو بكلماته، تآمرت معه على سرقة الفوز . فقد اقتضى الأمر ستة وثلاثين يوماً من المفاجآت السياسية . القضائية حتى الوصول إلى حل للمشكلة العويصة ، التي جاءت لمصلحة عشيرة بوش ، حيث أعيد فرز الأصوات أربع مرات، وصدر عن المحكمة العليا ثلاثة قرارات ، وعن المحكمة العليا الانتخابية قراران ، وتقدم بوش على منافسه بصوت واحد في الهيئة الانتخابية ، في حين أن آل غور، نال نصف مليون صوت زيادة عما ناله خصمه، وبالرعم من ذلك فقد أعلن فوز بوش لنيله مائه وسبعه وثلاثين صوتاً إضافياً (مامير، ٢٠٠٤، ٢٥) .

فالفوز بالانتخابات بحسب مقاييس أي شخص عاقل باستثناء قضاة المحكمة الأميركية العليا (المعينين من قبل نيكسون وريغان) كان من نصيب آل غور ، ولكن الجهود التي بذلتها زمرة بوش (جورج الثاني، وابن عمه جيب، وجميع رفاق جورج الأول القدامى ، اليمين المتطرف) للتأثير في نتائج الانتخابات ، بما فيها التلاعب غير القانوني المباشر بالسجل الانتخابي ، وما تبعه من أحكام خاطئة ، صدرت بعد التصويت ، بالاضافة للتلاعب الذي حصل عبر التصويت البريدي ، والذي فاز فيه بوش بأربعة أخماس أصواته بشكل مريب كان لها الدور الرئيس قي تغيير نتائج الانتخابات وايصال بوش إلي سدة الحكم ؛ ليدير أجندتها الخاصة بنظام عالمي إمبريالي جديد . "فالوجوة تتغير في البيت الأبيض ، أما القابضون علي مقاليد السلطة وراء الكواليس ، فهم أنفسهم لا يتغيرون(زلوم، ٢٠٠٣).

من مقارعة الخمر إلى الأصولية المسيحية

لم يسر (بوش الشاب) في البداية على خطى أبويه المتدينيْن، بل كان مدمناً على الخمر ، وكان يقود سيارته وهو سكران ، (وهو أمر تشاركه فيه زوجته ، التي تسببت بمقتل إحدى صديقاتها أيام التلمذة، كما يشاركه فيه نائبه ديك تشيني)، وتم إلقاء القبض عليه بسبب تصرفات طائشة أخرى، حتى سبب أكثر من إزعاج لزوجته "لورا". وقد كانت لورا صاحبة الفضل في إقناعه بالكف عن الشراب ، والأخذ بيده إلى الكنيسة ، التي اعتادت الذهاب إليها . ولكن التغير في شخصية بوش . كما يقول ستيفن مانسفيلد :

"بدأ خلال اجتماع عقد عام ١٩٨٤م في إحدى كنائس ميدلاند مع القس أرثر بليسيت ، الذي كان يجوب العالم حاملا الصليب ، للدعوة إلى المسيحية. وحضر الآلاف من أهالي ميدلاند محاضرة بليسيت ، وبعد المحاضرة طلب (جورج دبليو) لقاء بليسيت . وخلال اللقاء وضح لجورج دبليو أنه غير متأكد من موقفه من المسيحية ، ولكنه مع نهاية اللقاء شعر بالرغبة في التوبة ، وطلب من بليسيت الدعاء له . وسرعان ما بدأ (جورج دبليو) في قراءة الإنجيل ، والصلاة يوميا، وفي المشاركة بحلقة لدراسة الإنجيل مع بعض أصدقائه ، وتوقف عن شرب الخمور، وبدأ الجميع يرون تحولا في حياة بوش على نحو أكثر جدية" (مانسفيلد، ٢٠٠٤).

ولكن الرجل الذي أثر في حياة جورج بوش الدينية ونقله نقلة جذرية من حياة الإدمان إلى حياة الأصولية المسيحية ، هو القسيس "بيلي غراهام" الذي استغل شعبيته الهائلة في الحصول على صداقة كبار الزعماء السياسيين ، وأصبح من المترددين بانتظام على البيت الأبيض طيلة عهود عديدة من الرؤساء (مارسدن، ٢٠٠١، ص ٢٣١). وقد أثنى بوش على شيخه "بيلي غراهام" مرة ، فقال: "إنه الرجل الذي قادني إلى الرب". حيث استطاع القس (جراهام) إقناع بوش بالانضمام إلى طائفة "الميسوديث" ، المعبرة عن التحالف الصهيوني المسيحي، وسار بوش مع هذه الطائفة حتى صار أحد أعمدتها الأساسية (السقا، ٢٠٠٣، ص ١٢٦). وتردد المعلومات أن (توني بلير) رئيس الوزراء البريطاني ، انضم إلى طائفة الميسوديت منذ فترة، وانه أصبح منتظما في قراءة الكتاب المقدس للميسوديت ، وأداء كل طقوس العبادة التي تقرها هذه الطائفة. وقد كان لانضمام بلير إلى الطائفة الفضل في وجود لغة مشتركة بينه وبين بوش، حيث يعتبر بلير أن بوش أستاذه في الطائفة.

وتشير المعلومات إلى أن بوش تدرج في المراتب الدينية لهذه الطائفة حتى وصل إلى مرتبة عالية يطلق عليها (المعلم) ، ومن يحصل على هذه المرتبة ، لا بد أن يكون قد درس باستفاضة متناهية مبادئ (الميسوديت) ، وبدأ يطبقها ويدعو إليها عمليا ، ولما كان عيسى معلما فإنه يريد أن يتشبه به كخليفة له، حيث نجح (بوش) في اجتذاب مئات الشباب للانضمام إلى الميسوديت، وكذلك برع في قدرته على إقناع الآخرين بهذه الافكار. وقد تسببت هذه التطورات الفكرية التي طرأت على جورج الابن في قلق الأب على المستقبل السياسي لنجله، خاصة بعد تلك النزعة الدينية الغالبة التي قلبت حياته رأسا على عقب، حيث أن جورج بوش الابن ، كان رافضاً للطريق السياسي في البداية ، بحجة أن الرب يريده للعبادة والتدين ، ونشر المذهب الديني

الصحيح في العالم كله ، وأن السياسة ستأخذه من هذا الطريق، ولكن بعد حوارات عدة ، اقتنع بأهمية السياسة لنشر الدين(السقا، ٢٠٠٣، ص ١٢٨).

"فمع بداية العام ١٩٩٩م ، راحت تراود (جورج بوش الابن) فكرة ترشحه للرئاسة، فكلم أمه (باربرا) بالأمر أولا ، في أحد الأيام قبل أن يقصدا الكنيسة معا لحضور القداس، وكانت العظة تتناول في ذلك اليوم شكوك موسى حول كفاءاته كزعيم ، فكشفت باربرا لابنها بالعبارة التالية : (إن شخصك أشبه بشخص موسى) وعند عودتهما إلى البيت ، أخذا بمشورة القس (ببلى غراهام) صديق آل بوش الشخصي ، وأشهر مبشر في الولايات المتحدة والمستشار الروحي والمؤتمن على أسرار كثير من الرؤساء الأميركيين" (لوران، ٢٠٠٣، ص ١٧).

يقول (ستيفن مانسفيلد) :

"إن فكرة ترشيح (جورج دبليو) نفسه للرئاسة جاءته أول مرة خلال حضوره صلاة بإحدى كنائس تكساس، وكان القس (مارك كرايج) يتحدث في تلك الصلاة عن قصة موسى (عليه السلام) ويقول إن موسى "تردد بعض الشيء في قبول دعوة الله له لقيادة الناس"، في حين أن الناس في أشد الاشتياق ، لقيادة تمتلك رؤية وشجاعة أخلاقية . وخلال الصلاة شعر (جورج دبليو) بأن الدعوة كانت موجهة إليه، وذلك قبل أن تلتفت إليه أمه الجالسة بجواره ، وتقول له : إن القس "كان يتحدث لك"، وبعد فترة قصيرة اتصل جورج دبليو بالقس (جيمس روبيسون) وقال له : "لقد سمعت الدعوة، أعتقد أن الله يريدني أن أرشح نفسي للرئاسة" (مانسفيلد، ٢٠٠٤).

ويقول "هوارد فاينمان" تحت عنوان "بوش والرب" : إن الرئيس بوش جمع عدداً من القساوسة قبل أن يرشح نفسه للرئاسة كي ينال بركاتهم، وأخبرهم بأنه تمت دعوته لينال منصباً أرفع في بلاده ! ولم يكن بوش أول رئيس أمريكي يفعل هذا، فقد سبقه ريجان الذي كان يصدق ما تقوله له قارئة الفنجان، والذي تحول بفضل الحظ الذي يؤمن به من نجم مطفأ في سماء هليوود إلى نجم ساطع في البيت الأبيض . وقد لعب الواعظ الأمريكي بيلي جراهام دوراً في تنوير السانت بوش، بحيث اعترف بأنه ولد مرة أخرى، وحرر روحه من الداء القديم (منصور ٢٠٠٣، ١٠، مارس).

وبيل غراهام . لمن لا يعرفه . هو أبرز وجوه اليمين المسيحي الصهيوني في الولايات المتحدة اليوم وهو واعظ ذو شخصية كاريزمية يذهب إلى بوش وعائلته وأصدقائه بصورة دوريه ليس فقط للصلاة ؛ بل للحديث عن قيادة العالم، وفي البداية كان (جورج بوش) يتابع ذلك بلا أدنى اهتمام . وتدريجيا بدأ اهتمامه في الازدياد إلى الحد الذي قال فيه يوما ما : (هناك حبة نبتت في قلبي ، وبدأت أشعر أنني أتغير) ، وكان ترك الخمر هو أول قرار يأخذه بعد التحول، ومنذ ذلك الوقت أصبح بوش واحدا من الستين مليون أمريكي ، الذين يؤمنون (بالولادة الثانية للمسيح) وهذا ما دعاه للقول بأن المسيح هو أهم الفلاسفة السياسيين في جميع الأزمنة ، لأنه ساعدني على التوقف عن شرب الخمر.

وباعتباره مرشح يمثل المحافظون الجدد أو اليمين المسيحي المتطرف ، فقد ركز بوش خلال حملته الانتخابية على إبراز تدينه حيث كان يقول : أنه يبدأ حياته كل يوم بقراءة في الإنجيل، أو على الأصح في "الكتاب المقدس" ، الذي يشمل الإنجيل والتوراة العبرانية . ووضح الأمر أكثر (تونى ايفانز) الواعظ من تكساس ، وأحد مستشاريه الروحيين ، فيقول : (تعاليم الإنجيل كانت سببا رئيساً لاتخاذ بوش قراره بالتقدم لانتخابات الرئاسة ، إنه شعر أن الله يكلمه) وأن واجباته قد تحددت بتكليف من الله بقوله : إنني اقتنعت بأن ثقافتنا بكاملها يجب أن تتغير بصورة جذريه ، وإلى الأبد ، فنحن نحتاج إلى تجديد روحي في أمريكا . وبذا تحول بوش من إنسان غبي غائب عن الوعي بفعل الإدمان على الكحول إلى رئيس أمريكي ثم إلى قائد عسكري يسعى لشن الحروب ، حيث كانت (الولادة الثانية) لبوش يوم ١١ سبتمبر ، فقد كان حتى هذا اليوم مجرد حاكم بلا هدف ، ولكن الهجوم على نيويورك وواشنطن أعطيا رئاسته الهدف والسبيل ، وبعدها بدأ في الحديث بمصطلحات دينيه مثل (معركة الخير ضد الشر) (العدالة الابديه) . (الحرب الصليبية) ثم مصطلح (محور الشر) الذي بدأ يضع فيه أعداءه، خاصة إيران والعراق وكوريا الشمالية(جريدة الأسبوع العربي، ٢٠٠٣، ٢٤، فبراير)

جدلية الدين والسياسة في تفكير الرئيس بوش

لاحظ كثيرون أثر الدين في رؤية بوش السياسية ، بشكل غير معهود في الحياة الأمريكية : فهو يميل إلى التفسير الديني للأحداث السياسية الحالية ، وقد قال في حديث للمذيعين الدينيين مؤخراً : "إن الإرهابيين يمقتوننا، لأننا نعبد الرب بالطريقة التي نراها مناسبة". كما يكثر في أحاديثه وخطاباته إيراد المصطلحات الدينية . فهو كثير الحديث عن "الرب" وعن "الصراع بين الخير والشر". وما مصطلح "محور الشر" إلا مثالاً واحداً على ذلك . وقد لاحظ أحد الكتاب أن بوش

يفضل استخدام مصطلح "الحرية" على مصطلح "الديمقراطية"، وأن الحرية في عرف بوش ذات مدلول ديني ، فهي ليست حرية الخيار السياسي بالضرورة، بل "حرية اكتشاف الرب" بكل المدلول المسيحي التبشيري لذلك. وذكرت مجلة نيوزويك أن أنصار بوش من الإنجيليين يأملون أن تكون الحرب على العراق فاتحة لنشر المسيحية في بغداد، كما يشير موقع (القس بيلي غراهام) على الإنترنت . وهو الأب الروحي للرئيس بوش . إلى "الجوع الروحي في العراق في الوقت الحاضر"، ولذلك مدلوله الخاص في السياق الحالي.

> ويميل الرئيس (بوش) إلى اعتماد البرامج الاقتصادية والاجتماعية، التي ترسخ الدين المسيحي في المجتمع الأمريكي وفي العالم. ومن أمثلة ذلك داخلياً تخصيصه بنداً من الميزانية لتمويل المؤسسات التربوية والاجتماعية الدينية، من كنائس ومدارس دينية وغيرها، وهي سابقة في تاريخ الولايات المتحدة، اعتبرها كثيرون بداية النهاية للموقف الحيادي من الدين الذي يلزم الدستور الأمريكي الحكومة به. وبذلك يكون بوش هو أول رئيس أميركي يمول التعليم الديني من ميزانية الدولة الأميركية ، التي يفترض فيها أنها دولة علمانية تقف من الدين موقف الحياد" (أبو شعيره، ٢٠٠٢، ١٤، ديسمبر).

ويشير الكاتب الصحفي (بوب وودوارد) في كتابه الجديد: "بوش في الحرب" Bush at War إلى قصة طريفة تكشف عن جانب من جدلية الدين والسياسة في تفكير الرئيس بوش. فقد حكى بوش للكاتب في إحدى مقابلاته معه أثناء إعداد الكتاب قصة لقائه الأول مع الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" يوم ٢٠٠١/٠٦/١٩م . يقول بوش:

> "دخل الرئيس بوتين وجلس ... وحضر المترجمان.. وأراد بوتين أن يبدأ الكلام، لكني بادرته بالقول: السيد الرئيس.. دعني أبدأ بالإشارة إلى أمر لفت انتباهي، وهو أن والدتك أعطتك صليباً، وأنكم باركتم ذلك الصليب في إسرائيل الأرض المقدسة. فقال: صحيح. فقلت: إن هذا الأمر يثير عجبي، لأنك كنت شيوعياً وضابطاً في (الكي جي بي) ومع ذلك كنتَ راغباً في حمل الصليب، إن هذا الأمر بالنسبة لي يحمل من المعنى أكثر مما تحمله مجلدات". ثم يضيف الرئيس بوش: "..وبدأ بوتين يتحدث عن ديون روسيا... لكني كنت مهتماً أكثر بمعرفة هذا الرجل [بوتين] ، الذي علي أن أتعامل معه، ولهذا أردت التأكد من صحة قصة الصليب"(بوب، ٢٠٠٦).

ولكن هذا الحماس الديني الذي هو مصدر قوة الرئيس بوش وطاقته، فهو أيضاً مصدر ضعفه وسوء تقديره للأمور. وليس هذا رأي أعداء الرئيس بوش ومنتقديه فحسب، بل هو قول مساعديه ومقربيه كذلك. وقد ذكرت مجلة "نيوزويك" أن مستشاري الرئيس بوش يدركون أن "العديد من الأمريكيين . وكثيرين عبر العالم . يعتبرونه رجلاً أعمته معتقداته .. عن فهم تعقيدات العالم المحيط به كما هي". ولا ينكر مساعدو بوش هذه التهمة، بحسب المجلة، التي تضيف: "يقول مساعدو بوش : إن معتقداته المسيحية المتأججة تحت السطح تمنحه قوة وعزماً، لكنها لا تعينه على فهم السياسات اللازم اتباعها".

مكانة بوش على الخريطة الدينية الأميركية

تتسم الخريطة الدينية للولايات المتحدة بشيء من التعقيد، فلا يمكن رسم حدودها واضحة ، وبيان مكانة بوش فيها بشكل مفصل في هذا البحث، ولكن يمكن القول إجمالا : إن أنصار بوش هم في الغالب الأعم من البيض البروتستنت، وممن ينتمون للكنيسة المعمدانية Babtist أو الكنيسة المنهجية Methodist ، التي ينتمي إليها بوش، ونتيجة لهذه العلاقة الحميمة بين بوش والتيار المسيحي الأصولي، وفرت الكنائس الإنجيلية المتصهينة لبوش فوزاً على منافسه الجمهوري (ماكين) ، ثم فوزاً ملتبساً على منافسه الديمقراطي "آل جور". ولهذا فإن الذين يبرمجون الرئيس الأميركي هم قساوسة الحركة الصهيونية المسيحية. فالرئيس بوش هو من النوع الذي لا يدخل في نقاش مع نفسه ، ولا يمارس التساؤل لكونه . أيضا . ينطلق من مرجعية فكر ديني مطلق ، لم يكن غريبا أنه صنف مجتمعات العالم إلى متحضرة وغير متحضرة، وخيرة وشريرة وعليها أن تختار أن تكون ضده أو معه ، وتوعد من ليس معه بالعقاب الشديد. ومن هذا المنطلق الديني الأصولي يرى أن الأحداث التاريخية تتم كما قال الكاتب (جاكسون ليرز) على (يد إله عادل ومخلص) وأن رئاسته جزء من خطة مقدسة، حتى أنه قال لصديق له عندما كان حاكما لولاية تكساس :

> "إن الله يريده أن يترشح للرئاسة .. وأوعز للولايات المتحدة بأن تقود حملة صليبيه تحريرية في الشرق الأوسط، بل ذهب (جاكسون ليرز) في هذه المقالة إلى القول بأن اللغة الدينية الأصولية كثيرا ما تستعمل في الثقافة السياسية الأميركية، خصوصا بين أنصار بوش، الذين يؤمنون بأنهم يعملون بإرشاد الهي وينفذون إرادة الله"(السماك، ٢٠٠٣، ص٦٣).

علاقة بوش مع الكنيسة الكاثوليكية

الكنيسة الكاثوليكية التي يقدر أتباعها بحوالي ٦٠ مليون شخصاً، لا تربطها علاقة ود بالرئيس بوش، لأسباب سياسية ودينية وتاريخية كثيرة . فكما هو معروف تأسس الحزب الجمهوري في عام ١٨٥٤م، بعد الهجرة الكاثوليكية المتنامية نحو أمريكا ، وظهور تيارات دينية جديدة إضافة إلى ظهور العلمانية، حيث بدأت بعض المفاهيم تؤثر سلباً في اللغة الدينية السائدة في ذلك الوقت، وشعر البيوريتانيون بأن دولة الفضيلة التي عملوا على تأسيسها، تدخل مرحلة الانحدار، فجاء تأسيس الحزب الجمهوري الذي ينتمي إليه الرئيس الحالي (جورج بوش) عام ١٨٥٤م معيداً الخطاب الديني البيوريتانى إلى الوجود، ومعيداً الأمل البيوريتاني إلى الوجود . فالتف اليمين البروتستانتى حول هذا الحزب الجديد بقوة على اعتبار أن برنامجه السياسي ، الذي تطغى عليه القيم الدينية ينسجم مع طموحاتهم ببناء أمريكا المسيحية، حيث يمثل الحزب الجديد القيم المسيحية البيوريتانية الحقيقية ، (المبادئ المسيحية اليهودية)، والذي سوف يعمل على تحقيق النبوءة التوراتية بإقامة مملكة الرب "يهوه" (حرب، ٢٠٠٣، ٩، مارس) .

> وفي أواخر السبعينات والثمانينات من القرن الماضي حدث تحول يثير الاهتمام بوجه خاص، ألا وهو العلاقة الوثيقة المتزايدة بين اليمين المسيحي الجديد والحزب الجمهوري، حيث لم تبدأ هذه الصلة في أواخر السبعينات . فالعلاقة بين (بيلي جراهام) (ودوايت أيزنهاور) شيء معروف ، مثله كمثل صلوات الإفطار في البيت البيض الأبيض أثناء فترة رئاسة نيكسون، ثم وصلت العلاقة إلى آفاق جديدة مع ترشيح (ريجان) ثم فترة رئاسته (كوربت، ٢٠٠٢، ص ١٥٥).

إن هذه الخلفية المتطرفة للحزب الجمهورى، ربما توضح سبب تطرف (بوش الابن) وتعصبه ليس فقط تجاه العرب والمسلمين، بل تجاه المسيحيين الكاثوليك، حيث . معروف عنه . علاقاته الحميمة بالتيار الأصولي المسيحي المتطرف في أمريكيا، وبأكثر زعماء هذا التيار تطرفاً، أمثال (جون ايفانس) ، وغيرهم، والذين يعتقدون أن الاتحاد الأوروبي . وبالذات دوله الكاثوليكية . هم من قوى الشر ، التي ستحارب أمريكيا في المستقبل، ويسمون دولها العشر بالوحش الذي ورد ذكره في نبوءات التوراة (هالسيل، ٢٠٠٠، ص ٤٦).

ولهذا لم يكن مستغرباً أن يرتبط بوش بعلاقات حميمة مع أكبر جامعة أصولية متطرفة ، وهى جامعة (بوب جونز) الانفصالية المتشددة التي أسسها القس الأصولي المتشدد بوب جونز

(مارسدن، ٢٠٠١، ص ٢٣١)، والتي تناصر الآراء المضادة للكاثوليكية، حيث يصف رؤساؤها البابا بأنه عدو المسيح، ويمنعون الاختلاط العرقي بين الطلبة. وقد حرص (بوش) على زيارة هذه الجامعة باستمرار، حيث تسببت إحدى هذه الزيارات بجدل واسع، واتهمه منافسه للرئاسة (جون ماكين) باستخدامه الزيارة لتشويه صورته ، واضطر بوش للدفاع عن نفسه ضد مزاعم التعصب. وأخبر الصحفيين في سياتل بقوله : اندهشت لأن الناس يصفوني بأني مناهض للكاثوليكية " أنا أرفض ذلك ، فأنا حريص على التوحيد ليس التقسيم" ، يجب أن تتوقف حملة تشويه الصورة هذه، وبعث بوش رسالة للكردينال (جون اوكونور) في نيويورك معقل الناخبين الكاثوليك قائلاً: انه يشعر بأسف عميق لأنه لم ينأ بنفسه بوضوح عن سياسات جامعة بوب جونز.

بوش واليهود وإسرائيل

باعتباره أحد أعضاء الكنيسة الميثودية البارزين ، كان بوش دائم التردد على إسرائيل، لأن الميثوديت تعتبر أن ارض إسرائيل هي البقعة المباركة في هذا العالم ، وأن المسيحية الحقه جاءت لتقييم التحالف الروحي لإنقاذ العالم من خلال الاعتماد على التوراة ، التي تمثل قيمة دينية عليا ، وأن العالم لابد أن يبعث على أساس من التوراة والإنجيل الحق، ولهذا فإن بوش عندما يقرأ كل يوم في كتابه المقدس، فهو لا يقرأ الإنجيل المتداول بين المسيحيين ، وإنما يقرأ الكتاب المقدس للميثوديت ، الذي يجمع بين التوراة والإنجيل في مزيج مشترك، حتى أن صلواته التي يؤديها كل يوم وبانتظام ، تعبر عن فكر الميثوديت والتحالف الصهيوني . المسيحي، ولا تعبر عن المسيحية المعروفة في الشرق أو الفاتيكان. والمتتبع لنشاط طائفة الميثوديت يرى أن أعدادها في تزايد مستمر بين الطوائف المسيحية، حيث أن هؤلاء هم بالأساس أصحاب هذه الفكرة في إقامة التحالف المسيحي . الصهيوني ضد الإسلام(السقا، ٢٠٠٣، ص ١٢٧، ١٢٨).

> يقول (مات بروكس) اليهودي الجمهوري: "إن جورج بوش ، وبسبب إيمانه الديني العميق ، يعتقد أن إسرائيل هي وطنه الروحي ، بقدر ما هي وطن روحي لي أنا اليهودي". ولبوش أصدقاء ذو اهتمامات بالغة العمق بإسرائيل، ولأنه بات أكثر تديناً في السنوات الأخيرة، فقد أصبح مهتماً بها بالعمق الذي يوليه أصدقاءه هؤلاء تماماً، هذا ما يقوله . أيضاً . صديق بوش الآخر اليهودي الأرثوذوكسي ، الملتزم (دونالد ايترا) لمجلة نيوزويك . وتشير نيوزويك إلى أن موقف بوش من إسرائيل والفلسطينيين قد يكون في النهاية موقفا ايديولوجياً، وحتى دينياً متطرفاً، وليس موقفاً سياسياً بحتاً. وتضيف أن زيارة بوش إلى إسرائيل في العام ١٩٩٨م ،

التي رتبها له ضمن مجموعة من حكام الولايات الآخرين صديقه (مات بروكس) ، وقام في أثنائها بجولة في طوافة مع شارون، فوق الضفة الغربية والجولان، لم تكن فقط زيارة استطلاع على جغرافية إسرائيل، ولا حتى جولة سياسية، لقد كانت رحلة في التاريخ التوراتى. وتشير المجلة إلى أنه وصديقه الآخر "دونالد ايترا" انتميا إلى جمعية سرية تدعى "سكول وبوناس" ، عندما كانا في جامعة بيل، ويقول ايترا: إن تربية بوش اليهودية وتعلمه لها ومعلوماته ، عنها بدأت في تلك الفترة ... لقد تربى بوش مع مجموعة يهودية، وهو شخصياً يقدر عالياً الدين اليهودي. وقد صرح الرئيس بوش أكثر من مرة بأن "اليهود هم شعب الله المختار الوحيد على وجه الأرض" (أبو شعيره، ٢٠٠٢، ١٤، ديسمبر).

وخلال الأشهر السابقة من وجوده في البيت الأبيض، لم يثبت الرئيس الأمريكي ما يدحض هذه الآراء، بل إنه، وإضافة إلى إطلاقه يد المحافظين الجدد في السياسات الخارجية، الشرق أوسطية منها خصوصاً، بنى نظاماً يستند بكل صراحة إلى البروتستانت الأصوليين، هؤلاء المتعصبين المقتنعين بان الولايات المتحدة تؤدى دوراً مركزياً في صراع الخير التوراتى ضد الشر، وهذا الدور الذي يستند إلى يقين بأن هذا البلد ينبغي أن يقود العالم .

وقد توصل أحد الباحثين الأميركيين مؤخرا بعد دراسته لكل أحاديث الرئيس الحالي بوش وخطاباته . إلى أن بوش أصولي مسيحي، يؤمن بأن الضفة الغربية وقطاع غزة منحة ربانية لليهود لا يجوز التنازل عنها، وهو نفس الاعتقاد الذي عبر عنه (التحالف المسيحي) بقيادة (بات روبرتسون) مؤخراً في مسيرة له بواشنطن العاصمة، طالب فيها القادة الإسرائيليين بعدم التنازل عن الضفة الغربية وقطاع غزة، لأن ذلك "مناقض لإرادة الرب"(أبو شعيره، ٢٠٠٢، ١٤، ديسمبر).

وربما كان إعجاب الرئيس (بوش) الشديد باليهود، وتبنيه لبرامجهم هو الذي دفعهم إلي الانضمام إلى الحزب الجمهوري . فبالرغم من وجود يهود في الحزب الديمقراطي، نظراً لانقسام اليهود إلى ليبراليين ومتدينين . وأحيانا تفادياً لوضع البيْض في سلة واحدة . فإن الجماعات اليهودية بدأت في الأعوام الأخيرة تميل إلى الحزب الجمهوري، لأن ولاءه للمسألة اليهودية نابع من اعتقاد ديني ثابت، مجرد من الاعتبارات السياسية والإستراتيجية في الغالب، بخلاف الحزب الديمقراطي ذي الميول الليبرالية، الذي يتعامل مع إسرائيل باعتبارها "دولة دنيوية" إلى حد ما، وربما هذا ما دفع

الحزب الديمقراطي إلى محاولة استمالة اليهود من خلال ترشيح اليهودي (ليبرمان) لمنصب نائب الرئيس في الانتخابات السابقة.

بوش والمسلمون

في مقابل هذه المواقف السابقة للرئيس بوش من اليهود، نجد مواقفه من المسلمين على النقيض . فمن سخريات القدر أنه بالرغم من أن الرئيس (بوش) مدين للمسلمين في أمريكيا بوصوله للحكم . حيث أعطوه ٧٠% من أصواتهم، في حين أعطى اليهود أصواتهم للمرشح الديمقراطي (آل جور) ونائبه اليهودي (ليبرمان) . ولكن بالرغم من ذلك قلب بوش ظهر المجن للمسلمين، وتعرض المسلمون في أمريكيا ، وفى العالم لأسوأ حملة إرهاب وتعصب وملاحقة في تاريخهم، بسبب حملة التضليل والتزييف التي قادتها إدارته الجمهورية اليمينية المتطرفة ضد المسلمين.

فبعد أحداث ٢٠٠١/٩/١١م الترويعية الرهيبة في نيويورك ، دعا الواعظ الأصولي (بات روبرتسون) أتباعه للصلاة "كي يمنع الرب انتشار الإسلام في أمريكا" كما قال : إن الإسلام دين تخلف ورق وعبودية ، وأضاف : إن العالم الإسلامي مرتع لعمل الشيطان . وهذا الكلام الذي قاله (روبرتسون) لا يختلف كثيراً عما قاله ويؤمن به الرئيس بوش ، الذي تأثر كثيرا بأفكار القس جراهام (وأصبح) واحداً من مريديه المقربين وكان يبدو مقتنعا بما يردده (جراهام) من أن المسلمين ، هم الذين يشكلون الخطر الأكبر على عودة المسيح إلى الأرض ، وإن هؤلاء المسلمين لا يتبعون ملة دينية ، وإنما يتبعون رجلا اسمه محمد .. الخ . وكان يقول له دائما : إن المسيحية تعرضت للكثير من التغيير والتبديل على يد المسيحيين ، الذين أرادوا تحويلها لمنافع شخصية لهم، وقد آمن بوش بهذه الأفكار ، وراح يرددها أمام زوجته والمقربين منه، وكان يقول لها: المسلمون ليسوا أصحاب ديانة والمسيحيون أصحاب ديانة ، تعرضت للتغيير، والرب غاضب على هذا العالم الذي غير دينه. وبالرغم من أن الرئيس بوش اضطر لأسباب دعائية إلى وصف الإسلام على أنه "دين سلام" . خلال زيارته للمركز الإسلامي بواشنطن في ١٧ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١م . إلا أن هذه التصريحات أثارت عاصفة من النقد في أوساط اليمين المتدين ، إلى حد قول أحد رجال الدين

> "يمكننا أن نتحمل ١١ سبتمبر ولكن لا يمكننا أن نتحمل ١٧ سبتمبر. كما وقف قادة اليمين المتدين موقفا أكثر تشددا تجاه الإسلام والمسلمين بعد أحداث سبتمبر/ أيلول ، عبر عنه (فرانكلين جرام) . الذي ألقى دعاء افتتاح حفل تنصيب (جورج

دبليو) ، وذلك خلال مقابلة أجرتها معه قناة NBC الأميركية في ١٦ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠١م إذ قال "لا أعتقد أن هذا (الإسلام) دين رائع ومسالم.. عندما تقرأ القرآن فإنه يدعو لقتل الكفار وغير المسلمين.. من قاموا بالطيران في أبنية ليسوا طائفة مسيحية (ما).. الهجوم كان على بلدنا من قبل أعضاء بالديانة الإسلامية" (مانسفيلد، ٢٠٠٤).

وقد سار بوش على خطى معلمه في موقفه من الإسلام، حيث كان يرى في الإسلام انه دجل ديني، وأن المتخلفين والمتعصبين هم الذين يحركون الناس نحو هذا الإسلام، وقد دفعت هذه القناعة (جورج بوش) إلى الاقتناع الكامل بمقولات القس (جراهام) وابنه (فرانكلين) الذين أصبحا فيما بعد من أعز أصدقاء بوش، وكذلك رفيقه في كل خطواته الدينية والسياسية. وقد استطاع القس (جراهام) إقناع (بوش) بالانضمام إلى طائفة "الميثوديث" المعبرة عن التحالف الصهيوني المسيحي. وقد سار بوش مع هذه الطائفة حتى صار أحد أعمدتها الأساسية (السقا، ٢٠٠٣، ص ١٢٦). وفي البداية كان (جورج بوش) يريد أن يكون داعية "للميثوديت" في البلدان الإسلامية والعربية ، إلا أن (جراهام) و(فرانكلين) أقنعاه بأن المهمة الأولى هي تطهير المسيحية والرجوع إلى أصولها الأولى ، بينما كان بوش يخالفهم ، ويرى أهمية القضاء على المسلمين أولا قبل التفكير في إصلاح أحوال المسيحيين، ولهذا فان من كتبه المفضلة التي يقرأها يوميا في البيت الأبيض . طبقا لنيوزويك . كتاب للقسيس "أوزوالد شامبرز" الذي مات في مصر عام ١٩١٧م وهو يعظ الجنود البريطانيين والأستراليين هناك ، بالزحف على القدس وانتزاعها من المسلمين. كما أن بوش كان ينفي دائما في جلساته مسألة الوجود الديني للإسلام وكان يقر بأن المسيحية ألحقه ستنتصر في النهاية.

وهذا التعصب الأعمى والحقد على الإسلام له جذور عميقة في عائلة بوش حيث أن الجد الأكبر لبوش الابن (١٧٩٦.١٨٥٩م) ألف كتاباً عن حياة محمد . صلى الله عليه وسلم . ونشره في سنة ١٨٣١م ووصف فيه المسلمين أبشع الصفات ، وشتم فيه محمداً . صلى الله عليه وسلم . . ولذلك يعد الكتاب من أشنع وأقذر ما كتب في الولايات المتحدة عن العرب والمسلمين ، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم . والكتاب موجود في مكتبة الكونجرس ، ويحظر على أي ما كان الاستعانة به إلا عدد قليل ومحدود من المسئولين الأمريكيين .

كما أن لجورج بوش الجد عشرات الكتب في شرح العهد القديم ، ويعتبر كتابه المسمى "وادي الرؤى" عمل إحياء لرميم إسرائيل، وهو يذاع في أبرز المحطات

الصهيونية الأمريكية الداعية إلى ضرورة العمل ، من أجل تجميع يهود العالم في فلسطين، وتدمير وسحق إمبراطورية (السارزان) ، وهذه التسمية كانت تطلق على العرب والمسلمين إبان الحروب الصليبية في العصور الوسطى، وكان يطلقها الرومان على بعض رعاياهم وعبيدهم تحقيراً لهم . يقول (بوش الجد) في كتابه : ما لم يتم تدمير إمبراطورية السارزان . المسلمين . فلن يتمجد الرب بعودة اليهود إلى وطن آبائهم وأجدادهم" ، وهذا القول مقتبس من كتاب حياة محمد لجورج بوش (الجد الأكبر) لبوش الابن ، وهذا الكتاب هدى الكثيرين لفكر (جورج بوش الابن) وأبيه قبل ذلك(السقا، ٢٠٠٣، ص ٤٣) .

بوش والحرب الصليبية

بعد أن عرضنا للخلفية الدينية المتطرفة للرئيس بوش، فإن ما يهمنا هنا بالدرجة الأولى ، هو التعبير السياسي لها، والذي تجلى بعد أحداث ١١ سبتمبر، في ذلك الخطاب الديني المتطرف ، الذي يشبه إلى حد كبير الخطاب الديني ، الذي كان سائداً إبان الإمبراطورية الرومانية، وتكفي عودة سريعة في هذا الصدد إلى جملة خطابات وتصريحات الرئيس بوش ، التي أعقبت أحداث سبتمبر، للتيقن التام من ذلك، فعبارات الحرب العادلة والحرب الصليبية ، (وهي العبارة التي نطق بها الرئيس بوش) ثم عاد فلحسها تحت وطأة المخاوف التي أبدتها بعض أوساط النخبة الأمريكية الحاكمة من عواقبها، فضلاً عن تقسيم العالم إلى معسكر خير وآخر للشر، تتقاطع كلياً مع تخريجات السلطة الدينية الكنسية ، في عصر الإمبراطورية الرومانية التي ابتدعتها لإسعاف القيادة السياسية في الإمبراطورية ، من تحقيق أهدافها الاستعمارية على بلدان المعمورة قاطبة . فالخطاب هو الخطاب ، واللغة هي اللغة ، والمفردات هي المفردات، لا يكاد يفرقها عن بعضها بعضاً سوى الزمن والمكان اللذين صيغت وخطت وقيلت فيهما والشخوص الذين صاغوها وخطوها ونطقوا بها، فهل نقول ما أشبه الليلة بالبارحة ؟ يبدو أن الأمر كذلك .. أو ليس التاريخ في بعض فصوله ، يعيد إنتاج نفسه مرة بصورة مأساوية ، وأخرى بصورة تراجيدية (الصياد، ٢٠٠٣، ١٥، فبراير).

نعم إن التاريخ يعيد نفسه، ولكن هذه المرة ليس بناء علي تخريجات سلطه كنسية، بل بناء علي رغبة جماعات مسيحية يمينية متطرفة، استطاعت السيطرة على مقاليد الحكم في أمريكيا، وتمكنت من الدفع بقيادة سياسية متطرفة إلي البيت الأبيض، ممثلة بجورج بوش الابن، الذي فاق سابقيه جميعاً في تأثره بالتخريجات اللاهوتية لسياسته، والتي كان أشهرها عبارة "الحرب

الصليبية" التي وصف بها حربه على أفغانستان، حيث حاول البعض التقليل من شأنها، واعتبارها زلة لسان، متغافلين عن الكم الهائل من التعبيرات الدينية التي زخر بها خطابه السياسي .
فما يصدر عن رئيس اكبر دوله في العالم لا يمكن أن يكون زلة لسان، بل انه يعنى ما يقول حرفياً، ويبدو إن هذه كانت زلة لسان على النمط الفرويدي لا زلة لغة، وان بوش يضمر في الحقيقة ما يعلنه بات روبنسون وغيره من قساوسة الأصوليات المسيحية الأمريكية المتطرفة، حيث إن ما كان يطمح إليه هؤلاء على الدوام . بحسب القس فريتس – هو "قائد على منوال شخصية داود الإنجيلية، يوحد مطامحهم السياسية مع رؤاهم الدينية. وكل المؤشرات تدل على إيمانهم بأنهم وجدوا هذا القائد اليوم في شخص الرئيس بوش . يقول دانا ميلباك في جريدة واشنطن بوست: أن بوش توصل إلى الاستنتاج بأن قيادته لأمريكا بعد أحداث ١١ سبتمبر كانت مسألة قدر .. كانت إرادة الله. ويقول المقربون منه إن هجمات ١١ سبتمبر لم تعطه معنى لرئاسته فقط، بل منحته مهمة ورسالة في الحياة. فبوش يعتبر قيادته لأمريكا بعد ١١ سبتمبر أمراً إلهياً واختياراً ربانياً"(الشنقيطي، ٢٠٠٣) . وربما كانت هذه الجبرية الدينية هي مصدر ما وصفه البعض بـ"التفاؤل الساذج" الذي يطبع خطاب بوش وقراراته، حتى أن أصدقاءه يأخذون عليه ذلك.

فبوش الابن الذي يفتخر بأنه لا يقرأ الكتب، ويسمى الإغريق بـ "الاغارقه" والذي تلعثم طويلاً، ولم يعرف في المناظرة التلفزيونية التي سبقت انتخابه اسم الحاكم العسكري لباكستان، لا يثير إعجابه، ولا يؤثر فيه، إلا كتاب واحد هو التوراة . وحينما سأل الصحفي الشهير (جيم لهرر) جورج بوش أثناء مناظرة تلفزيونية مع (آل غور) عن برنامجه اليومي، رد بوش بأنه يبدأ يومه بقراءة في الكتاب المقدس، وإطعام كلبه، وإعداد القهوة لزوجته. كما صرح مراراً بأن المسيح هو مثاله السياسي. وهذه مظاهر جديدة على السياسة الداخلية الأميركية، كما لاحظ البروفيسور (جون أسبوزيتو) مدير مركز التفاهم الإسلامي المسيحي بجامعة (جورج تاون)، في كتابه الجديد "الحرب غير المقدسة "(أبو شعيره، ٢٠٠٢، ١٤، ديسمبر).

بوش يركب الزوبعة ويوجهه العاصفة

قال سانت بوش الابن في خطاب القسم يوم ٢١ يناير عام ٢٠٠١م :"بوسع ملاك أن يركب الزوبعة وأن يوجه هذه العاصفة" . وحسب تحليل هوارد فاينمان، فإن هذه العبارة مأخوذة من كتابي أيوب وحزقيال، **فالزوبعة** ترمز إلى صوت الرب! . يقول حزيقيال : "أوحى الرب إلى حزيقيال الكاهن ابن بوزي عند جوار نهر خابور، في ديار الكلدانيين، إذ كانت على يد الرب،

فابصرت ريحاً عاصفة تهب من الشمال مصحوبة بسحابة هائلة، ونار متواصلة متوهجة بهالة حيطة من الضياء، ومن وسطها يتألق مثل النحاس اللامع البارق من وسط النار، ومن داخلها بدا شبهه أربعة كائنات حية تماثل في صورها شبه إنسان، وكان لكل واحد منها أربعة أوجه ، وأربعة أجنحة" (سفر حزقيال).

موت الشرير

كم مره ينطفئ مصباح الأشرار ؟ وكم تتوالى عليهم النكبات، إذ يقسم لهم نصيباً في غضبه ؟ يصبحون كالتبن في وجه الريح، وكالعاصفة التي تطوح بها **الزوبعة** . أنتم تقولون : إن الله يذخر إثم الشرير لأبنائه، لا ! إنه ينزل العقاب بالأثيم نفسه، فيعلم . فليشهد هلاكه بعينه، وليجرع غصص غضب القدير . إذ ما بغيته من بيته بعد فنائه، وقد بتر عدد شهور حياته (سفر أيوب).

كما قال الرئيس "المؤمن" (بوش) في ذكرى أحداث سبتمبر ٢٠٠١م : إن النور يضئ في الظلمة والظلمة لن تهزمه" وحسب المرجعية التي وضعها السيد "فاينمان" لهذه العبارة، فهي إشارة إلي إنجيل يوحنا، ومأخوذة من كتب اليهود المقدسة حول مجيء المسيح! وعلينا أن نصدق بأن البيت الأبيض محفوف بالملائكة، وأن الرئيس قديس يتخفى في جلد نيرون! (منصور ٢٠٠٣، ١٠، مارس) .

إعلان الحرب من كاتدرائية

إمعاناً في إضفاء المعاني الدينية على سياسته، وإحاطتها بهالة من القداسة ، وكأن ما يقوم به ما هو إلا تنفيذاً لإرادة إلهية ، عمد الرئيس بوش إلى اللجوء إلى الكنيسة لإعلان حربه المقدسة على الارهاب. ففي ١٣ سبتمبر ٢٠٠١م جرى تنظيم قداس لا مثيل له في الكاتدرائية الوطنية، وصلى فيها الرئيس بوش وعقيلته، وأربعة رؤساء سابقين... وجميع الشيوخ والنواب تقريباً . وترأس كاردينال وحاخام وأمام (شيخ) بدورهم هذه الصلاة، وكان إنجيلي التلفزة الأكثر شهره في العالم، القس (بيلى غراهام) ، الذي قام بهداية (جورج دبيليو بوش) نفسه قبل خمس عشرة سنه

خلت، قد ألقى عظته التي دعا خلالها إلى إعادة البناء على أسس راسخة تقوم على الإيمان بالرب .

وبعد هذه العظة، صعد الرئيس (بوش) إلى المنبر ، وقدم بدوره عظة كان مستشاره التوراتى الأصولي (مايكل جرسون) ، قد أعدها له حيث قال : إن مسئوليتنا تجاه التاريخ جلية ... علينا أن نرد على هذه الاعتداءات، ونحرر العالم من الشر (كارول، ٢٠٠٥، ص٤٨) ... وقد اتسمت هذه العظة بنبرتها الدينية، حيث علقت صحيفة واشنطن بوست عليها ، قائلة : منذ تحول مذهب المحافظة الديني إلى حركة سياسية، يتولى رئيس الولايات المتحدة، لأول مره، زعامتها فعلاً . وهى زعامة لم يحظ بها قط (رولاند ريغان) نفسه، رغم ما أحاط به المحافظون الدينيون من رعاية . فقد أظهرت المجلات المسيحية والإذاعات والتلفزيونات الرئيس بوش وهو يصلى، بينما كان الخطباء الوعاظ يصفون زعامته بأنها نعمة من عند الرب . وقد شهد موكب من القادة الروحيين ممن إلتقوه على إيمانه، وشجعت بعض مواقع "الويب" الناس على الصوم والصلاة من أجل الرئيس (ميسان، ٢٠٠٢، ص ٧٢) .

وفى الرابع عشر من سبتمبر ، التزمت الدول الثلاث والأربعون المنتمية للمجلس الأوربي ودول أخرى، بالوقوف ثلاث دقائق صمت ، تحية لذكرى ضحايا الاعتداءات، تلبية لدعوة الرئيس بوش، حيث لم يكن لهجوم مماثل على أي بلد آخر ، أن يطلق مثل هذا القدر المتدفق من العواطف ، و بدا وكأن العالم كله قد شعر بفقدان البراءة مثل الأمريكيين تماماً (برستوفتز، ٢٠٠٣، ص١٢). وكتب (جون ماري كولمباني) عموداً شهيراً بعنوان "نحن كلنا أميركيون" في لوموند بتاريخ ١٢ سبتمبر ٢٠٠١م تضامناً مع الأميركيين عقب تفجيرات ١١ سبتمبر، وأثار هذا العمود ردود فعل في فرنسا، إذ رأى فيه البعض مبالغة وانسياقاً وراء الإدارة الأميركية (كولمباني، ٢٠٠٢)، التي أضفت، بتحريكها الشعور الديني، طابعاً من القدسية على ضحايا الاعتداءات ، وعلى روايتها للأحداث على حد سواء، وغدا بعد ذلك كل طعن بصحة الرواية الرسمية، في العالم أجمع، بمثابة اختراق للقدسيات.

وهكذا عبر الجميع عن قبولهم الضمني بزعامة أصولي ملهم ، يعلن عن عزمه على تولى قيادتهم في معركة هائلة ضد الشر، مما يعني أن جنون إنجيلي التلفزة، الصوفي السياسي أصبح معدياً ! وإلا فلا يمكن تفسير هذا الاندفاع الورع، لا بالصدمة النفسية ولا بالاحترام الذي نكنه للأموات . فبالرغم من أن الولايات المتحدة كانت في الأصل تيواقراطية أسسها عدد من المطهريين الفارين من تعصب التاج البريطاني، إلا أن ذلك لا يعنى أن تصبح أمه متزمتة، يحل

فيها انجيليو التلفزة محل الاستراتيجيين العسكريين. فلا وجود على كل حال، لأي سابقة تاريخية تلا فيها رئيس أمريكي إعلان الحرب من داخل كاتدرائية (ميسان، ٢٠٠٢، ص ٧٠، ٧١) ، مما يعني أن لحظة الصلاة تلك شكلت نقطة تحول تاريخي، حيث كتبت واشنطن بوست تقول : إن الولايات المتحدة دخلت الحرب حينما دوى النشيد الوطني في أجواء الكاتدرائية. تلك هي ملاحظة يمكن توسيعها ، والقول بأن العالم قد دخل الحرب باشتراكه في الجنازة الأمريكية.

نتائج الدراسة

- أكدت الدراسة الدور المركزي الذي لعبه الدين وبالذات افكار حركة الاصلاح الدينى في تشكيل فكر وثقافة المهاجرون الاوائل الى امريكا وكف استمر هذا التأثير حتى الآن

- أوضحت الدراسة كيف ان القيم البروتستانتية لعبت دوراً رئيس في نشأة الرأسمالية وقيمها المتعددة.

- أثبتت الدراسة انه بالرغم من الفصل بين الدين والدوله في امريكا والذي يدفع البعض الى القول بعلمانية امريكا، الا ان هذا الفصل جاء كمطلب ديني نتيجة لافكار حركة الاصلاح الدينى وليس نتيجه لتنكر للدين كما حدث في الدول الكاثوليكية، وبالتالى لا يمكن الحديث عن علمانية في امريكا بنفس المعنى السائد الذي يعنى عدم وجود دور للدين في الحياة الامريكية.

- قدمت الدراسة نموذج لاثر الدين في السياسة الامركية تجاه العالم وتجاه العالم العربي والاسلامي، وبالذات القضية الفلسطينية، ممثلاً بالرئيس الامرك "جورج دبليو بوش"، وكيف لعب الدين دوراً اساسياً في صياغة تفكيره وقراراته تجاه كثير من القضايا.

التوصيات

١. يوصي الباحث باجراء مزيد من الدراسات على دور الدين في الحياة الامريكية وانعكاساته على قضايانا العربية، وبالذات فيما يخص القضية الفلسطينية.

٢. لما كانت التوراة "العهد القديم" والنبوءات الواردة فيها تلعب دوراً رئيساً في تشكيل العقلية الامريكية ، وعقلية النخب وصناع القرار، فإنه لابد من عمل دراسات معمقه لها، لمعرفة التوجهات المستقبلية التى يمكن ان تفضي لها مثل تلك النبوءات، لان الخبرة التاريخية تشير الى ايه درجه صاغت النبوءات التوراتية وجهة النظر الامريكية تجاه كثير من القضايا، وبالذات فيما يتعلق بالمنطقة العربية وفلسطين.

٣. بالرغم من هذا الاثر للدين في المجتمع الامريكي، الا ان الفرق والمذاهب الدينية متعدده، فهناك الكاثوليك الذين يمتلون حوالى ثلث السكان، كما ان الفرق البروتستانتية متعدده بصوره كبيره، وان كان

٤. بالرغم من ان الاصولين المسيحيين يمثلون اغلبيه في امريكا، حيث يبلغ تعدادهم اكثر من ٨٠ مليون، ويمتلكون امكانيات ضخمه في كافة المجالات، ويتحكمون في الانتخابات الرئاسية، الا ان ذلك لا يعنى انعدام امكانية التأثير على المشهد الدينى الامريكى. فهناك الكاثوليك الذين يمثلون ثلث المجتمع الامريكي، كما ان الفرق البروتستانتية متعدده بصوره كبيره، ولديها اهداف مختلفه، ولذا فأنه يتوجب العمل من قبل الاطراف العربية والاسلامية على اختراق هذا المشهد بوعي ودقه، حيث يمكن ان يكون اسلوب الحوار والتفاهم مجدياً ويحقق اهداف كبيره، وهنا لابد من اشراك المسيحيين العرب في مثل هذه الحوارات للحد من خطورة الحركات الاصولية المسيحية، كما ان الحوار مع الكنائس الكاثوليكيه والارتوذكسية يخدم هذا الهدف.

ملخص

تناولت الدراسة دور الدين في الحياة الامريكة منذ الهجرة الاولى للمستوطنين الانجليز الى امريكا والتى بدأت في سنة ١٦٠٦ ولحتى الآن ٢٠٠٨ . حيث عالجت في الفصل الاول البدايات الاولى للاستيطان في امريكا، واثر حركة الاصلاح الدينى على افكار المهاجرون الاوائل من البيوريتان البروتستانت، وكيف عززت هذه الحركة من الاهتمام بالعهد القديم بكل اساطيره وقصصه مما جعل المهاجرون الاوائل يسقطون كثير من القصص والحكايات التوراتية على انفسهم خلال هجرتهم، مما جعل الدين يصبح مكون اساسي لفكرهم.

ثم تناولنا قضية العلمانية وفصل الدين عن الدوله، حيث وضحنا ان القول بالعلمانية يمكن ان ينطبق على الدول الكاثوليكية التى كانت السلطتين الزمنية والدنيوية مجتمعتين في يد البابا، ولهذا فان الفصل في هذه الدول، كان مخالف للعقيدة الكاثوليكية، وجاء نتيجه لافكار فلسفة التنوير. اما الدول البروتستانتية كامريكا وبريطانيا، فان الفصل جاء تلبيه لمبدأ دينى نادى به زعماء حركة الاصلاح الديني، حيث رفضوا سلطة البابا والمجامع المسكونية، وبهذا فان العلمانيه لها مفهوم مختلف عما نفهمه ولا يعنى عدم وجود اثر للدين في هذه الدول.

ولتأكيد ذلك تناولنا في الفصل الثاني دور الدين في نشأت النظام الرأسمالى الذي يسيطر على الحياة الامريكية وبينا كيف ان كثير من القيم والمبادئ الرأسمالية انبثقت من القيم الدينية البروتستانتية، مثل تقسيم العمل والتباين في التروات، والنزعة التقشفية، وظاهرة العلم الحديث وغيرها من القيم، وبعدها عرضنا لبعض النماذج الدينية التى تحاول تفسير بعض الظواهر مثل التباين في التروات، او التوسع والاستيلاء على اراضي الغير .. الخ، من وجهة النظر الدينة المستمده من البروتستانتية.

اما الفصل الثالث فقد تناولنا فيه الظاهرة الدينة الحديثة والمعاصره باعتبارها استمرار لنهج المؤسسون الاوائل، مما يعنى ان فهم المجتمع الامريكى لا يمكن ان يتم الا من خلال فهم جذوره الدينية، حيث عرضنا لبعض الاحصائات التي تبين حجم الدور الذي يلعبه الدين في الحياه الامريكية المعاصره، وان امريكا بها اعلى نسبة للتدين في العالم. كما اشرنا الى دور الدين في تشكيل فكر السياسيين والمفكرين وكيف ان فكرة النظام الدولى الجديد لها جذور عميقه في الفكر الدينى الامريكى، والتى تشير الى فكرة العصر الالفى السعيد الذي سيشهد اقامه اسرائيل وعودة المسيح ليحكم العالم لمدة الف عام.

وحتى لا يبقى كلامنا مجرد اسقاطات نظرية رأينا ان نعرض في الفصل الاخير للدور الكبير الذي لعبه الدين في تشكيل فكر ومعتقدات الرئيس جورج بوش، وأثر ذلك على سياسته العالمية وبالذات تجاه العالم العربي والاسلامي، وفيما يخص الصراع العربي الاسرائيلى، حيث يعتبر فكر بوش مثال واحد لكافة الرؤساء الامريكيون الذين كان للدين دور رئيس على سياستهم، ويكفى ان نعلم ان كافة الرؤساء الامريكيين كانوا من البروتستانت باستثناء واحد فقط هو جون كيندي الذى تم اغتياله لان المتطرفون البروتستانت لم يروق لهم ان يكون الرئيس كاثوليكياً يأتمر بامر البابا "عدو المسيح" حسب اعتقاد المتطرفون البروتستانت.

المصادر والمراجع

١. الحسن، ي. (١٩٨٦): من أوراق واشنطن، ط١. دار المستقبل العربى.

٢. الحوت، ب، ن. (١٩٩١): فلسطين، القضية، الشعب، الحضارة (التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن)، ط١، دار الاستقلال.

٣. الخشاب، ا. (ب. ت): الاجتماع الديني (مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية)

٤. السقا، ا. ح. (٢٠٠٣): عودة المسيح المنتظر لحرب العراق بين النبوءة والسياسة، الطبعة الثانية. دار الكتاب العربي دمشق، القاهرة.

٥. السماك، م. (٢٠٠٣): الدين في القرار الأمريكي، ط١. دار النفائس.

٦. الشريف، ر. (١٩٨٥):الصهيونية غير اليهودية: جذورها فى التاريخ الغربى. ترجمة احمد عبد الله عبدالعزيز. سلسلة عالم المعرفة، ٩٦. المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب، الكويت.

٧. العكش، م. (٢٠٠٢): حق التضحية بالآخر (امريكا والابادات الجماعية)، ط١. رياض الريس للكتب والنشر

٨. المسيري، ع. (٢٠٠٣): دفاع عن الإنسان (دراسة نظرية و تطبيقية في النماذج المركبة). دار الشروق، القاهرة.

٩. النجار،ح. ف. (١٩٨٦): امريكا والعالم – مكتبة مدبولي.

١٠. النيرب، م. (١٩٩٧): المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية – الجزء الاول حتى ١٨٧٧–دار الثقافة الجديدة – ط١

١١. أبو خليل، ا. (٢٠٠٣): الحرب الأمريكية الجديدة ضد الإرهاب (من قسم العالم إلى فسطاطين)، ط١. ترجمة ميرفت أبو خليل. دار الآداب للنشر والتوزيع /بيروت.

١٢. برستوفتز، ك. (٢٠٠٣): الدولة المارقة– الدفع الأحادي في السياسة الخارجية الأمريكية، ط١. تعريب فاضل جتكر. شركة الحوار الثقافي.

١٣. برير، م. (٢٠٠٤): الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني، الطبعة الثالثة. ترجمة احمد الجمل و زياد منى. دار قدمس للنشر والتوزيع.

١٤. بلاتونوف، ا. (٢٠٠٢): لهذا كله ستنقرض امريكا (الحكومة العالمية الخفية)، ط١. ترجمة نائله موسى، ايرينا بونتشينسكايا. دار الحصاد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

١٥. بلوم، و. (٢٠٠٢): الدولة المارقة . دليل إلى الدولة العظمى الوحيدة في العالم، ط١. ترجمة كمال السيد– المجلس الاعلى للثقافة، مصر.

١٦. بيري، ل. (١٩٩٠): تاريخ الحياة الثقافية في أميركا. ترجمة أحمد العناني . مركز الكتاب الاردني.

١٧. بينتون، ر. (ب. ت): مواقف من تاريخ الكنيسة. ترجمة القس عبد النور ميخائيل. دار الثقافة المسيحية.

١٨. جارودي، ر. (١٩٩١): فلسطين ارض الرسالات السماوية. ترجمة قصي اتاسي، ميشيل واكيم. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.

١٩. جارودي، ر. (٢٠٠٢): امريكيا طليعة الانحطاط، ط ٣. تقديم كامل زهيري، تعريب عمرو زهيري. دار الشروق.

٢٠. جارودي، ر. (٢٠٠٣): كيف نصنع المستقبل، الطبعة الثالثة. ترجمة وتقديم د. منى طلبه، د. انور مغيث. دار الشروق، القاهرة.

٢١. جلال، ش. (١٩٩٧): العقل الأمريكي يفكر – من الحرية الفردية إلى مسخ الكائنات، ط١. مكتبة مدبولي.

٢٢. جوليان، ك. (١٩٧٠):الإمبراطورية الأمريكية. ترجمة ناجى أبو خليل. دار الحقيقة بيروت.

٢٣. حسن، د. ع. (٢٠٠٢): الولايات المتحدة من الخيمة إلى الإمبراطورية، ط١. مراجعة وتدقيق اسماعيل الكردي. الأوائل للنشر والتوزيع.

٢٤. خليل، ع. (٢٠٠٣): مذكرات حول واقعة الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)، ط١. دار الفكر بدمشق.

٢٥. دلماس، ك. (١٩٨٢): تاريخ الحضارة الغربية. ترجمة توفيق وهبه. عويدات.

٢٦. ديورانت، و. (١٩٨٨): قصة الحضارة، ج ٢٣،٢٤. ترجمة زكي نجيب محمود، محيى الدين صابر.دار الجيل.

٢٧. راسل، ب. (١٩٨٣): حكمة الغرب (عرض تاريخي للفلسفة لبغربية في اطارها الاجتماعي والسياسي). ترجمة فؤاد زكريا. سلسلة عالم المعرفه ٦٢. المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب، الكويت.

٢٨. رافيتش، د. وآخرون. (١٩٩٨): مختارات من الفكر الأمريكي، ط١. ترجمة نمير مظفر. دار الفارس، الاردن.

٢٩. ربيع، م. (ب. ت): أزمة الفكر الصهيوني –المؤسسة العربية للدراسة والنشر.

٣٠. رزوق، أ. (١٩٧٣): اسرائيل الكبرى ، دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٣١. سلطان، ح. (١٩٦٨): أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية. دار النهضة العربية، القاهرة

٣٢. شلبي، أ. (١٩٧٩): المسيحية. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،مصر.

٣٣. شينك، ا. (١٩٥٨): حضارة العالم الجديد من عصر الاستكشاف الى عصر الذرة، ط١. ترجمة فؤاد جميل. مطبعة شفيق، بغذاد.

٣٤. عبد الحكيم، م. (٢٠٠٥): الامبراطورية الامريكية البداية .. والنهاية، ط١. دار الكتاب العربي.

٣٥. عبد السلام، ا. ل. (٢٠٠٥): الانحياز الأمريكي لإسرائيل – دوافعه التاريخية والاجتماعية والسياسية، ط١. مكتبة النافذة.

٣٦. عماد، ع. (٢٠٠٣): صناعة الإرهاب، ط١. دار النفائس.

٣٧. عناية، م. ج. (٢٠٠٢): امريكا و أزمة ضمير، ط١.

٣٨. كارول، ج. (٢٠٠٥): الحرب الصليبية (توايخ حرب ظالمة)، ط١، ج ٢. ترجمة د. قاسم عبده قاسم. مكتبة الشروق الدولية.

٣٩. كليفلاند، هـ. (٢٠٠٠): ميلاد عالم جديد (فرصة متاحة لقيادة عالمية)، ط١. تقديم روبرت ماكنمارا، ترجمة د. جمال زهران. المكتبة الاكاديمية.

٤٠. كوربت، م، كوربت ج. (٢٠٠٢): الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية، ط٢، ج٢. ترجمته د.عصام فايز، ود. ناهد وصفي. مكتبة الشروق الدولية.

٤١. لوران، ا. (٢٠٠٣): عالم بوش السري (الديانة و المعتقدات الأعمال و الشبكات الخفية)، ط١. ترجمة سوزان قازان. دار الخيال بيروت، لبنان.

٤٢. ليله، ع. (١٩٨١): النظرية الاجتماعية لمعاصرة، دراسة لعلاقة الإنسان بالمجتمع، ط١. دار المعارف.

٤٣. مارسدن، ج. (٢٠٠١): الدين والثقافة الأمريكية، ط١. ترجمة صادق عودة– دار الفارس للنشر والتوزيع.

٤٤. ماميز، ن، فاربيار، ب. (٢٠٠٤): خطورة أمريكا – ملفات حربها المفتوحة في العراق، ط١. ترجمة ميشال كرم. دار الفارابي.

٤٥. مركلي، ب. (٢٠٠٣): الصهيونية المسيحية (١٨٩١.١٩٤٨م). ترجمة فاضل جتكر. قدمس للنشر والتوزيع، سوريا.

٤٦. مظهر، س. (١٩٨٤): قصة الديانات. الوطن العربى.

٤٧. مقار، ش. (١٩٩١): قراءة سياسة للتوراة، ط١. رياض الريس للكتب والنشر، لندن، قبرص.

٤٨. مقار، ش. (١٩٩٢): المسيحية والتوراة. رياض الريس للكتب والنشر.

٤٩. مكدوجال، و. (٢٠٠١): ارض الميعاد والدولة الصليبية . أمريكيا في مواجهة العالم منذ ١٧٧٦، ط٢. ترجمة: رضا هلال. دار الشروق، القاهرة.

٥٠. ميسان، ت. (٢٠٠٢): التضليل الشيطاني. دار الوطنية الجديدة، دمشق.

٥١. هالسيل، غ. (٢٠٠٠): يد الله (لماذا تضحى الولايات المتحدة بمصالحها من اجل اسرائل؟!)، ط١. ترجمة محمد السماك. دار الشروق.

٥٢. هرناندیز، ا، ب. (٢٠٠٤):امبراطورية الحرية، ط١. ترجمة احمد توفيق حيدر. دار الفارابي، بيروت.

٥٣. هيكل، م، ح. (٢٠٠٢): من نيويورك إلى كابول، ط٢. المصرية للنشر العربي والدولي.

٥٤. وكالة الإعلام الأمريكية (ب، ت): هذه هي أمريكا. الولايات المتحدة الامريكية

٥٥. يانج، ر. (٢٠٠٣): اساطير بيضاء (كتابة التاريخ والغرب)، ط١. ترجمة احمد محمود. المجلس الاعلى للثقافة، مصر.

المقالات

١. الحسن، ي. (٢٠٠٣، ٩، مارس): "الأصولية المسيحية أصولها ونشأتها ودورها في صنع القرار الأمريكي". جريدة الخليج، عدد ٨٦٧٤

٢. الصياد، م. (٢٠٠٣، ١٥، فبراير): "حول علاقة الدين بالدولة الأمريكية الحديثة". جريدة الخليج، عدد٨٦٧٢

٣. أبو شعيره، ش. (٢٠٠٢، ١٤، ديسمبر): "البوشنية .. سيره يهودية". جريدة الخليج، العدد ٨٦٠٩ .

٤. باشاران، ن. (٢٠٠٥، ١٥، ديسمبر): "هل يجب الخوف من أمريكا ؟".عرض بشير البكر. جريدة الخليج.

٥. حرب، ر، م. (٢٠٠٣، ٩، مارس): "أساطير في ثوب ديني وتحالف استراتيجي". جريدة الخليج، عدد ٨٦٧٤.

٦. زلوم، ع. (٢٠٠٣، ٢٧ يناير الى ١ فبراير) : إمبراطورية الشر الجديدة. جريدة القدس العربي

٧. سحاب، ف. (٢٠٠٣، ١٧، فبراير): تاريخ تطور علاقة المسيحية باليهودية. جريدة الخليج عدد ٨٦٧٤

٨. صبرا، ج. (٢٠٠٣، ١٥، فبراير): أوجه التشابه .. والاختلاف. جريدة الخليج، عدد٨٦٧٢

٩. ليفين، ا. (٢٠٠٥، ٢٣، يوليو): القومية الأمريكية الجديدة . عرض: بشير البكر. جريدة الخليج، الحلقة الرابعة.

١٠. منصور، خ. (٢٠٠٣، ١٠، مارس): أفق آخر، سانت بوش. جريدة الخليج، عدد ٨٦٩٥

١١. هيوبرز، ج. (٢٠٠٣، ١٥، فبراير): "عندما تختلط الأساطير بالنبوءات". جريدة الخليج.

مواقع الانترنت

١. الشنقيطي، م. (٢٠٠٣): "بوش.. طغيان الحماس الديني على البصيرة السياسية". الجزيرة نت .٢٠٠٣.٤

٢. أولدفيد، د. (٢٠٠٣): "الجذور الإنجيلية للأحادية الأمريكية اليمين المسيحي وكيفية مواجهته" – (٣١.٢٨ آب/٢٠٠٣)– الاجتماع السنوي لجمعية العلوم السياسية الأمريكية– نقلا عن موقع مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية

٣. بوغنون، م. (ب، ت): أميركا التوتاليتارية، الولايات المتحدة والعالم: إلى أين؟. ترجمة خليل أحمد خليل. المصدر الجزيرة نت

٤. بوفلجة، غ. (ب، ت): بين حضارة القوة وقوة الحضارة. عرض سكينة بوشلوح. الجزيرة نت

٥. تشومسكي، ن. (٢٠٠٤): الهيمنة أم البقاء.. السعي الأميركي للسيطرة على العالم. ترجمة سامي الكعكي. دار الكتاب العربي. تقديم إبراهيم غرايبة. الجزيرة نت ٢٠٠٤/٧/٢٩م.

٦. دون، ج. (ب، ت): لوك.. مقدمة قصيرة جدا. عرض/ كامبردج بوك ريفيوز – الجزيرة نت

٧. سلطان، م. (ب، ت): المؤثرات الدينية في توجيه السياسة الغربية المعاصرة .

٨. كارفر، ت. (٢٠٠٣): إنجلز.. مقدمة قصيرة جداً، ط١ الناشر اكسفورد. مراجعة كامبردج بوك ريفيوز. الجزيرة نت

٩. كولمباني، ج، م. (٢٠٠٢): الكل أميركيون ؟.. العالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١،ط١. الناشر: فايار، باريس. عرض كامبردج بوك ريفيوز. الجزيرة نت

١٠. لوران، أ. (): حرب آل بوش. ترجمة: سلمان حرفوش. عرض/إبراهيم غرايبة – الجزيرة نت

١١. مانسفيلد، س. (٢٠٠٤): عقيدة جورج دبليو بوش . عرض علاء بيومي– الجزيرة نت – ٢٠٠٤/٥/٣م

١٢. هلباتش، ف. (ب، ت): حكايات الهنود الأمريكيين (الحمر) أساطيرهم: حيل البقاء والمقاومة. ترجمة موسى الحالول، مراجعة د.زبيدة أشكناني. الجزيرة نت

١٣. هنتنغتون، ص. (٢٠٠٤): من نحن؟ تحديات الهوية الوطنية الأميركية، ط١. الناشر، سيمون آند سيشتر، الولايات المتحد. عرض علاء بيومي . الجزيرة نت ٢٠٠٤.٨.٢م

١٤. مور، م. (ب، ت): رجال بيض أغبياء. الدار العربية للعلوم. عرض خدمة كمبريج بوك ريفيو. الجزيرة نت

١٥. بوب، و. (٢٠٠٦): بوش في الحرب. الناشر :سايمون وشوستر. الجزيرة نت